



مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

للغلام



عليه
صلى الله عليه وسلم

WWW. **Ghaemiyeh** .com
WWW. **Ghaemiyeh** .org
WWW. **Ghaemiyeh** .net
WWW. **Ghaemiyeh** .ir

تقريراً لأبحاث المحقق الفقيه آية الله الشيخ محمد محمد السند

مقامات النبي ﷺ والنبوة

ذكر وحياي و ليست تجريري بشريتي



بقلم

ابراهيم حسين البقداوي



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقامات النبي و النبوه

كاتب:

محمد السند

نشرت فى الطباعة:

مجهول (بي جا ، بي نا)

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

٥	الفهرس
١٤	مقامات النبى و النبوه
١٤	اشاره
١٤	اشاره
٢٠	المقدمه
٢٢	المدخل
٢٢	حقيقه الكلام الإلهى والنبوه:
٢٦	الفصل الأول: دور الأنبياء عليهم السلام
٢٦	اشاره
٢٨	عصمه الأنبياء فى الوحى تلقياً وإبلاغاً
٢٨	اشاره
٢٩	سبب الغموض فى معرفه النبوه:
٣١	عصمه الأنبياء وأهل البيت عليهم السلام:
٣٣	تشيد أهل البيت لأركان الدين:
٣٣	العصمه وعموم المسؤوليه:
٣٤	النبى صلى الله عليه وآله وسلم بين العصمه والاجتهاد:
٣٥	القيم معلم إلهى للقرآن:
٣٦	القرآن والحكمه:
٣٦	منهج المعرفه:
٤٤	أوصاف القرآن اللامحدوده بحد وغير المقدره بقدر:
٥٠	نشوء الفرق الصوفيه:
٥٠	نظريتا المتكلمين والعرفاء فى الوحى:
٥٢	الفرق بين النظريتين:
٥٣	التصوير الأوفق:

٥٣	اشاره
٥٤	المقدمه الأولى: أقسام الوحي:
٥٦	عيسى عليه السلام كلمه الله:
٥٨	مريم عليها السلام والكلمات:
٦٠	اللغويون والكلمه:
٦١	جبرائيل يد الله:
٦٢	العين الإلهيه:
٦٣	الكتاب والعين الإلهيه:
٦٤	النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو الشاهد:
٦٥	عمل اللغوى والأديب:
٦٧	عالم المعانى منحاز عن عالم الألفاظ:
٦٨	من الواضح فى الإجابة:
٦٨	المصاديق الحقيقيه والمصاديق الاعتباريه:
٦٨	أمثله أخرى:
٧٠	صله تكوين الظهور وشؤون المعنى:
٧١	مثال آخر:
٧٤	الكلمات التامات:
٧٥	رمزيه الخفاء:
٧٧	آدم والملائكه والأسماء:
٧٩	الآيه والأسم:
٨٠	الأسماء الحسنى:
٨٤	الترادف اللغوى أو العقلى:
٨٦	الإنسان والمخلوقات الأخرى:
٨٧	الملائكه والإنسان:
٩١	نزهونا عن الربوبيه:
٩٣	الاستفاضه المعنويه:

- الترادف الوجودى: ٩٣
- أقسام الوحي: ٩٤
- اشاره ٩٤
- القسم الأول: الوحي: ٩٤
- القسم الثانى: التأيد: ٩٥
- القسم الثالث: الفطره: ٩٧
- اشاره ٩٧
- إنك لعلى خلق عظيم: ١٠٠
- عالم النحل والنمل المعقد: ١٠٣
- علم الإمام عليه السلام: ١٠٤
- القسم الرابع: التسديد أو اللطف: ١٠٧
- القسم الخامس: الروح الأمرى إلقاء فى الذات المصطفويه: ١١٠
- عظمه جبرئيل وكره اليهود له: ١١١
- فاطمه عليها السلام وليله القدر: ١١٥
- تفسير القرآن وحقائقه: ١١٧
- تأسيس الأنبياء والأوصياء لعلوم البشر: ١٢٠
- مؤتمر باريس: ١٢١
- القرآن خصص ذكر الأنبياء لعظمتهم: ١٢٤
- تفسير القرآن بالقرآن: ١٢٤
- عوده على بدء: ١٢٤
- المحكم والمتشابه: ١٢٧
- أمومه آيه الروح الأمرى: ١٢٧
- الفرق بين (أوحينا) و (أرسلنا): ١٢٩
- حقيقه الروح الأمرى: ١٣١
- عالم الأمر وعالم الخلق: ١٣٣
- الحبل الممدود: ١٣٤

- ١٣٩ الكتاب موجود حتى شاعر عاقل:
- ١٤٣ الوراثه الملكوتيه لآل النبي(صلى الله عليه و آله):
- ١٤٥ إرث فاطمه عليها السلام:
- ١٤٦ مقام النبي صلى الله عليه وآله وسلم:
- ١٥٣ مقام معلم الحكمة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم:
- ١٥٤ معلم الحكمة:
- ١٥٦ الخجتيه العلميه للخديث لا التبعديته الظنيه:
- ١٥٦ الإسرائيليات لا تشتهه على الفقيه المتضلع:
- ١٥٧ صفه (أمير المؤمنين):
- ١٥٨ حجيه العلم حجيه للحديث:
- ١٦١ حجيه فاطمه عليها السلام وعلم الكلام:
- ١٦٣ شبهات ورود حقايق:
- ١٦٣ توهم حصر عصمه النبي(صلى الله عليه و آله) بنزول جبرئيل:
- ١٦٧ نزول القرآن:
- ١٧٠ يوم مبعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم:
- ١٧٣ مبحث الإمامه وليله القدر:
- ١٧٦ إستمراره ليله القدر:
- ١٧٨ علم النبي(صلى الله عليه و آله) وحجته على الإنبياء:
- ١٧٩ هدى النبي وعلى:
- ١٨١ للحجج مراتب:
- ١٨٣ أمتجان التَّيِّبِ صلى الله عَلَيْهِ وآله وسلم:
- ١٨٥ قُرْبَى النبي صلى الله عليه وآله وسلم:
- ١٨٧ منازل القرآن:
- ١٨٩ علم المعارف والفقه:
- ١٩١ صدقيه الكتب الإلهيه:
- ١٩١ الصدق الفعلى والفاعلى:

- علم الأنبياء: ١٩٤
- الحس الكاذب: ١٩٤
- رواه الفروع غير رواه العقائد: ١٩٨
- حقيقه صدق النبوه: ١٩٩
- تفاوت هيمنه الكتب السماويه: ١٩٩
- فى المرآه أسرار: ٢٠١
- حاكميه الفىء والطبقات المحرومه: ٢٠٢
- علاج الأزمه الاقتصاديه الماليه بيد ذوى القربى: ٢٠٣
- الأمانه فى النقل: ٢٠٤
- النبى صادق أمين: ٢٠٧
- البيت المعمور وقلب التَّيِّبِ صلى الله عَلَيهِ وآله وسلم: ٢٠٨
- سؤال وجواب: ٢١٣
- أهليه بنى عبد المطلب: ٢١٤
- تقل بعثه الأقربين: ٢١٥
- القوانين الإلهيه والوضعيه: ٢١٥
- الأمانه الغيبيه: ٢١٤
- أمانه جبرئيل والملائكه: ٢١٨
- التَّيِّبِ صلى الله عَلَيهِ وآله وسلم أمين على كل الأديان: ٢١٩
- من أوصاف وشؤون القرآن ليله القدر: ٢٢٠
- التأويل حق وباطل: ٢٢١
- تحريف الكتاب الكريم: ٢٢٢
- الفصل الثانى: أوصاف النّبى (صلى الله عليه و آله) ٢٢٤
- اشاره ٢٢٤
- سيد الأنبياء ٢٢٨
- اشاره ٢٢٨
- المديح الوحىانى: ٢٢٩

- أدب موسى والخضر: ٢٣٠
- فضائل ومديح فاطمه عليها السلام : ٢٣٠
- عود على بدء: ٢٣٢
- هيمنه النبي صلى الله عليه وآله وسلم على الأنبياء: ٢٣٥
- اشاره ٢٣٥
- الدليل الأول: هيمنه القرآن: ٢٣٥
- اشاره ٢٣٥
- شبهه كلاميه: ٢٣٦
- الدليل الثاني: أخذ الميثاق: ٢٣٧
- النبي صلى الله عليه وآله وسلم إمام الأنبياء ٢٣٩
- الأنبياء تابعون للنبي: ٢٣٩
- النبي صلى الله عليه وآله وسلم رحمه لكل العوالم: ٢٤٢
- النبي وعترته وعالم النور: ٢٤٣
- خليفه الله: ٢٤٤
- الأسماء وجودات كائنات حيه عاقله شاعره: ٢٤٤
- تشاهد الآيات والسور حول النشأه النوريه: ٢٤٧
- معرفه الخلقه النوريه هي أم المعارف: ٢٥٠
- الإنسان الكامل والملائكه: ٢٥٣
- كرامه الإنسان الكونيه: ٢٥٦
- الكفار وقريش يستصغرون الأنبياء: ٢٥٧
- مقام (فكان قاب قوسين): ٢٦٠
- مقام التمكين: ٢٦٢
- العقل والنفس: ٢٦٣
- الجنبه البشريه للنبي وأهل بيته عليهم السلام: ٢٦٦
- الإكمال غير الإتمام: ٢٦٨
- مركز خليفه الله وخلافته: ٢٧٠

- عالم الذر: ٢٧٣
- إقبال العقل وإدباره: ٢٧٥
- سؤال وجواب: ٢٧٧
- ملكوت الله: ٢٧٨
- من صفات التَّيِّبِ؛ الشاهد: ٢٧٩
- معنى الشهادة والشهيد: ٢٨١
- الشهادة الملكوتية والشهادة الحسية: ٢٨١
- حديث الباقر عليه السلام لدى الفخر الرازي: ٢٨٤
- صفات الشاهد: ٢٨٦
- روح الشاهد: ٢٨٧
- سر شهادة النبي صلى الله عليه وآله وسلم على الأَشْهاد: ٢٨٨
- الشهادة نوع من الحاكمية: ٢٩٠
- أهل البيت عليهم السلام شهداء على الشهداء: ٢٩٠
- الشاهد هو صاحب الحساب يوم الدين بأذن الله وهو الهادى: ٢٩٤
- البارى تعالى يسائل عيسى عليه السلام : ٢٩٦
- فلسفه الاستفهام الصادر من المعصوم: ٢٩٦
- أعمالنا تعرض على الرسول وآله: ٢٩٧
- مقام الشهادة والملكوت: ٢٩٩
- النبي الخاتم(صلى الله عليه وآله) شاهد على الأئمة(عليهم السلام): ٣٠١
- لماذا على عليه السلام ؟: ٣٠١
- الفصل الثالث:النبي(صلى الله عليه وآله) قمه فى الإنسانية ٣٠٤
- اشاره ٣٠٤
- لغه الفطره ٣٠٦
- اشاره ٣٠٦
- لغه الفطره ليست صوتيه: ٣٠٧
- أزدهار اللغات وطمسها: ٣٠٨

- ٣٠٩ فطره النبي صلى الله عليه وآله وسلم:
- ٣١١ الأزمه الاقتصاديه ومعجزه النبي(صلى الله عليه و آله):
- ٣١٢ الإعجاز التشريعي للنبي صلى الله عليه وآله وسلم والحقد الغربي:
- ٣١٣ الغرب والتقنين السرى:
- ٣١٥ قوانين الرق فى التشريع النبوى والرق الغربى:
- ٣١٧ إنك لعلى خلق عظيم:
- ٣١٩ تعدد الزواج وإداره الدوله:
- ٣٢١ النبي إبراهيم يشتكى إلى الله من زوجته:
- ٣٢٢ العباده العظيمه مع نساء تسع:
- ٣٢٤ العاقب والرجعه
- ٣٢٤ اشاره
- ٣٢٥ حكومه محمد وآل محمد:
- ٣٢٦ حكومتان للمهدى عجل الله فرجه الشريف:
- ٣٢٨ ولايه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
- ٣٢٩ ولايه فاطمه:
- ٣٣٢ مصيبه فقد النبي صلى الله عليه وآله وسلم والظواهر الكونيه
- ٣٣٢ مصيبه فقد النبي صلى الله عليه وآله وسلم والظواهر الكونيه
- ٣٣٤ طاعه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا تنقطع
- ٣٣٤ طاعه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا تنقطع
- ٣٣٦ ممثل الدوله الإلهيه فى عصرنا الحاضر
- ٣٣٦ ممثل الدوله الإلهيه فى عصرنا الحاضر
- ٣٣٨ زياره أمين الله
- ٣٣٨ زياره أمين الله
- ٣٤٠ التركيز على معانى متون الزيارات
- ٣٤٠ التركيز على معانى متون الزيارات
- ٣٤٢ معرفه الأئمه مرتبط بمعرفه النبي(صلى الله عليه و آله)

- ٣٤٢ ----- معرفه الأئمه مرتبط بمعرفه النبي(صلى الله عليه و آله) -----
- ٣٤٤ ----- النبي أمين على رسل الله -----
- ٣٤٤ ----- النبي أمين على رسل الله -----
- ٣٤٤ ----- الفرق بين البدن والروح: -----
- ٣٤٨ ----- البطاقه الشخصيه لسيد الأنبياء(صلى الله عليه و آله): -----
- ٣٥٠ ----- الفصل الرابع: لكل سؤال جواب -----
- ٣٥٠ ----- اشاره -----
- ٣٥٢ ----- عالم الأرواح -----
- ٣٥٢ ----- اشاره -----
- ٣٥٣ ----- معرفه النفس: -----
- ٣٥٤ ----- الفرق والأديان: -----
- ٣٥٩ ----- عالم الذر: -----
- ٣٤٢ ----- النسيان فى العوالم -----
- ٣٧٨ ----- مقام المعصوم -----
- ٣٨٢ ----- معراج النبي صلى الله عليه وآله وسلم -----
- ٣٨٤ ----- الحوض والصحابه -----
- ٣٨٨ ----- امتحان السيده الزهراء سلام الله عليها -----
- ٣٩٠ ----- معرفه آل محمد عليهم السلام -----
- ٣٩٤ ----- النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم -----
- ٣٩٤ ----- اشاره -----
- ٣٩٥ ----- النبي والوحي: -----
- ٣٩٧ ----- أعتيال التَّيِّبِ صلى الله عليه وآله وسلم: -----
- ٤١٤ ----- تعريف مركز -----

مقامات النبی و النبوه

اشاره

عنوان و نام پدیدآور: مقامات النبی و النبوه مدرس: محمد سند؛ نویسنده: ابراهیم حسین بغدادی

مشخصات ظاهری: ۴۰۰ ص.

موضوع: محمد (ص)، پیامبر اسلام، ۵۳ قبل از هجرت - ۱۱ ق.

وضعیت فهرست نویسی: فاپا (برون سپاری).

ناشر: بینا

محل نشر: بی جا - بی جا

سال نشر: ۲۰۱۴

ص: ۱

اشاره

بسم الله الرحمن الرحيم

ص: ٣

مقامات النبی و النبوه

محاضر: محمد سند

مقرر: ابراهیم حسین بغدادی

ص: ۴

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى أرسل رسلاً مبشرين ومنذرين، وأوحى إليهم بشرايع دينه ومداينته للعباد يوم الحساب، ثم الصلاة والسلام على سيد أنبيائه، وخاتم رسله، وأمينه عليهم محمد وآله الحفظه الخزنه لنبوته.

وبعد...

إنَّ هذا الكتاب هو عبارته عن مجموعه أبحاث ألقاها سماحه الأستاذ آيه الله الشيخ محمد السند «دام ظله» على مَجْمُوعَه مِنْ فَضلاءِ الحَوْزَةِ العِلْمِيَّةِ فِي قم المقدسه ثم أكملها فى حوزة النَّجَفِ الأَشْرَفِ، حَيْثُ بَيَّنَّ فِيهَا هَيْمَنَةَ القرآن الكريم على بقيه الكتب السماويه الأخرى، وهيمنه النبى الخاتم (صلى الله عليه وآله) على جميع الأنبياء، وهل أن القرآن هو مجرد أصوات وألفاظ محفوظه فى وعاء علوى ينزل ويوصله النبى (صلى الله عليه وآله) إلى البشر، أو أنه يتلون وينصبغ بالنفس البشريه فيكون الكتاب من نتاج البشر أم هو حقيقه ممتده من عند الله تعالى فى غيوب الغيب متصله تنزلاً إلى الأرض، فقد أدعى بعض أهل الحدائنه والثقافه المستورده أن القرآن الكريم من النتاج البشرى وليس من الوحي الإلهى قائلاً (.... مما يثبت الجانب البشرى فى الوحي بوضوح)، بل اخذ البعض يشكك فى عصمه وعلم النبى الخاتم (صلى الله عليه وآله) فضلاً عن بقيه الأنبياء (عليهم السلام)، وفى الحقيقه أن هذه الشبهات نقلها هذا البعض عن جملة من الكتاب الغربيين أو الفلاسفه الماديين أو من بعض العرفاء أو الصوفيه، وكذلك بين سماحه الشيخ الأستاذ الأسباب والدواعى

المتحامله المتشنده نفسياً التي جعلت الغرب يُسىء لنبى الإسلام (صلى الله عليه و آله)، وكذلك يَبين سماحته نُقاط الضعف التي بسببها تجعل الغرب بين الحين والآخر تخرج أضغانهم، وإحْنهم البغيضه، أتجاه نبى الله، وكتاب الله، ودين الله (الإسلام)، وهم يعلمون جيداً وباعتراف من نوابغ نخبهم، وعقول خبائهم فى العلوم المختلفه، أنَّ النبى الخاتم (صلى الله عليه و آله) هو أعظم شخصيه فى الكون، استطاع أن يُؤسس حضاره عالميه بقيت إلى الآن، وبنى أوتادها على روح الأخوه والمحبه والعداله، وكيف استطاع أن يدير الدوله سياسياً واقتصادياً ودينياً من غير أن يُسىء لأى طرف كان حتّى وإن كانت هذه الأطراف ذات نزعات عدوانيه شريره.

ولا يخفى أن هذا البحث بالدرجه الأولى كان مركزاً حول حقيقه الوحي والنبوه والنبى (صلى الله عليه و آله).

كل هذا عزيزى القارئ سوف تجده بين طيات هذا البحث، سائلين المولى تعالى أن يحفظ لنا شيخنا الأستاذ وأن لا يحرمننا من بحوثه القيمه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

حقيقه الكلام الإلهي والنبوه:

هناك تساؤل يطرح منذ زمن متقادم، والآن أخذ هذا السؤال يثار ويطرح من جديد، وهو:

هل أن القرآن الكريم هو من كلام الله (جَلَّ وَعَلَا) أم من كلام النبي (صلى الله عليه وآله)؟!

وبصيغته أُخرى، هل أن القرآن الكريم من إنشاء النبي (صلى الله عليه وآله) أم من إنشاء الله تبارك وتعالى وما النبي إلا وسيط وأمين على إيصال هذا الكلام إلى البشر.

وهذا التساؤل نفسه أثير حول التوراه، والإنجيل، والزبور، وصحف إبراهيم كما هو الحال في القرآن الكريم.

نعم هناك بعض يزعم إن المتسالم عليه بل الضروره تقتضى أن القرآن الكريم هو من إنشاء الله تعالى بخلاف التوراه، والإنجيل، والزبور، والصحف فليس من إنشاء الله تعالى بل هي حقائق ومعان ألقاها البارى تعالى إلى النبي موسى أو عيسى أو إبراهيم أو داود(عليهم السلام) ثم أنشئوها بكلامهم.

وهذه الدعوى والمقاله مردوده وبعيده عن الحقيقه، لأن الوصف

الجارى فى الآيات القرآنيه والروايات أن ألقاظ التوراه، والإنجيل، والزبور، والصحف - مع غض النظر عن إن التوراه المتداوله حالياً بين الأيدى أو الإنجيل محرف فهذا بحث آخر - هى من إنشاء الله تعالى وكلامه.

وإن الإنجيل فى اللغه هو البشاره الملكوتيه، والتوراه هى الشريعه وهى مكتوبه فى الألواح النازله على موسى (عليه السلام) من السماء.

وهذا نحو من التنزل فى الكتب السماويه، وهى تنزل ألقاظ منقوشه، والمهم أن ظاهر الآيات، والروايات أنها من إنشاء الله تعالى، وكلامه، وليس من إنشاء الأنبياء (عليهم السلام) وهذه حقيقه ثابتة بغض النظر عن التحريف فى النسخ المتداوله عدا النسخ الموروثه من الأنبياء (عليهم السلام) لدى صاحب العصر والزمان.

والحديث يدور تارة عن القرآن الكريم نفسه، وعن الكتب السماويه الأخرى نفسها، وتاره أخرى يدور حول مطلق الفيض الإلهى، والوحيانى من أن ما يبلغه النبى (صلى الله عليه وآله) هل هو عن الله عَزَّ وَجَلَّ مستقيماً وهذا من أعظم أنواع الوحي ومن أعظم رافد وحيانى علمى عن الله عَزَّ وَجَلَّ.

وبكلمه أخرى يقع البحث فيما يتلقاه النبى (صلى الله عليه وآله) أنه هو أكمل أنواع الوحي مما يمكن أن يتنزل، وتارة يقع الحديث فيما قد تلقاه النبى (صلى الله عليه وآله) أنه تنزل بشكل شفاف ولم يتلون بشىء أبداً: وَ بِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَ بِالْحَقِّ نَزَلَ (١).

ص: ١٠

إن الماديه والحسيه الغريبه تغتصب نفسها لتقرأ الوحي والنبوه بعين حسيه لا- بعين عقليه والحال أن الوحي ليس شيئاً مرئياً بالحواس الظاهره، بل شأنه وشؤونه شأن الموجودات الكثيره والحقايق العديده غير المرئيه، وكم هي كثيره تلك الأمور بل المساحه الأكبر من الحقيقه هي غير مرئيه ومن ثم تواصل العلوم مسيرتها الباحثه بلا نهايه ولا انقطاع لإيمان كل البشر أن الحقيقه المجهوله لا متناهيه، مع أن المجهول اللامتناهي من الحقيقه غير مرئي إلا أن الإيمان الراسخ عند الباحثين في كل علم لدى كل جيل بشري متعاقباً بوجوده يدفعهم لطلب معرفته تفصيلاً.

وهذا الإيمان - بغير المرئي غير المحسوس من الحقيقه المجهوله - لا- يخمد ولا- ينطفئ بل يزداد توقداً وانبعاثاً وفاعلياً كلما إزداد الباحث معرفه، فكأنما أزدىاد المعرفه يزيده تنبهاً إلى سعه وواسعيه المجهول من الحقايق والحقيقه.

ومع هذا الأشتباه الذي يقع فيه ذوى المنطق الحسى المادى فى قراءه ومعرفه الوحي يلتبس عليهم ذلك ويدعون أنها قراءه عقليه وعقلانيه لمقوله الوحي، فيقعون فى خلط بين الحس والعقل مع أن مقوله العقل هي الأخرى غير محسوسه ولا- مرئيه بل هي مهمينه وحاكمه على تنظيم المحسوسات والتدقيق فى سلامتها وسلامه نتائجها وكيفيه الاستنتاج منها، لاسيما بعد أن تنبه الباحثون فى العلوم إلى مئات الأنواع من أخطاء الحس وإدراكاته، وتنبهوا إلى عدم إحاطه الحس بأمر كثيره لا بد من معرفتها وأخذها فى الحسبان فى البحوث العلميه ومعادلاتها.

فمع هذا التمييز لا مجال للخلط بين القراءه الحسيه لمعرفة الوحي وبين القراءه العقليه العقلانيه لمعرفة الوحي، ومنه يتبين وهم وخلط آخر أرتكبه من حصر أنواع الوحي فى نزول ومجىء جبرئيل إلى النبى (صلى الله عليه وآله) مع أن ذلك واحد من متوسطات أنواع الوحي لا أعاليها ولا حصرها بها إذ أنواعه لا تقف على عشرات فضلاً عن الآحاد.

كما أن أنواع الوحي تختلف فى الأحكام التكوينية بيون شاسع بحسب طبقات الوحي وطبقات الذات الإنسانية النبويه.

وكل هذه التفصيلات عناوين لأقسام وأبواب من البحوث المعرفيه.

ثم إن طبيعه خزن المعلومات والعلوم بتوسط الوحي فضلاً عن كون أنواع وطبقات من الوحي ليست بنحو صورته للمعلومات بل بنمط نفس الحقايق والحقيقه لواقعيات الأشياء، كما أن حقايق وحقيقه كل شىء ليست بنمط وجودى واحد، وقد بين القرآن الكريم طبقات حقيقه الذات النبويه، تاره بأنه بشر مثلكم، وأخرى (يوحى إلى)، وثالثه وَ لَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبَسُونَ، ورابعه أُنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً، وخامسه (يس)، و(طه)، وكثير من الحروف المقطعه أوائل السور المرده بذكر القرآن، وهى مقامات غيبية فوق مقام القرآن، وسادسه إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى، وسابعه فإن كل القرآن ليس إلا شرحاً للذات النبويه بكل سوره وآياته.

الفصل الأول: دور الأنبياء عليهم السلام

إشاره

ص: ١٣

إن عصمه الأنبياء في التبليغ والإبلاغ، هي من المعتقدات الرئيسية عند أغلب المسلمين، ومن هنا نرى ما أثاره الكاردينال جان يوس توان والبابا نفسه حول مسأله الحوار الأدياني حيث طرحوا هذا السؤال: من أنه كيف يمكننا أن نفتح حوار مع المسلمين وهم يعتقدون أن ألفاظ القرآن الكريم هو من كلام الله وهو وحياني، أي ليس من تأليف النبي (صلى الله عليه وآله)، لأن النصراني يعتقدون أن التوراه أو الإنجيل اللذين هما العهد القديم والعهد الجديد هما من إنشاء الأنبياء (عليهم السلام) وليس من إنشاء الله تعالى.

فهم لا- يعتقدون بعصمه الأنبياء (عليهم السلام) إطلاقاً أي لا في التلقى ولا في التبليغ وغيره، بل يقولون أكثر من ذلك من أن الأنبياء - والعياذ بالله - يكذبون على الله عَزَّ وَجَلَّ: وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا (١).

ص: ١٥

وإن هناك أسباباً متعددة لوقوع أتباع الأديان الأخرى في مقالات مزريه بمقامات الأنبياء وذلك لسوء فهمهم وأحد تلك الأسباب هي سوء فهمهم لحالات الأنبياء، وشؤونهم، وإنه لا عصمه لهم لا في أفعالهم، ولا في صفاتهم، ولا في معتقداتهم، فضلاً عن التبليغ والإبلاغ، ومنشأ هذا الاشتباه هو التشابه كما هو الحال في المحكم والمتشابه، فالاشتباه هو في إدراك الإنسان نفسه - مشتبهاً وغير متشابه - والمهم هناك حالات عند الأنبياء مشتبهه ومتشابهه وتسبب الاشتباه، وهذا الاشتباه - الذي سوف نخوض فيه - سببه الأصلي هو أن الأنبياء ذوى جنبات متعددة مثل قوله تعالى: فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا (١)، فبشر يوحى إليه هذه جنبه بشريه وجنبه أخرى مترقيه عاليه بأنه يستطيع سماع الوحي، والفرق بين هاتين الجنبتين أمر مستعصى على الآخرين، فكيف يمكن التوفيق بينهما، ولذلك قالوا: فَقَالُوا أَوْ قَوْلُهُ تَعَالَى: وَتَوَلَّوْا وَاسْتَعْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ (٢).

لإن جنبه البشريه عندهم لا يمكن أن تجتمع مع جنبه الوحيانيه الإلهيه:

وَقَالُوا لَوْ لَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ (٣)، أو قوله تعالى: وَ لَوْ جَعَلْنَاهُ

ص: ١٤

١- (١) سورة هود: الآية ٢٧.

٢- (٢) سورة التغابن: الآية ٦.

٣- (٣) سورة الأنعام: الآية ٨.

مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَ لَلْبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ (١).

هذا أحد الأسباب الرئيسيّة التي أدت باليهود، والنصارى إلى وصف الأنبياء بأوصاف طاعنه في عصمتهم من أنهم يكذبون على الله تعالى وإنهم لا يصدقون في كلامهم بمعنى إنهم غير معصومين مطلقاً.

هذا هو التشابه في أحوال الأنبياء لديهم، والسبب الثاني لطعنهم في الأنبياء هو إن ترك الأولى عند الأنبياء - كما هو تفسيره لدى منهج أهل البيت (عليهم السلام) وعلماء الإمامية - فيه ما يوهم مخالفه الأنبياء للأوامر الإلهية، من قبيل: وَ عَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى (٢)، ومن قبيل قوله تعالى: قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ (٣)، ومن قبيل قوله تعالى: إِنِّي أَعْطُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ وكذلك من قبيل قوله تعالى: وَ ذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ (٤)، وغير ذلك من الموارد العديده التي ذكرها القرآن الكريم.

فهذه الموارد تعتبر عند النصارى واليهود مخالفاتٍ عصيانية تمردية أو خيانات من الأنبياء إلى برنامج السماء، لأن كل مخالفه عندهم معصيه وهي خيانه.

ص: ١٧

١- (١) سورة الأنعام: الآية ٩.

٢- (٢) سورة طه: الآية ١٢١.

٣- (٣) سورة هود: الآية ٤٦.

٤- (٤) سورة الأنبياء: الآية ٨٧.

وهناك جملة أخرى من حالات الأنبياء (عليهم السلام) التي استعصت على اليهود والنصارى بل وتستعصى على جملة من علماء المذاهب الإسلامية الأخرى، وهذا ما نراه جلياً في إحتجاجات الإمام الرضا (عليه السلام) في جلسته حوار الأديان والمذاهب التي عقدها المأمون بمشاركه واسعه من علماء الطوائف والأديان، فنلاحظ أن الإمام الرضا (عليه السلام) بين عصمه الأنبياء بكمال الدقة والتمانه والاستدلال والبرهان، بينما علماء المذاهب الأخرى كانوا يصرون على عدم عصمه الأنبياء (عليهم السلام) (١).

في حين المذهب الوحيد الذى يصر على عصمه الأنبياء (عليهم السلام) هو مذهب أهل البيت (عليهم السلام)، فنحن نصف يعقوب، ويوسف، وعيسى، والأسباط، بل جميع الأنبياء نصفهم بالعصمه المطلقة والاستقامه، وهذا تبعاً لمتواتر روايات أهل البيت (عليهم السلام) وتبيانهم لمحكمات تعاليم القرآن، فإن أهل البيت (عليهم السلام) ينزهون أنبياء الأمم السابقيه والديانات السماويه الأخرى ويعظمونهم أكثر من علماء تلك الأمم.

وهذا ما أشار إليه السيد عبد الحسين شرف الدين فى كتاباته حتى أفاق بسببها الشيخ شلتوت من نومته، وكثير من علماء النصارى، فلا يوجد مذهب على وجه الأرض يدافع بهذا المستوى والنمط عن عصمه الأنبياء (عليهم السلام)، وهو

الذى يحمل رايه وحده الأنبياء (عليهم السلام)، وإن كل الأنبياء بعثوا بدين واحد وهو الإسلام ولكن الاختلاف فى تعدد الشرائع، قال تعالى: لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَ مِنْهَا جَاءَ (١) وقال تعالى: إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ (٢)، فهناك فرق بين دائره الدين ودائره الشرائع ودائره المنهاج ودائره المله.

فوصف الأنبياء بالعصمه، والسداد، والصدق، والأمانه لا تجده بشكل كامل عند غير مذهب أهل البيت (عليهم السلام)، بل هناك بعض علماء المذاهب الإسلاميه الأخرى ربما يقولون بإمكانيه عدم العصمه حتى فى التبليغ، وقد أستدلوا على ذلك بقوله تعالى: وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلَقَى الشَّيْطَانَ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٣).

وزعموا أن معنى الآيه أن هناك احتمال إمكانيه للشيطان فى التأثير على النبي (صلى الله عليه و آله) إما على مرحله ما يتلقاه (صلى الله عليه و آله) من الله تعالى، أو مرحله إبلاغه (صلى الله عليه و آله) فيما يتلقاه من السماء، وإن كان المتأخرون المعاصرون منهم الآن يرفضون ذلك ولكن المتقدمين منهم يشيرون إلى ذلك مع أن القرآن ينفى ذلك بشكل قاطع: وما تنزلت به الشياطين وما يتبغى لهم وما يشتهيون* إنهم عن السمع كمغزولون (٤).

ص: ١٩

١- (١) سورة المائدة: الآيه ٤٨.

٢- (٢) سورة آل عمران: الآيه ١٩.

٣- (٣) سورة الحج: الآيه ٥٢.

٤- (٤) سورة الشعراء: الآيه ٢١٠-٢١٢.

تشيد أهل البيت لأركان الدين:

يقول الميرزا النائيني: هناك جملة من المباني الراسخة الشامخة والقواعد الإعتقادية التي لم بينها في الإسلام إلا- أهل البيت (عليهم السلام)، مثل نفى الجبر والتفويض، ونفى التجسيم، وكذلك عصمة الأنبياء (عليهم السلام) حيث أن أهل البيت (عليهم السلام) تشددوا في مثل هذه الأمور الإعتقادية بخلاف غيرهم من المذاهب الإسلامية.

العصمة وعموم المسؤولية:

بل حتى العرفاء والصوفية لم يستطيعوا أن يعوا ويهضموا الحكمه وراء إصرار أهل البيت (عليهم السلام) على عصمة الأنبياء (عليهم السلام) في كل شيء.

فلو نظرنا إلى أصول الدين من التوحيد والنبوه والإمامه والمعاد نرى إنها مقترنه بعضها ببعض، وهي تعتبر مسؤوليه التكليف، فإن أصل النبوه، والإمامه، والمعاد هي أبواب ومظاهر للتوحيد: يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمامِهِمْ (١)، فلقاء الأمم به تعالى يحصل بوافد رائد هو الإمام.

فترى كلها تصب في تحميل الإنسان مسؤوليه التكليف، وإذا قال قائل أنا موحّد، نعم أنت موحّد ولكنك لم تعتقد بعصمه الأنبياء (عليهم السلام) وبالتالي سوف تفتح المجال والباب لعدم المسؤوليه لأنك لا تعتقد بالحجه البالغه الواصله للعباد وبالتالي البعد عن الدين.

ص: ٢٠

ولهذا نجد أن بعض الصحابه لعدم اعترافهم بعصمه النبي (صلى الله عليه وآله) كانوا يعترضون عليه فى بعض الأمور كما سيتضح فى جملة من موارد القرآن الكريم، ولهذا نرى فى كتب الفقه من المذاهب الأخرى يرون الاجتهاد على النبي (صلى الله عليه وآله) جائز، حيث يذهبون فى علم الكلام وأصول الفقه أن النبي (صلى الله عليه وآله) يجتهد أى يستنتج إلا أن الكثير منهم يقول ولكن الله يسدده.

ويستدلون على أن الأنبياء (عليهم السلام) يجتهدون، ويستنتجون، ويخطأون من بعض الآيات القرآنيه مثل قوله تعالى: يا إبراهيم أعرض عن هذا إنه قد جاء أمر ربك (١).

وغير ذلك من موارد العتاب التى يفسرها مذهب الإماميه بترك الأولى، فى حين البعض يفسرونها بالاجتهاد الخاطى للأنبياء ولكن الله سددهم فيها.

إن هذه النظره سببها عدم فهم حقيقه النبوه، وهكذا مقوله بعض الصحابه فى رزيه يوم الخميس عندما طلب النبي (صلى الله عليه وآله) دواه وقلم، قال: إن النبي ليهجر.

فقد روى عن ابن عباس: أشد برسول الله (صلى الله عليه وآله) وجعه يوم الخميس، فقال:

«أئتوني بكتاب أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً» فتنازعوا ولا ينبغي

ص: ٢١

عند نبي تنازع، فقالوا هجر رسول الله (1). وفي بعضها: «إنَّ النبي يهجر».

وعن ابن عباس (رضى الله عنه) قال: لما حضر رسول الله (صلى الله عليه وآله) وفي البيت رجال فقال النبي (صلى الله عليه وآله) هلموا أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده فقال بعضهم أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قد غلبه الوجد وعندكم القرآن حسبنا كتاب الله فأختلف أهل البيت واختصموا فمنهم من يقول قربوا يكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده ومنهم من يقول غير ذلك فلما أكثروا اللغو والاختلاف قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) قوموا (2).

ومن خلال هذه الرواية يتضح أن الحاضرين عند النبي (صلى الله عليه وآله) انقسموا إلى فريقين، فريق منهم يرد على القائل - حسبنا كتاب الله - وفريق آخر مع هذا القائل.

وإن قائل هذه العبارة - حسبنا كتاب الله - بغض النظر عن الدواعي السياسي والاجتماعي الأخرى تنطوي في مخيلته، واعتقاده، أنه هو والبقية أعرف وأفهم بكتاب الله من النبي (صلى الله عليه وآله)، هذا على أقل تقدير في مفاد ومعنى هذه العبارة من هذا المتكلم.

القيم معلم إلهي للقرآن:

ويعترض على مدرسه أهل البيت (عليهم السلام) أنها تقول أن القرآن يحتاج إلى قيم، وإنما تقول يحتاج إلى قيم على تعليم البشر وفهم ما في القرآن، ويوجد في

ص: ٢٢

١- (١) صحيح البخارى ج ٣١: ٤.

٢- (٢) صحيح البخارى ج ١٣٨: ٥.

ذلك عدّه آيات تشير إلى هذا المعنى، من قبيل قوله تعالى: وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ١ ، وكذلك قوله تعالى: هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمَمِيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ ٢ . ويتلو أى يُبلِّغ: وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ ٣ ويعلمهم بغير يتلو آياته: وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ٤ ، والحكمه هنا بتمام أطرافها.

وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ .

إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ .

بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ .

إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا .

القرآن والحكمه:

منهج المعرفة:

هذا نظير ما يقال أن العقل البشرى هو المنبع الوحيد للحكمه النظرية فلا- يوجد دور لحجيه العلوم النقلية في الحكمه النظرية والعملية، وهي مقوله

(حسبنا العقل) ولا نحتاج إلى الحكمه من قبل النبي (صلى الله عليه و آله)، فإذا كان الحال هو (حسبنا العقل) فى الفلسفه أو فى الحكمه النظرية والعملية، فلماذا يقررون فى تعريف الفلسفه، والحكمه البشريه أنها فهم الحقيقه والواقع على قدر وطاقه القدره البشريه وهل الحقيقه والواقعيه تضيق بقدر ودائره الطاقه البشريه أم أن الحقيقه والواقعيه أوسع من ذلك بما لا يتناهى والبشريه على هذا مضطره إلى هدايه السماء فى معرفه الحقيقه الواقعيه، وعندما نقرر ضروره الاضطرار إلى هدايه السماء لا يعنى ذلك عدم ضروره فهم العقل لكن ضرورته لا تعنى انفراده ولا استغناؤه عن الوحي.

كلا وإنما الكلام هو فى المنهج الأمثل من البحث العقلى الذى لا بد منه، فى مقابل البحث العقلى المنغلق على القدره البشريه وهو أن نقول حسبنا عقولنا وليس للبحث النقلى أى دور.

ولماذا نستعرض كلمات العلماء والحكماء الأوائل والأواخر عند البحث، هل للتعبيد أم لتوسعه الأفق. وهل الأفق لا يتسع لو استعرضنا الآيات القرآنيه كأحد الأقوال، وكذلك أحد الأقوال هى الروايه التى تنسب إلى الإمام الصادق (عليه السلام) كهذه الروايات التى تنسب إلى أرسطو أو إلى أفلاطون أو إلى هيكل أو ديكارت أو كانت وغيرهم مع فارق كبير أن هؤلاء بشر بقدرات محدوده بخلاف ما ينسب إلى الوحي فإنه أفق لامحدود وان لم يكن التعاطى معه تصديقى بل تصورى محض.

فلا تنظر إلى من تنسب ولكن أنظر إلى ماده البحث. فلماذا هناك عنايه بمقوله ومقولات الشرق والغرب أكثر من غيرهم، وليس المنهج أن تلك

المقولات لا تفيد بل توصيه الكتاب هي الانفتاح على الجميع: الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ (١)، وليس لدينا حبس على قول دون قول ولكن لماذا لا نسمع قائل يسمى الباري تعالى في القرآن الكريم، وهذا قد يكون تصوراً لا تصديقاً أى لا تأخذه مأخذ التصديق من دون معرفه دلائله البرهانيه، ما المانع فى ذلك؟ ولماذا نرمى بالخطأ العلمى لو ذكرنا آيه فى بعدها التصورى المؤدى إلى التصديق البرهانى فى الإستدلال العقلى؟.

وإذا كان الفحص فى كلمات الفلاسفه من الاشراقيين والمشاء واليونان أو السفسطائين ليس لأجل التعبد بأقوالهم بل لأجل توسعه أفق التصور كما هو الحال فى استعراض كلمات العلماء والحكماء البشريين الأوائل والأواخر سواءً الكلمات المنسوبة إلى أرسطو أو إلى أفلاطون أو إلى هيكل من فلاسفه الغرب أو ديكارت أو غيرهم بل لا ينظر إلى النسبه ومدى درجه صحتها بقدر ما ينظر إلى ماده العلميه المتضمنه فى الكلام نفسه فالبحث ينصب فى تصور المعطيه نفسها وإمكان استخراج دلائل تصديقيه منه، فإذا كان الحال كذلك فى كلمات هؤلاء البشر بهذا المنهج وبهذا اللحاظ فكذلك الفحص فى آيات القرآن والروايات المنسوبة إلى النبى (صلى الله عليه و آله) والأئمه من أهل البيت (عليهم السلام) لماذا يتعد الباحث العقلى فى المسائل المعرفيه عن الفحص فى المصادر النقليه لأجل الوقوف على أفاق تصوريه وللتنبه لدلائل تصديقيه مطويه فى تلك التصورات، بغض النظر عن درجه صحه نسبه الروايه إلى أحد

ص: ٢٥

المعصومين (عليهم السلام)، و لماذا هذا الانحسار عن البحث في معطيات المصادر النقلية لاسيما وأن الأبواب والمباحث المذكوره في القرآن والحديث في مسائل الحقيقه والواقعيه لم تأت في تصور الجهد البشرى في الفلسفه، ونذكرها لأنها آيه يصدق بها على إجمالها وإبهام معناها، بل للإستدلال العلمى بالمضمون الذى فيها، أو روايه ولو كانت ضعيفه السند على الأقل على حد كونها أحد التصورات أو أحد الاعتراضات فى موضوع ما، فما هو المانع من ذلك لاسيما أن فى البحث العقلى إذا أتى بالتصور أو الإحتمال بطل الإستدلال، فالإحتمالات ذات أهميه بالغه فيكون الفحص فى الأدله النقليه فى بعدها العقلى لا أقل لإثراء الإحتمال لنفس الإحتمال الذى هو ذو خطوره فى المنهج العقلى.

فهذه المقوله (حسبنا العقل البشرى) يعنى أن عقلنا يمكن أن يحصى كل صغيره وكبيره بنفسه من دون حاجه إلى مدد الوحي السماوى، كيف يمكن صياغته كمنهج علمى؟ وذلك لا يعنى أن العقل يشطب أو ينبذ وهذا إفراط، فى مقابل الإفراط القائل حسبنا العقل، ولو كان العقل يكتفى به فلماذا (المشاء) أو (الإشراق) أو (المتعاليه) يكتبون فى تعريف الحكمه والفلسفه (معرفه الحقيقه والواقع على قدر وسع القدره البشريه).

فهل الحقيقه تقيده بالطاقه البشريه، وإذا كان كذلك فإن هذا يدل على أن البشر بأنفسهم لا يستطيعون أن يبلغوا كل الحقيقه بطاقتهم وإلا هذا القيد ما دوره؟

والى هذه الحاجه البشرىه يشير قوله تعالى: وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ ، أن البشر يحتاج إلى الأنبياء والوحى فى تعلم الحكمة سواء أنظرياً أو عملياً. وليس هذا إقصاءً للعقل، فالعقل لا يقصى، فإن مداريه حجيه العقل ومركزيتها فى الفهم وكمتعلم، لا تتصادم مع حجيه القرآن والعتره كمعلمٍ ومنبهٍ ومذكرٍ بالحقيقه والواقعيه الحقه المنسيه فى فطره العقل، والحجيه للوحى كمعلم هى حجيه العلم والقطع فوق الحجيه التعبدية للظن.

هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ وَالْآيَةَ تَشِيرُ إِلَى أَنَّا نَحْنُ الْبَشَرُ لَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَزَكِّيَ أَنْفُسَنَا بِأَنْفِرَادِنَا مِنْ دُونِ بَرَامِجٍ وَرَعَايَةٍ وَحَيَانِيَةٍ مِنَ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آَلِهِ) وَسَنَنِهِ بَلْ وَلَا مِنْ دُونِ خَلْفَائِهِ مِنَ الْأَثْمَةِ (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ)، وَأَنَّ الْمُرْشِدَ الْبَشَرِيَّ أَوْ أَسْتَاذَ السَّيْرِ وَالسَّلُوكِ لَوْحَدِهِ لَا يُمْكِنُهُ تَرْبِيَةُ الْبَشَرِ بِدَرَجَةٍ كَامِلَةٍ وَلَا تَرْكِيَةَ الْإِنْسَانِ سِوَاءَ عَلَى صَعِيدِ التَّنْظِيرِ لِلتَّرْكِيهِ أَوْ عَلَى صَعِيدِ التَّطْبِيقِ وَالْعَمَلِ التَّرْبَوِيِّ وَإِلَى هَذَا يَشِيرُ قَوْلُهُ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آَلِهِ): إِنَّمَا بَعَثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ، وَكَمَالَ التَّرْكِيهِ هِيَ فِي الْأَصْلِ مِنْ سَنَنِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آَلِهِ)، فَفِي الْحَدِيثِ:

«إِنَّمَا الْعِلْمُ ثَلَاثَةٌ: آيَةٌ مُحْكَمَةٌ، أَوْ فَرِيضَةٌ عَادِلَةٌ، أَوْ سَنَةٌ قَائِمَةٌ وَمَا خَلَا مِنْهُ فَهُوَ فَضْلٌ»^(١) ومفاده يبين أن العلم الذى يفتقر إليه البشر لا يختص بالمعارف حول الحقيقه والواقعيه فى الرؤيه الكونيه بل يشمل برامج ونظام التربيه الروحيه ونظام

ص: ٢٧

فالفريضة العادله هى إشاره إلى فقه الفروع، والسنة القائمه إشاره إلى تهذيب النفس والأخلاق، والآيه المحكمه تعنى العقيدته، فهذه خنادق ثلاث إذا أحكمها العالم بالتعلم من مواد الوحي وبفهم العقل لن يقع أسير الجهل والجهاله وسوف يتمكن من حمايه الصواب ويرعى حمى الدين.

فتبين أن مقام وشأن النبي (صلى الله عليه و آله) ليس هو الإبلاغ فقط (يتلو) بل معلم (يبين) و (يعلم) ومربي (يزكى)، وهذا ما أشارت إليه آيات عديده من الكتاب الكريم كقوله تعالى: وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (١).

وكذلك قوله تعالى: وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ (٢)، وقوله تعالى: لَا تَحْرُكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ (٣).

وقوله تعالى: أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ (٤).

وجمله من العامه يذهبون إلى أن الأنبياء (عليهم السلام) يجتهدون ولا يصلون إلى

١- (١) سورة النحل: الآية ٦٤.

٢- (٢) سورة طه: الآية ١١٤.

٣- (٣) سورة القيامة: الآية ١٦ - ١٩.

٤- (٤) سورة آل عمران: الآية ٧.

الحقيقه إلا عبر إعمال الفكر سواء أكان إجتهاداً بصورة قطعيه أو إجتهاداً بصورة ظنيه.

وهذا المعنى ينطوى على أن الوحي النازل إليهم هو مجرد أصوات أو ألفاظ أو معانى، وربما فى زعم هؤلاء فى أحسن أحوال النبى والأنبياء أنهم مسجل للصوت قوى فى الحفظ إن لم يكن مسجل حسى مادى أو جهاز مسجل ملكوتى له قدره برزخيه وهذا هو غايه مقام النبى (صلى الله عليه و آله)، وهذا ما سيأتى الحديث عنه إن شاء الله عند التعرض لتعريف النبوه فى كلام المتكلمين.

بل توجد هذه المقاله لدى عدّه من متكلمى الخاصه، ولا يهم التعرض إلى من قال بل التركيز على تحرير نفس المقاله لأنه بحث علمى فهو (ما قيل لا من قال).

ويزعمون أن النبى (صلى الله عليه و آله) عنده استنباط: الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ (١)، والأستنباط معنى عام وخاص ومطلق ومقيد وهذا هو الإستنتاج ومعناه الإجتهد، والإجتهد القطعى صورته قطعيه وواقعه ظنى فقد يخطأ وقد يصيب، نعم هناك فرق بين هذه المقاله وهى أن نقول أن طريق الأنبياء للوصول بالنتائج والحقائق عبر الإستنتاج وإعمال الفكر وبين أن نقول أن النبى (صلى الله عليه و آله) لا يخفى عليه الواقع ولا يرى الواقع من وراء حجاب الفكر وحجاب المعانى بل هو محيط بالواقع أيضا يُعلم كيف يوصل الآخرين من خلال أداه الفكر إلى النتائج وهذا بحث آخر وطرح آخر.

ص: ٢٩

بل إن العرفاء لهم مثل هذه النظرة تجاه الأنبياء (عليهم السلام)، كما هي عند الفلاسفة والمتكلمين فكما أن أدواه العلم لديهم هي الفكر والنظر فالأنبياء (عليهم السلام) كذلك من أدواه العلم لديهم الرياضه القليه فكما أن المرتاض يرتاض كى يصل إلى إنفتاح قلبه كذلك الأنبياء (عليهم السلام)، مثل الكاهن يرتاض فينفتح قلبه فيصل إلى بعض المشاهدات العيانيه أو المكاشفات فى الخواطر والفكر هم عندهم النبوه هكذا كالرياضه ومن خلالها يصل إلى بعض المشاهدات أو إلى بعض المكاشفات وهلم جراً.

ولا ريب أن هذه النظرية قاصره عن تصوير حقيقه القرآن الكريم وعن حقيقه تأديه الوحي الربانى الإلهى إلى سائر البشر.

وهل أمانه الأنبياء (عليهم السلام) وصدقهم تقتصر فى أنهم حافظه صوتيه لما يلقى إليهم أو وعاء خواطر ومعان فقط ثم ينزلون به إلى البشر فيبلغوهم من دون تصرف، وهذا التلقى من الأوعيه الصوتيه ليس بإمكان بقيه البشر، وإنما أختص وأمتاز الأنبياء (عليهم السلام) فى ذلك عن غيرهم من البشر لأن عندهم الإمكانيه فى تلقى الكلام الصوتى الإلهى والوحي الإلهى من طبقه المعانى والخواطر، من المراتب العاليه جداً إلى المراتب الدانيه.

وَتَعِيهَا أُذُنٌ وَاَعْيَةٌ (١)، فتعيها هي وعاء تستقبل ما يتلقى من الكلام الصوتى الإلهى ثم ينتزل به ويؤديه إلى الآخرين. وهذا الوعاء يوضع فيه شيء ليس

ص: ٣٠

إلا، ويملاً فيه شيء ثم يؤدي إلى الآخرين.

وهذا تفسير المتكلمين والمدارس الإسلاميه الأخرى، عن صدق وأمانه الأنبياء (عليهم السلام) وفي مقابل ذلك تفسير مّر بنا للعرفاء والصوفيه مشابه من أن الأنبياء (عليهم السلام) يرتاضون فيشاهدون ويفسرون الوحي والكلام الإلهي بتلقى النبي (صلى الله عليه وآله) أو الأنبياء (عليهم السلام) ثم بعد ذلك ينزلونه إلى المراتب النازله وعند ذلك سوف يتلون وينصبغ بالنفس النبويه بمعنى أنه يتأثر بذلك فبالتالي ما ينزل هو بالحقيقه متولد من نفوس الأنبياء (عليهم السلام) وما يؤدي من الأنبياء (عليهم السلام) بأنه من فعل الأنبياء (عليهم السلام)، وأنه من نتاجهم وامتزاج الوحي بتلاوين ذواتهم، في حين نرى القرآن الكريم يجعل تعليم الكتاب كله والحكمه من مسؤوليه ووظائف سيد الأنبياء، فكيف يكون المعلم مع المتعلم سيان هذا مما لا يمكن.

أوصاف القرآن اللامحدوده بحد وغير المقدره بقدر:

١ - وَ مَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَ الرّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ (١)، فالتأويل هو أيضاً من مدارج ومن أجزاء أو أقسام القرآن الكريم، فكما توصف ألفاظ المصحف الشريف بأنه تنزيل فكذلك هناك في القرآن معاني توصف بأنها تأويل للقرآن، ثم أنه هناك بعض الأوصاف العظيمه للقرآن الكريم وتلك الأقوال التي مرت في تفسير الوحي لا تستطيع تصوير هذه الأوصاف

ص: ٣١

١- (١) سورة آل عمران: الآية ٧.

٢- مثل وصف القرآن باللامتناهى: قُلْ لَوْ كَانَ الْبُحْرُ مِدَاداً لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبُحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي (١).

فالذى يصور القرآن أنه مجرد هذه الألفاظ أو العلوم فى القرآن أو معانى القرآن اللامتناهيه ولو كان القرآن مجرد أصوات وألفاظ تحفظ فى وعاء علوى ينتزل ويوصله النبى (صلى الله عليه و آله) إلى بقيه البشر فأين إذن الشىء اللامتناهى:

وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبُحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢) فلا يستقيم تفسير الوحي بمجرد سماع أصوات أو أدراك معانى فى قوه الفكر فإن هذا التصوير لا يقرر اللاتناهى.

٣ - ووصف آخر يوصف به القرآن الكريم بأنه جبل ممدود طرف منه عند الناس وطرف عند الله عَزَّ وَجَلَّ، فعن أبى سعيد الخدرى أنه قال: «قال رسول الله (ص):

إنى تارك فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر: كتاب الله جبل ممدود من السماء إلى الأرض طرف منه عند الله ، و طرف منه فى أيديكم ، فأستمسكوا به ، و عترتى» (٣)(٤).

ص: ٣٢

١- (١) سورة الكهف: الآية ١٠٩.

٢- (٢) سورة لقمان: الآية ٢٧.

٣- (٣) شرح الأخبار للقاضى النعمان المغربى ج ٤٧٩: ٢، ح: ٨٤١، الغيبه للنعمانى: ٣٧، مجمع الزوائد للهيثمى ج ١٦٣: ٩، سنن الترمذى ج ٣٢٩: ٥، باب مناقب أهل بيت النبى (صلى الله عليه و آله) المصنف لأبن أبى شيبه الكوفى ج ١٧٦: ٧، مسند أبى يعلى الموصلى ج ٢٩٨: ٢.

٤- (٤) وأسند الزمخشرى إلى النبى (صلى الله عليه و آله) فاطمه مهجه قلبى وأبناها ثمره فؤادى وبعلمها نور بصرى، والأئمه من ولدها أمناء ربى، جبل ممدود بينه وبين خلقه من أعتصم به نجى ومن تخلف عنه هوى، الصراط المستقيم لعلى بن يونس العاملى ج ٣٢: ٢، البحار ج ١٨٧: ٤٧، صله الرحم وقصه ملكين من بنى إسرائيل.

وفى روايه أخرى عن رسول الله (صلى الله عليه و آله): «قد خَلَّفْت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتى أهل بيتى، وهما الثقلان:

كتاب الله الثقل الأكبر جبل ممدود من السماء إلى الأرض سبب بأيديكم وسبب بيد الله عَزَّ وَجَلَّ، وإنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض، فلا تقدموهم فتمرقوا ولا تأخذوا من غيرهم فتعطبوا، ولا تعلموهم فإنهم أعلم منكم» (١).

فوصفه بأنه حقيقه ممتده من عند الله تعالى فى غيوب الغيب متصله تنزلاً إلى الأرض، فكيف ينسجم هذا الوصف لحقيقه القرآن مع دعوى كونه مجرد ألفاظ صوتيه أو معانى ومفاهيم فى الفكر والخواطر.

ومن خلال هذا يتضح أن القرآن الكريم حقيقه عينيه ذات مدارج تكوينيه فى العوالم، مدارجها العلويه الملكوتيه عند الحضرة الإلهيه، فالطرف الذى عند الله عَزَّ وَجَلَّ يعنى فوق البرزخ وفوق الملكوت عند الله، وإذا كانت حقيقه القرآن بهذا النمط فلا بد أن يتصور ويفسر الوحي بنمط يتلائم مع حقيقه القرآن ولا يقتصر على كونه سماعاً ملكوتياً لأصوات أو مكاشفه معانى أو مشاهده قلبيه.

٤ - ومن أوصاف القرآن الكريم ما ورد فى الكتاب الكريم: وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ

ص: ٣٣

١- (١) البحار ج ٦٥: ٣، باب (١٨) فى ذكر ما كان من حيره الناس...

وَرَقَهُ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (١).

فأحد منازل القرآن الكريم ومقاماته هو الكتاب المبين، وفيه كل شيء مستطر، وقد وردت كلمة (الكتاب المبين) في عدة آيات:

منها: وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَضِغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (٢). ما يعزب عن ربك من مثقال ذره في الأرض ولا في السماء، السماء الأولى، أو الثانية أو الثالثة أو الفضاء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين.

أما الآية الأخرى في قوله تعالى: وَمِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (٣). فكل دابة رزقها وتقديرها وحياتها وبرنامجه الكوني كل ذلك في كتاب مبين.

ومنها: قوله تعالى: وَمِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (٤)، أي كل غائبه مستقبليه طبعاً.

ومنها: قوله تعالى: حم * وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ * إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ ٥.

ص: ٣٤

١- (١) سورة الأنعام: الآية ٥٩.

٢- (٢) سورة يونس: الآية ٦١.

٣- (٣) سورة هود: الآية ٦.

٤- (٤) سورة النمل: الآية ٧٥.

ومنها: قوله تعالى: الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ (١).

ومنها: قوله تعالى: تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ (٢).

إذن القرآن الكريم يستوعب عوالم متعددة لا أنه يستوعب مجرد عالم الدنيا، بل له تلك السعة المترامية التي ليس من شأن قدره المخلوق بحيث كل ما فى عالم الأرض وعوالم الخلقه من الذره إلى المجره، ماضيها ومستقبلها.

فالقرآن الكريم يهيمن على كل العوالم من عالم الخلقه السفلى إلى عالم النور وما بينهما من عوالم كعالم الأرواح وعالم الأبدان وعالم البرزخ، بل حتى عالم الآخره لأنه يعلم مستقر كل دابه هل تستقر فى الجنان أو فى النيران أو فى أى مكان، فالقرآن الكريم محيط بكل تلك العوالم: أَوْ مُعَذِّبُهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا (٣) فلا يقتصر على عالم الدنيا فقط.

وهذه من سمات أوصفات القرآن الكريم، التي خفيت على من يتخيل أن القرآن متلون بالتاريخ، وممتزج ببيئه زمانيه، واجتماعيه خاصه بالجزيره العربيه، بل ليس فى قدره هذا التخيل والقول تصوير وإستيعاب القرآن للنشأه الأرضيه، مع أن القرآن له نشئات وعوالم إلى ما شاء الله، كل

ص: ٣٥

١- (١) سوره يوسف: الآيه ١٠.

٢- (٢) سوره يوسف: الآيه ١ - ٢.

٣- (٣) سوره الإسراء: الآيه ٥٨.

هذه النشآت يحيط بها القرآن الكريم. وأين هذا الشأن من التصوير الأول للوحي بأنه مجرد أصوات أو معاني أو إمتزاج مع الطبيعة النفسانية لذات النبي (صلى الله عليه وآله)، التصوير الأول للوحي لم يكن إلا- لقلقه لسان، وأصوات، وألفاظ أو معاني فكرية في الخاطر أو أحوال نفسانية من المشاهدات.

٥- ومن أوصاف ومنازل ومقامات القرآن الكريم هو أم الكتاب كما في قوله تعالى: يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ (١). وبإعتراف جل المفسرين لا كلهم أن أم الكتاب هي أصل القرآن، فمثل الطبرى يقول في تفسيره أن أم الكتاب هي أصل القرآن الكريم، حيث يقول هي أصل الكتاب (٢).

بل إن أصل القرآن هو فوق أم الكتاب كما في روايات أهل البيت (عليهم السلام)، فكل قضاء وقدر مستطر في أحد منازل القرآن الكريم، فكيف ينسجم هذا مع كون القرآن مجرد أصوات تسمع وتوضع في وعاء وعلمه حافظه تنزل على البشر، والصوفية والعرفاء وإن حاولوا أن يبينوا أن الأنبياء (عليهم السلام) يحيطون أو يستوعبون ما يوحي إليهم وأنهم يتكاملون بما يوحي إليهم ويتحدون وجودياً بما يوحي إليهم، إلا- أنهم لم يتمكنوا من تصوير سلامه - وهو ما يعبر عنه بالصدق والأمانة - وشفافيه الوحي من التلون والامتزاج بقناه الوحي وهي النبوه، كما لم يصوروا الإحاطه التامه من النبي (صلى الله عليه وآله) بما يوحي إليه.

ص: ٣٦

١- (١) سورة الرعد: الآية ٣٩.

٢- (٢) جامع البيان ج ٢٣١: ٣.

نشوء الفرق الصوفيه:

فإن هذه الفرق نشأت فى القرن الثالث أو الرابع وما بعده من إمتداد الفرق الباطنيه الشيعيه، فإن كل الفرق الصوفيه حتى الفرقه الوحيده منها التى تدعى أنها متصله بأبى بكر بخلاف جميع فرقها فإنها تزعم الاتصال بأئمه أهل البيت (عليهم السلام) هى ناشئه من الفرق الباطنيه الشيعيه، ومن ثم فإن إصطلاحاتهم وقواعدهم وتأويلاتهم كلها مأخوذه من الفرق الباطنيه الشيعيه، وقد اعترفت عده من الكتب فى مناهج الملل والنحل بذلك.

والمهم أن الصوفيه أرادوا فى أصولهم أن يصوروا أن النبى (صلى الله عليه و آله) يتكامل ويفيض على الآخريين بما يوحى إليه بدرجة لا- يحيط بها غيره، يعنى لا- يحيط بها غيره من الأفراد النازلين، وهذه جهه إيجابيه فى تفسيرهم للوحى النبوى من أن الأنبياء (عليهم السلام) يعلمون ويعرفون بما يوحى إليهم وهذه الجهه الإيجابيه مفقوده فى القول الأول.

نظريتا المتكلمين والعرفاء فى الوحى:

يتضح من خلال ما مرّ أن هناك نظريتين:

النظريه الأولى: وهى أن الرسل (صلوات الله عليهم) فى جانب أمانتهم وصدقهم هم وعاء حافظ لما ينقل إليهم من الوحى صوتا ومعنى ويحفظون ما يلقى إليهم من درجات العوالم العالیه وينزلون بما يوحى إليهم إلى عموم البشر.

وهذا القول كما مر فيه نقطه إيجابيه وفيه نقاط سلبيه، أما الإيجابيه فهي المحافظه على الصدق والأمانه من الأنبياء(عليه السلام) لما يتلقونه من الوحي إلى سائر البشر.

وأما النقاط السلبيه أنها تجعل الأنبياء(عليه السلام) وعاءاً صوتياً ناقلاً أو قناةً وسيطه لتلقى الوحي الصوتى وتأديته إلى عموم البشر من دون أن يكون هناك تصوير لبقية أنواع الوحي مما هو ليس بصوت ولا- مجرد معان ولا تصوير لوعى الأنبياء(عليه السلام) وإحاطتهم معرفه بعموم وعمق ما يوحى إليهم وعمقه ولاتناهيه، ولا- سيما فى شأن سيد الرسل(صلى الله عليه وآله) وإحاطته بالقرآن الموصوف باللاتناهى الأوصاف التى ذكرها كتاب الله من: **وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** أو: **قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي** ، وغير هذه من الأوصاف اللامحدوده التى ذكرها القرآن الكريم التى تبين أن بحور معرفه القرآن الكريم وعلومه لا تتناهى، فإذا كان القرآن الكريم بهذا الوصف فكيف يتلائم تصوير تأديه هذا القرآن العظيم إلى البشر وتحمل سيد الأنبياء بمجرد كونه وعاء صوتى وحافظ لمقدار محدود من معانى القرآن، بل ربما يعبر بعضهم أن الأذن البرزخيه أو الأذن الملكوتيه للنبي(صلى الله عليه وآله) تسمع وتتلقى ما لا يسمعه كثير من البشر ثم بشرف وعاء تلك الذات الشريفه يتم نقل ما تتلقاه وتعيه إلى سائر البشر، وكيف يمكن تصوير ذلك إذا كانت طبيعه القرآن الكريم طبيعه غير نافده يعنى لا تنفذ ولا تحد ولا تنضب، وإذا كان القرآن الكريم حبلًا

ممدودا من عند الله وطرف منه عنده عَزَّ وَجَلَّ والطرف الآخر عند الناس فكيف يمكن تصويره بأنه مجرد أصوات يعيها الوعاء الحافظ النبوى ويتنزل بها ويؤديها إلى البشر، فلا- ريب أن هذه النظرية قاصره عن تصوير حقيقه الوحي بالقرآن الكريم وعن حقيقه تأديه الوحي الربانى إلى سائر البشر.

النظرية الثانية: وهى نظرية العرفاء أو الصوفيه من أن الوعاء النبوى يتكامل ويتحد بحقائق ما يوحى إليه ثم ينتج عن ذلك التكامل تأديه النبى (صلى الله عليه و آله) أو الأنبياء (عليهم السلام) بما تكاملوا به ووصل إليهم إلى بقيه البشر.

وهذه النظرية وإن كان فيها إلى حد ما تصوير معرفه الأنبياء (عليهم السلام) ومعرفه سيد الرسل (صلى الله عليه و آله) بعمق ما يوحى إليه وأحاطته بذلك ومن ثم تتلافى بعض السلبيات فى النظرية السابقه، ولكن تقع فى سلبيات حاولت النظرية الأولى تفاديها.

الفرق بين النظريتين:

إن النظرية الثانية لم تستطع أن تصور لنا كيف يمكن مراعاة بقاء الوحي وما يوحى سالما عن التغيير والتبديل وهو ما يعبر عنه بالصدق والأمانه وأن ما يؤديه الأنبياء (عليهم السلام) هو عين ما قد يتلقوه، مضافاً إلى ذلك أنها لا تصور فيها لكيفيه إستيعاب اللاتناهى واللانفاد والأستمرار فى الاتصال بالغيب وبحقائق موصوفه بأنها لا متناهيه ولا تحد بحد.

ومن هنا فإن إيجابيات النظرية الأولى هى سلبيه فى المقابل من النظرية الثانية فهم أى أصحاب النظرية الثانية لا يقررون أن ما يتنزل به الأنبياء (عليهم السلام)

ويوصلونه إلى البشر أنه هو كلام الله ومن الوحي، كيف وهو يخالطه تصوير أو تصرف أو تغيير من قناه الوحي من قلب النبي (صلى الله عليه وآله) وروحه وقلبه.

نعم كون الأنبياء (عليهم السلام) يعلمون ويعرفون بما يوحي إليهم جهه إيجابيه فى هذه النظرية الثانيه وتفقدتها الأولى.

أما الجهه السلبيه الموجوده فى الثانيه عكسها المقابل موجود فى الأولى، مع أنهم أرادوا أن يتفادوا السلبيات الموجوده فى النظرية الأولى إلا أنهم لم يستطيعوا أن يتجنبوا جميع السلبيات الموجوده عندهم، ولم يقرروا تصوير أن الوعاء النبوى له قابليه أن يستوعب هذه الصفات القرآنيه من قبيل قوله تعالى: وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ... أَوْ مَا يَغْرُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ أَوْ لَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ... .

التصوير الأوفق:

اشاره

من كل ما تقدم قد تقرر محاوله وليست هي آخر المحاولات من محاولات الاستنباط من الآيات نحاول من خلالها أن نبذل السلبيات بالإيجابيات، ومن ثم نجمع الإيجابيات بقدر الإمكان، وليس هذا عين اليقين وحق اليقين، وإنما هو جهد إستنباطى مفتوح للبحث والدراسه.

وقبل الخوض فى هذا البحث لابد أن نقدم عده مقدمات كى نقرب بعض التصور حول إبلاغ الأنبياء (عليهم السلام) ودورهم الوساطى فى الوحي.

إن الآيات، والروايات قد أشارت إلى أن الوحي ذو أقسام عديدة جداً، ولم يذكرها أو يتطرق إليها المتكلمون، ولم يشيروا إليها من خلال إستنباط الآيات، ولعل السبب في ذلك هو قله فحصهم في روايات أهل البيت (عليهم السلام)، وعدم سبرهم لرواياتهم غوراً، وتدبراً، وتحليلاً، وتنظيراً لمنظومه معانيها ضمن نظام مترابط متناسق، ولا زالت الروايات تحوى أو تعطى إشارات وبراهين لم تأت في كلام البشر، وتنبه على علم، ومعلومات، وحقائق وبراهين في الآيات القرآنيه لم تأت لدى المفسرين في كلامهم.

إن هناك روايات في أصول الكافي أشارت إلى أن الوحي له أقسام عديدة جداً، وليس كما ظنها المتكلمون أو ظنها جملة من المفسرين، وقد روى الصدوق بسنده عن أمير المؤمنين (عليه السلام) بيان فيه أقسام الوحي، وقد سأله رجل عما أشتبه عليه من الآيات:

فأما قوله: وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحِيًّا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ، ما ينبغي لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً، وليس بكائن إلا من وراء حجاب أو يرسل رسولاً فيوحى إليه بأذنه ما يشاء كذلك قال الله تبارك وتعالى علواً كبيراً قد كان الرسول يوحى إليه من رسل السماء فتبلغ رسل السماء رسل الأرض وقد كان الكلام بين رسل الأرض وبينه من غير أن يرسل الكلام مع رسل أهل السماء وقد قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): يا

جبرئيل هل رأيت ربك؟ فقال جبرئيل: إن ربي لا يرى، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): من أين تأخذ الوحي. فقال: آخذه من أسرافيل، فقال: ومن أين يأخذه أسرافيل؟ قال: يأخذه من ملك فوقه من الروحانيين. قال: فمن أين يأخذه ذلك الملك؟ قال: يقذف في قلبه قذفاً فهذا وحي وهو كلام الله عَزَّ وَجَلَّ وكلام الله ليس بنحو واحد، منه ما كلم الله به الرسل، ومنه ما قذفه في قلوبهم، ومنه رؤيا يراها الرسل، ومنه وحي وتنزيل يُتلى ويقرأ فهو كلام الله فأكتف بما وضعت لك من كلام الله ليس بنحو واحد فإن منه ما تبلغ به رسل السماء رسل الأرض (١).

فقد تعرض (عليه السلام) لأقسام عديده من الوحي ومن الكلام الإلهي وقد قسم الوحي إلى ثلاث أقسام في قوله تعالى: وَ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بآذُنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيُّ حَكِيمٍ (٢).

هنا يبين أقسام الكلام الإلهي ثلاثة :

الأول: وهو بمعنى الأخص ومن أرفع أنواعه وهو يتضمن أقساماً أيضاً.

الثاني: تكليم من وراء حجاب كما حصل مع النبي موسى (عليه السلام).

الثالث: يرسل رسولاً أو ملك من الملائكة فيوحى ما يشاء إليه وهو أيضاً على أنماط كما مرّ في الحديث.

ص: ٤٢

١- (١) نور الثقلين ج ٥٨٨: ٤. التوحيد للصدوق: ٢٦٩ - ٢٧٠، الاحتجاج للطبرسي ج ١٢٧: ١.

٢- (٢) سورة الشورى: الآيه ٥١.

هذا مضافاً إلى الوحي التسديدي من الله تعالى والوحي التأييدي لدى الأنبياء والمرسلين في كلامهم وأفعالهم،

هذه هي أقسام الوحي وبالتالي هي أقسام الكلام الإلهي بينما المتكلمون، أو المفسرون، أو جملة من الخائضين في بحوث المعارف قصرُوا تركيزهم في الوحي الإلهي على الكلام اللفظي، أي الكلام بالمعنى الأخص يعني الأصوات والألفاظ. فهل المراد من الكلمة الإلهية أو الكلام الإلهي أو الكتاب هو الأصوات والألفاظ والمعاني فحسب، أم أنه يراد من الكلمة والكلمات والكتاب الإلهي أموراً وحقائق أعظم وأكبر وأعم من ذلك.

ولسنا بصدد إخراج الألفاظ أو الأصوات أو المعاني عن كونها مصداقاً للكلام الإلهي بل في صدد تعميم معنى الكلمة، والكلمات، والكلام والكتاب بما يعم غير ذلك من الحقائق الأخرى.

عيسى عليه السلام كلمة الله:

فمثلاً- إطلق القرآن الكريم على النبي عيسى (عليه السلام) بأنه كلمة الله: **إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ (١)**، وقوله تعالى: **إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ (٢)**. ومفاد الآيات أن إيجاد ووجود عيسى (عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام) تكلم من الله، مع أنه ليس كلاماً صوتياً، فنور النبي عيسى (عليه السلام) وروحه ونفسه وبدنه وما يشتمل عليه وجوده هو كلمة

ص: ٤٣

١- (١) سورة النساء: الآية ١٧١.

٢- (٢) سورة آل عمران: الآية ٤٥.

من كلمات الله، وهو تكلم إلهي، ولكن ليس تكلماً على نمط الأصوات.

وإذا كان النبي (عليه السلام) بوجوده، وروحه، وعقله إلى آخر درجات وجوده وبدنه الشريف، وكل تلك الدرجات من ذاته الشريفه يطلق عليها كلمه الله فهل هذا الأطلاق حقيقي أم مجازي؟

لا- ريب أن النبي عيسى (على نبينا وعلى آله وعليه السلام) كان خلقه ومجيئه وبعثته معجزه إلهيه، حيث إنه ولد من غير أب، وأوتى الكتاب والحكمه صبياً، ونطق في المهد صبياً، ويبرئ الأكمه والأبرص، ويصنع من الطين كهيئه الطير فينفخ فيه فيكون طيراً بأذن الله وغيرها من المعاجز التي ظهرت على يده (عليه السلام) حيث قال تعالى: وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ التَّوْرَةَ وَ الْإِنجِيلَ وَ رَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلَقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَ أُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَ الْأَبْرَصَ وَ أُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَ أُنبئكم بما تأكلون وَ ما تدخرونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمْ إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ (١).

وإن هذا دال على عظمه الله عزَّ وَجَلَّ، وأنه تعالى الله لا- يعجزه شيء، ومن ثم فإن في كلمه الله هذه في الحقيقه دلاله برهانيه وحقيقه. وبالتالي

ص: ٤٤

فإن لوجود النبي عيسى (عليه السلام) دلالات عديدة وعظيمة على عظمه الصفات الإلهية وعلى شؤون إلهيه عظيمه.

وهذا الإعجاز من الله عَزَّ وَجَلَّ وللنبي عيسى (عليه السلام) ودلاله هذا الموجود الذى أوجده الله عَزَّ وَجَلَّ نحو تكلم من الله مع البشر، ومع الجن، ومع بقية المخلوقات، ومع مخاطبين آخرين دلهم هذا التخاطب وهذا التكلم وهذا الإيجاد والموجود على شؤون إلهيه عظيمه، وعلى معانى وأسرار إلهيه عظيمه أيضاً، بل هو حقيقه نوع من نصب الله عَزَّ وَجَلَّ دلاله منه لذوى العقول من الملائكه، ولذوى العقول من البشر، ومن الجن فهو نحو تكلم ونحو إيجاد من الله لذلك الموجود، وذلك الموجود كانت له دلالة تكوينيه وإعجازيه باهره وبرهانیه نورانيه.

فما للكلمه، والتكلم، والكلام من معنى حقيقى يصدق بحقيقه الصدق على إيجاد وموجوديه النبي عيسى (عليه السلام)، ومن ثم قوله تعالى عيسى (عليه السلام) كلمه الله وإطلاق الكلمه عليه لا يشوبه مجاز لا لغوى ولا معنوى ولا عقلى.

مريم عليها السلام والكلمات:

وصف الله عَزَّ وَجَلَّ مريم (عليها السلام) بأنها مصدقه بكلمات ربها: **وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا إِيمَانًا مِّنَ الْقَانِنِينَ (١)**، فهل الكلمات هنا هى بمعنى الأصوات أو بمعنى الآيات الكونيه الناطقه لا الآفقيه الصامته؟

ص: ٤٥

لا ريب أنها الآيات الكونية الناطقة من الحجج، لأن الذى يصدق ويكذب هو الذى يدعى الدعوى وله إخبار أو إنذار وما شابه ذلك. أما الآيات الكونية فى السموات فليس من شأنها التصديق والتكذيب بل شأنها النظر فيها والتدبر أو الإعراض عنها ففى آيات عديده ذكرت إعراض البشر عن آيات السماء كقوله تعالى: **وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سِقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ** (١)، وقوله تعالى: **وَ مَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا - كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ** (٢)، فقد تتدبر فى آياته عَزَّ وَجَلَّ أو تعرض عنها، ولا يقال تصدقها أو تكذبها ولكن الذى له دعوه وهم حجج الله الناطقون عن الله عَزَّ وَجَلَّ أولئك يصدقون أو يكذبون.

فهنا إستعمال آخر حيث أن التصديق بكلمات الله أى بحجج الله الناطقة وهم أنفسهم كلمات الله لأنهم موصولون لأمر الله، وهذا الكلام ليس من نمط أصوات وألفاظ ومعانى، وإنما هو من نمط آخر ومن ثم: **وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدَّلَ لِكَلِمَاتِهِ** (٣)، يعنى تمت كلمات ربك صدقاً أى الحجج الناطقة عن الله عَزَّ وَجَلَّ، وعدلاً لأن هؤلاء الحجج الناطقة تقام وتقيم العدل وهذه صفة ثانية بعد صفة الصدق، فصادقه فيما تنطق عن الله، وعادله لأنها تقيم العدل.

ص: ٤٦

١- (١) سورة الأنبياء: الآية ٣٢.

٢- (٢) سورة الأنعام: الآية ٤.

٣- (٣) سورة الأنعام: الآية ١١٥.

ولا- غرو أن كل إمام عندما يولد يقرأ هذه الآيه المباركه، وهذا مورد آخر يبين فيه القرآن الكريم أن الكلمات هم حجج الله الناطقون عنه عَزَّ وَجَلَّ ويصفهم بأنهم صادقون بما ينطقون عنه، وأنهم يقيمون العدل الإلهي، فأين مقام الصوت واللفظ والمعاني من هذه الكلمات الصادقه والعادله.

اللغويون والكلمه:

هناك نظريه لغويه قديمه تقول بأن الألفاظ لم توضع للمعاني التي هي بمثابة مبادئ لتلك الألفاظ، بل وضعت للغايات، ويقال في التعبير عن هذه النظرية (خذ الغايات وأترك المبادئ).

فإن تعريف الشيء تارة يكون بصوره الشيء أو آليته، وأخرى نعرف الشيء بغايه كماله وهو أعرف تعاريف الشيء وهذا ما يصطلح عليه بالعله الغائيه، ولذلك عرف عند المناطقه أن تعريف الشيء بعلة الأربع أكمل التعاريف، بل التعريف بغايته من أبين وأعرف تعاريف الشيء.

لأن تعريف الشيء بحقيقته هو بكماله لا- بمادته أو ببدايات وجوده. نعم بدأ خلق الإنسان: وَ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سَيْلَةٍ مِنْ طِينٍ* ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ* ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا* ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ (١)، في حين لو أردنا أن نعرف الإنسان بأنه مدرك عاقل فهذا هو من أبين تعاريف الإنسان.

ص: ٤٧

إذن تعريف الشيء بغايات ونهايات وكمالات وجوده أعظم وأبلغ وأوضح من تعريف الشيء ببدايات تطوره أو أطوار وجوده أو أطوار خلقته، وهذه النظرية - خذ الغايات وأترك المبادئ - بالغه التأثير في بحوث المعارف وفي علوم التفسير بل بالغه التأثير في علوم عديده، فإذا أستتمت هذه النظرية فسوف تفتح آفاقاً ونوافذ وأبواباً عديده لبحوث معرفيه كثيره جداً، فاليد مثلاً تاره يراد منها هذه اليد الجارحه بينما غايتها أن يبسط صاحبها التصرف بالقدرة، وبالشيء الذى يتصرف به تنبسط وتتجلى فيه القدره، وإذا كان كذلك فإن ما ورد فى القرآن الكريم من نسبه اليد أو الأيدى إلى الله عَزَّ وَجَلَّ ليس معنى ذلك كما يتوهمه المجسمه أو المشبهه من أن الله عَزَّ وَجَلَّ جسم أو له يد كاليد الجارحه كما فى أجسام المخلوقات بل يكون المعنى حينئذ شيئاً آخر، وهو أن هناك مخلوقاً من المخلوقات العظيمه المقدسه يظهر الله عَزَّ وَجَلَّ فيه وبه القدره الإلهيه فى التصرف ويجلى الله فيه بسط التصرف، لا أن ذلك الموضع الذى ظهرت فيه القدره الإلهيه للتصرف هى جزء من الذات الإلهيه - والعياذ بالله -.

جبرائيل يد الله:

إذا أفترضنا أن جبرائيل أو أسرافيل أو عزرائيل، أطلق عليه نعت يد الله فهذا يعنى أنه من المخلوقات الإلهيه المقربه للحضره الإلهيه يظهر الله فيه وبه ويوجد الله فيه مظاهر عظيمه من قدره التصرف الإلهي، كما كان الله عز وجل ينزل العذاب والنقمه الإلهيين على الأمم العاصيه المتمرده على الله

عَزَّ وَجَلَّ بتوسط جبرائيل، كما صنع ذلك في قوم لوط: إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ ١، حيث خسف بهم الأرض وجعل عاليها سافلها: فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ ٢ .

فهنا يقال عن جبرائيل أنه يد الله لا بمعنى أنه جزء من ذات الله عَزَّ وَجَلَّ ولكن بمعنى أن جبرائيل موضع من مواضع المخلوقات المقربة التي يظهر الله عَزَّ وَجَلَّ به قدرته في التصرف وهذا الاستعمال على وفق النظرية الغائية من أن الألفاظ وضعت لغايات المعاني ولم توضع للمبادئ والأطوار الأولية الحسية للمعاني وحينئذ يكون لفظ ومعنى يد الله في جبرائيل ليس استعمالاً مجازاً لغوياً ولا مجازاً عقلياً بل يكون استعمالاً حقيقياً. وكذلك في استعمال وتوصيف النبي عيسى (عليه السلام) بكلمه الله لا يكون استعمالاً مجازياً لغوياً ولا مجازاً عقلياً بل استعمال حقيقى كما أوضحنا.

العين الإلهية:

قال تعالى: فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعْ التُّلْمَكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحِّينَا (١). فالعين الإلهية في هذه الآية الكريمة ليس هي الجسم البيضاوى الشحمى - والعياذ بالله - كما ذهب إلى ذلك المجسمه والمشبهه، فإننا إذا نقحنا المعنى الحقيقى للفظه العين وهو الشىء الذى تتم به المراقبه ويتم به الأبصار لا أنه يراد به

ص: ٤٩

ولذلك نلاحظ أن القرآن الكريم يستعمل البصيره والبصائر والهدى بالكاشف والنور الكاشف والبرهان الساطع، كما فى قوله تعالى: يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا (١)، وقوله تعالى: فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٢)، وغير ذلك من الآيات العديده التى ذكرت النور.

إذن ما يتم به كشف الحقائق والوقائع والواقعيات بأى درجه كانت يصح صدق معنى العين عليه.

الكتاب والعين الإلهيه:

وأيضاً الكتاب الذى يرصد أعمال المخلوقات والعباد سواء كانت صغيره أو كبيره كما قال تعالى فى كتابه الكريم: وَوَضِعَ الْكِتَابَ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا (٣).

وكذلك قوله تعالى: وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ

ص: ٥٠

١- (١) سورة النساء: الآية ١٧٤.

٢- (٢) سورة الأعراف: الآية ١٥٧.

٣- (٣) سورة الكهف: الآية ٤٩.

وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَضْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (١).

وقوله تعالى: وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (٢).

فهذا الكتاب أو ذلك اللوح المحفوظ الذي تسجل فيه كل تلك الأمور على وفق هذه النظرية يصح أن يطلق عليه العين وتسمى هذه العين بالعين الإلهية، لأنها جزء من الذات الإلهية - والعياذ بالله - وإنما هو بمعنى أن هناك مخلوقاً شريفاً من المخلوقات المقربة من الله عَزَّ وَجَلَّ يرصد الله عَزَّ وَجَلَّ به كل صغيره وكبيره من أعمال العباد ليكون عيناً راصده عليهم. إذن وظيفه هذا الكتاب هو الرصد والكشف والتسجيل وإثبات المشاهد والأحداث.

النبى صلى الله عليه وآله وسلم هو الشاهد:

القرآن الكريم يسمى وينعت سيد أنبيائه بأنه شاهد وهذه أحد أوصاف النبى (صلى الله عليه وآله) حيث قال تعالى: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً (٣).

وقال تعالى: إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولاً شَاهِداً عَلَيْكُمْ (٤).

ص: ٥١

١- (١) سورة يونس: الآية ٦١.

٢- (٢) سورة هود: الآية ٦.

٣- (٣) سورة الأحزاب: الآية ٤٥.

٤- (٤) سورة المزمل: الآية ١٥.

وقال تعالى: فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيداً (١).

وقال تعالى: لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ٢ .

وغير ذلك من الآيات العديده التي تنص على أن النبي (صلى الله عليه و آله) وأهل بيته هم الشهداء وكذلك الأنبياء (عليهم السلام) أيضاً.

وعلى وفق هذا التصوير وهو أن هناك مخلوقاً شريفاً عظيماً يستطر فيه كل شيء من أعمال العباد: وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ ٣ ، حيث يسجل فيه كل شيء، وهذا المخلوق يكون عين راصده إلهيه مراقبه لأعمال البشر، ولكن لا- بمعنى أن ذلك المخلوق هو جزء من الذات الإلهيه، فتعالى الله عما يقوله المشبهه أو المجسمه.

وهذا أحد الأبحاث المهمه كثره لتلك النظرية اللغويه التي تنضج وتنقح لدفع شبهات المشبهه والمجسمه عبر هذه النظرية اللغويه التي تقول أن الألفاظ وضعت لغايات المعاني وليس لمبادئ الأطوار الحسيه لوجود المعنى (خذ الغايات وأترك المبادئ) وهكذا غيرها من الألفاظ التي تستخدم في باب المعارف والبحوث المعرفيه وفي آيات الذكر الحكيم.

عمل اللغوي والأديب

إن المعروف في العلوم الإنسانيه أو اللغويه الأديبيه المختلفه والمرتبطة بالألفاظ ودلالاتها هي عدده علوم في ذلك، والمعروف أيضاً أن شأن اللغوي والأديب هو إكتشاف العلاقه بين اللفظ والمعنى، أما كشف حقيقه المعنى فهذا ليس من شأن اللغوي ولا الأديب.

مثلاً لفظه الهلال التي هي (هـ، ل، ا، ل) وضعت إلى انعكاس بسيط من القمر في بدايه الشهر القمري، ولكن يا ترى هذا المنزل والموقع الفلكي الفضائي السماوي كم درجه حسايه هو؟.

وفي أي منزل يمكن أن يكون؟.

ص: ٥٢

والدرجة على وتيره واحده من المحاق أم تختلف بحسب حالات القمر؟.

نسبته مع الشمس والخط الواصل بين الشمس والأرض أو ما يعرف بالمحاق ما هي ؟.

خروج القمر من تحت الشعاع الذى هو كالهاله للشمس كم درجته؟! زاويته!؟

وغير ذلك من المعلومات التى تبحث فى الهلال فلكياً، كل هذا هو ليس من شأن اللغوى بل هو من شأن الفلكى والعالم الفلكى.

مثال آخر فى الطب، لفظه السرطان فإنها وضعت لمرض معين لكن حقيقه هذا المرض ما هي، هل تكاثر الخلايا أم نقصانها ؟ أم هو بسبب إرتباك فى النظام الخلوى فى كل خليه.

إنّ هذه الشؤون فى المعانى لا يقف على حقيقتها وواقعيتها اللغوى أو الأديب، وإنما شأن اللغوى هو مجرد الإلتفات إلى العلاقة بين اللفظ وإجمال المعنى أما غور حقيقه المعنى فهذا مما لا يمكن أن يتدخل فيه اللغوى أو الأديب.

وبعبارة أوضح لتقريب الصورة، لو سئلت اللغوى عن مدينه أو موقع معين لا تعرفه ولا تعرف مكانه، فاللغوى سوف يوصلك أو يدلك إلى هذه المدينه أو الموقع ويقول لك هذا هو الموقع، أما داخل المبنى أو الموقع أو المدينه فلا يمكن معرفته من اللغوى لأنه ليس من

شأنه وأنه كم طوله أو عرضه؟ أو كم طابق هو؟ أو من أى شىء تم بنائه؟ ماذا يوجد فيه؟ فهذا ليس من شأنه، فيمكن أن نقول إن شأن اللغوى هو مجرد ساعى يريد يوصلك فقط إلى بدايه العنوان الذى تريده لا أكثر.

إذن حقائق المعانى وسعتها وأمثالها ونماذجها التى تدرج فى ذلك المعنى وما شابه ذلك هى خارجه عن حيطه اللغوى. بمعنى أن اللغوى ليس من شأنه أن يقول، هنا مجاز عقلى، أو هنا نموذج حقيقى للمعنى كما مر فى بحث عيسى كلمه الله وغير ذلك.

وهذه النظرية إن تمت وهى تامه فبالتالى سوف يتبين لنا بحوث معرفيه وقرآنيه عديده جداً، وبسبب هذا الشأن اللغوى نشأت فرق وآراء سواء فى أتباع أمم الأنبياء السابقين أو عندنا فى بيئه وعهد الإسلام، وسببها هو الجهل أو الغفله عن هذه النظرية اللغويه إن صحت التسميه بذلك، ولكن هى كما مر خارجه عن شأن اللغويين.

عالم المعانى منحاز عن عالم الألفاظ :

فلو لم تكن هناك ألفاظ ولو لم يكن هناك حوار ثقافى بين أبناء البشر أو أبناء المخلوقات على العموم فهل نتصور أن المعانى لا وجود لها أم لها وجود؟.

وهل أن المعانى ليس لها تقرر يدرك وبناء يفهم أم أن المعانى ووجودها وحقائقها رهين الأصوات والألفاظ؟.

أن المعانى لها كيانها المستقل ولها بناءها الذاتى المستقل بعيداً عن وضع الألفاظ لها.

والمعانى بما لها من سعه ومعنى لا يمكن أن تكون مقتضبه ومقصوره ومحدوده على ما يفهمه ويدركه اللغوى والأديب فقط.

المصاديق الحقيقيه والمصاديق الاعتباريه:

ومن خلال ما تقدم نستطيع أن نقف أو نلتفت أو ننتبه إلى أمثله عديده أعتبرت هى من المصاديق الحقيقيه للمعانى فى حين هى مصاديق بالحقيقه فرضيه للمعنى وليست نماذج كونه تكوينيه حقيقه وذلك مثل الأصوات والنقوش أعتبرت من المصاديق الحقيقيه لمعنى الكلمه والكلام، فى حين أن صدق معنى الكلام والكلمه عليهما متوقف على إعتبار وفرض من واضع اللغه والنقوش فبدونه ذلك الفرض والإعتبار من واضع اللغه لاتندرج الاصوات والنقوش فى مصاديق معنى الكلمه والكلام والعكس كذلك حيث أعتبرت مصاديق فرضيه للمعنى فى حين هى مصاديق حقيقه تكوينيه له، ومن ثم فإن عيسى كلمه الله هو أستعمال حقيقى وعقلى وكونى وتكوينى.

أمثله أخرى:

لو أردنا أن نحدد الزوال الذى هو منتصف النهار، فلا بد أن نعرف

أولاً ما هو الزوال؟ وكيف يعرف الزوال في الميل الشتوي في مدار الجدى؟!.

وكيف يعرف الزوال في المدار والميل الصيفي في مدار السرطان؟!

وكيف يعرف الزوال في البلدان ذات العرض العريض لأن عرض البلد قد يزيد على الميل ٢٣٥ر٥.

وقد يصل إلى ٤٠ أو ٥٠ أو ٦٠ إلى أن يصل إلى درجه ٩٠. فإن هناك مناطق لا ينعدم الظل فيها، فقد يكون الظل فيها ذو مستوى واحد، والزيادة والنقيصه شيء ضئيل فيها ولا يحس.

ولذلك ذكروا في جملة من الكتب الفقهيه أن الزيادة في الظل بعد نقصانٍ، ليس تعريفاً مطرداً بالظل للزوال، بل التعريف الجامع الفلكي هو حركة الظل من جانب لدائره وخط نصف النهار إلى الجانب الآخر.

إذن لماذا نأخذ هذا التعريف من الفلكي ولم نأخذه من اللغوي؟! وذلك لأن اللغوي لا يعطينا كل أركان وأعماق ماهيه المعنى للزوال. لأنه ليس من شؤون وشجون اللغوي.

وكذلك إذا أردنا أن نميز بين الطلوعين في البلدان القريبه من القطب الشمالي كيف نحدد الزوال والغروب إذا كانت الشمس لا تنعدم في الصيف أو على العكس في الشتاء، بل يوجد هناك ليل دائم،

فهل يا ترى هناك معنى للظل مع إنعدام النهار المحسوس في موسم الشتاء ومع ذلك توجد دوره يوميه.

صله تكوين الظهور وشؤون المعنى:

إذن حيثه شؤون المعنى كأحد الحيثيات في تحديد الظهور إذا أردنا الولوج والغور في شؤون المعنى، لا يمكن الوقوف عندها بما قرره وأخترعه اللغويون وإنما هذا هو شأن العلوم المختصة الأخرى الباحثة عن حقيقته تلك المعانى، فتكوين عناصر الظهور في جانب حقايق المعانى قد يتخيل أنه رهين كلمات اللغويون أو العلوم الأدبيه أو علوم اللغه وغير ذلك من العلوم اللسانيه وهذا غير صحيح وغير علمى أصلاً، بل ولا من شؤون علم الفقه ولا التفسير، نعم اللغوى دوره وشأنه هو القيام بأصل الدلاله والرابطه والعلاقه بين اللفظ والمعنى لا أكثر.

أما التعرف على هويه المعنى وشؤونه وشجونته وحدوده فهذا خارج عن الشأن اللغوى.

وعندما جعل الله عَزَّ وَجَلَّ النبي عيسى وأمه (عليهما السلام) آيه: **وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً ۗ** . هو نظير الإطلاق على النبي عيسى أنه كلمه الله، ويلاحظ أن هناك تقارب شديد بين معنى الكلمه ومعنى الآيه وإن

كان ثمة اختلاف بين اللفظين، إلا أن معنى الآيه يشترك بحسب الإدراك العقلي مع معنى الكلمه.

فالآيه ربما تطلق على الدلالات غير الناطقه والداله على أشياء ورائها، أما الكلمه فلا تطلق إلا على الشيء من النطق الدال على معنى أو على حقيقه، ومن ثم يقال (صدقت بكلمات ربها) بينما الكفار يكذبون بها. لأن الكلمه الناطقه تُكذَّب وتُصدَّق. فالكلمات إذن هي تلك الحجج الإلهيه التي لها ناطقيه ولها دعوى إلى الله عَزَّ وَجَلَّ أما تصدق أو تكذب.

ولا- يمكن التوهم أن إطلاق أسم الآيه على السموات ليس مجازاً عقلياً ولا- مجازاً لغوياً بل حقيقه عقليه خارجه عن شؤون استعمال اللفظ في المعنى وذلك لأن دلالة السموات، ودلاله الكواكب، ودلاله النجوم، ودلاله نظام الخلقه، دلالة في عالم التكوين والكون آيه، وهناك آيات عديده داله على حكمه الله وقدره الله وعلم الله، ولا- وسوسه في أن معنى الآيه ذو عرض عريض وسيع. والجواب أنه كذلك الحال في معنى لفظه الكلمه ومعنى لفظه الآيه.

مثال آخر:

كلمه الوجه في قوله تعالى: فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهَ اللَّهِ ۝ ١ .

ص: ٥٨

إنَّ المجسمه لشبهتهم وشدوذهم يذهبون إلى أن الوجه معناه هو ذلك العضو ذو التقاسيم الخاصه، والحال أن معناه هو الشىء الذى يتجه به فإن الجبهه والوجه ومتجه واتجاه، كل هذه الاشتقاقات مأخوذه من ماده واحده، فإن القبلة التى يتوجه بها إلى الله تسمى قبله، وتاره تسمى وجه الله بحسب آيات سوره البقره، وتاره أخرى تسمى الكعبه والمسجد الحرام كما عبرت بذلك فى الآيه الشريفه، فباعتبار أن الكعبه تستقبل تسمى قبله، وباعتبار أن الكعبه والقبلة هى التى يتجه بها إلى الله عَزَّ وَجَلَّ تسمى وجه.

قال تعالى: فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ۗ ، فالقرآن هنا يطلق على الكعبه أو على بيت المقدس أنه قبله التى يتجه بها إلى الله عَزَّ وَجَلَّ، وتاره أخرى تسمى وجه الله.

إذن الوجه ليس هو ذلك العضو الخاص، وإنما سمي هذا العضو بالوجه باعتبار أن الروح فى عوالم أرفع من البدن وإذا أردت أن توجد تماس أو توجد ارتباط مع الإنسان فَلَا بُدَّ أن يكون الاتجاه إليه باتجاه الوجه، وبالتالي سوف تحدث معنى الاتصال والارتباط مع ذلك الإنسان، فإطلاق الوجه على هذا العضو الخاص أيضاً منشأه ووجهه باعتباره هو الجبهه، والاتجاه الخاص الذى يمكن أن يواجهه به الإنسان، وهو معنى عام ووسيع للوجه أو الجبهه وليس معناه هو ذلك العضو الخاص أو شكله الخاص ولو لم تكن الروح متعلقه بهذا البدن، كما هو الحال الآن فى أهل البرزخ يوجد

أتصال وأرتباط معهم، وإن حدث درجه من الانفصال بين الروح الخاصه والبدن الخاص، إلا أنه إذا توجه إلى قبور الموتى فإنه يحصل توجه وارتباط ما بهم وهذا شأن آخر، فلو لاحظنا واسبرنا هذا البحث في معانى الكلمات كلها والعناوين كلها فسوف نكتشف التوسع فى المعانى، ولا- ريب أن المعانى لم تقرر مفاهيمها وذاتياتها فى نطاق وجودها الأرضى، فإن المعانى هى شأن من شؤون تكوين الخالق، والمعانى لغه إنسانيه مشتركه، بل ليست هى لغه إنسانيه بل هناك لغه مشتركه بيننا وبين الجن، وبيننا وبين الملائكه، وبيننا وبين كل المخلوقات الموجوده، فإن المشكله الشاكله والورقه المستعصيه عند الكثير من الباحثين أو حتى عند بعض العرفاء وعند جملة من الصوفيين وبعض الفلاسفه أنهم يقتصرون فى المعانى على أنجاسها فى الوجدان والوجود الأرضى، والحال أن المعانى أوسع نطاقاً من ذلك، ولاحظ وجود الأرض كم سعتها بالنسبه إلى وجود العالم الكونى وسعته، فكيف يمكن أن تكون المعانى حبيسه للوجود الأرضى، ولماذا لا نتصور حدود المعانى بحدودها الأوسع الأقرب إلى الواقعيه ولا سيما فى مبحث المعارف والعقيده وهذا أمر لا يقبل التهاون.

وإذا كان شأن فقه الفروع أن موضوعه مرتبط بالنشأ الأرضيه- لو فرضنا ذلك - وهناك جملة من الفلاسفه منهم صاحب الميزان يصر على ذلك وإن كان الصواب خلافه، ففى نشأ الآخره كيف هو الفرد وأحكام الفروع هناك؟ وما هو شأن المعارف؟ فإن المعارف لها سعه بقدر سعه عالم الخلقه فلا يمكن حبسها فى النشأ الأرضيه.

حتى الآداب والأخلاق ليست هي حبيسه وجودها الأرضي لأن موضوع هو النفس، والنفس ليست حبيسه النشأه الأرضيه. وهناك جمله من النظريات بل مفاد الروايات تؤيد وتذكر أن الله عَزَّ وَجَلَّ خلق الأرواح قبل الأبدان بألفى عام(١)، ثم بعد ذلك تأتي عوالم أخرى بعدها، ومن ثم فإن علم الأخلاق والآداب وما يرتبط بمنازل النفس وسلوك النفس لا يقتصر على النشأه الأرضيه.

فهذه المعانى شموليه، وعموميه، وعموميتها ذات سعه تشمل عوالم عجيبه وغريبه غير مرئيه للحس، وما شابه ذلك، فكيف نحدد وننقووع ونقزم ونضيق من تعبير تلك المعانى التى لها سعه وعرض عريض بعرض وسعه العوالم.

الكلمات التامات:

وإذا كان عيسى(عليه السلام) يصفه القرآن بكلمه الله فإنه ينبهنا - القرآن - أن الله عَزَّ وَجَلَّ كلمات وليس كلمه، بل كلمات تامات كما قال تعالى: وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ (٢) ثم قال تعالى: لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ (٣) وهذا يدل على أن هناك كلمات تامات هى أرقى وجوداً من النبى عيسى(عليه السلام) وأعظم منزله ومرتبه لأنه لم يوصف بكلمه الله التامه.

ص: ٦١

١- (١) البحار ج ١٣٢: ٥٨.

٢- (٢) سورة البقره: الآيه ١٢٤.

٣- (٣) سورة يونس: الآيه ٦٤.

ولماذا لا- تكون حجج الله كلمات، فهم بوجودهم كلمات وهذا ليس قولاً اعتبارياً أو عاطفياً، بل هو إستحقاق حقيقى لقابليه نفس معنى الكلمات، واستحقاق ذاتى بعنوان معنى الكلمه، وكيف لا يستحقون معنى الكلمه والحال أنهم فى الدلاله على معانى الشؤون الإلهيه نصبها ونصابها وإيصالها إلى خلقه أتم فى الدلاله وفى الإبلاغ إلى الخلق من الأصوات، نفس وجود النبى هو بين قدره الله عَزَّ وَجَلَّ ومعجزه: وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَ أُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَ الْأَبْرَصَ وَ أُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ (١)، كل هذه المعانى تحسها البشر، ولا يزال البشر يعيها ويدركها ويؤمن بها ويصدقها، وهى أبلغ من دلالة الأصوات على المعنى، أو من دلالة الأصوات على صفات الله تعالى وعلى شؤونه الله الربوبية العظيمه.

رمزيه الخفاء:

إن أولياء الله وحججه هم من جمله المظاهر التكوينية، يقرأون رسائل خاصه من الله عَزَّ وَجَلَّ لا- يفتن إليها ولا يعيها غيرهم، وربما يشتد خفائها حتى على جبرائيل نفسه، كما فى الرؤيا التى رآها النبى (صلى الله عليه و آله) أن القرده تصعد منبره وتنزل فساه ذلك وغمه غمماً شديداً ولم يعلم بها جبرئيل حتى أنزل الله تعالى: وَ مَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَ الشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي

ص: ٦٢

الْقُرْآنِ (١)، في الفتنة التي تحدث بعد وفاته وفي بنى أميه (٢).

فإن رمزيه الخفاء في الوحي قد يخفى ويتخفى ويشتد في الخفاء حتى على الملائكة المقربين في وحي الله مع أنبيائه وأوصيائه، وبعض ما أوحى به الله عَزَّ وَجَلَّ إلى أنبيائه فوق إحساس الكروبيين، وفوق غمائم النور، حتى غمائم النور هي أيضاً حقيقته حيّه شاعره ملكوته ولكن مع ذلك لا تستطيع أن تدرك ذلك الوحي الذي كلم الله تعالى به موسى، وهذا مما يدل على أن الأنبياء لهم قدره في الاعتلاء في عالم النور والوحي تفوق المقربين من الملائكة كجبرئيل (عليه السلام) وإسرافيل (عليه السلام) والكروبيين.

ومن باب المثال، بعض الحيوانات تدرك ذبذبات في الكون، وتعلم بوقوع أحداث مستقبلية كالزلازل ونحوها، كما حصل ذلك في حادثه توسونامي في أندونيسيا، حيث ذكرت التقارير الخبرية أن بعض أو جملة من الحيوانات ابتعدت قبل الحادثه عن ذلك المكان، بسبب معرفتها من خلال الذبذبات الموجوده.

كذلك الحال في حاسة الشم الموجوده لدى الكلاب التي يستطيع الكلب من خلالها أن يشم من مئات الكيلومترات.

والهدهد له أيضاً قدره يستطيع أن يكشف بها عن وجود ذبذبات الماء تحت الأرض من الآبار والعيون، هذه القدره التي أودعها الله عَزَّ وَجَلَّ في الحيوانات بإدراكات مشمومه أو مسموعه أو مرئيه أو محسوسه هي ليست

ص: ٦٣

١- (١) سورة الإسراء: الآية ٦٠.

٢- (٢) نور الثقلين ج ١٨١: ٣، تفسير على بن إبراهيم القمي.

عند البشر، هذا بالنسبة إلى عالم الأرض، أما بالنسبة إلى العوالم الأخرى المعنوية أو الروحية فالأمر يختلف أكثر بكثير وبفارق عظيم: هذا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَ كَفَبَصْرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ (١)، ففي حين أن الأنبياء (عليه السلام) لهم قدره إدراك للأشياء والرموز هي تفوق قدره الملائكة المقربين.

بل لهم قدره في إدراك الحقائق فوق قدره الموجودات الغيبية الكثيره الأخرى.

آدم والملائكة والأسماء:

الأسماء في اللغة وخصوصاً عند اللغويين يقصدون من معنى الأسماء الأصوات، بينما القرآن الكريم يشير إلى أنها موجودات حيه شاعره غيبية: وَ عَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا (٢) ثم قال: ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ (٣)،

فلو كانت أصوات جامده غير شاعره، حيث أن نفس الصوت هو شيء جامد غير شاعر، فلماذا يؤتى لها بضمير الجمع للحى الشاعر (عرضهم) وكذا باسم الإشاره للجمع الحى الشاعر (هؤلاء)، وهذا يدل على أن هذه الأسماء هي موجودات حيه شاعره عاقله، فالقرآن الكريم يطلق الأسم على الموجود الحى الشاعر العاقل هذا أمر.

ص: ٦٤

١- (١) سورة ق: الآية ٢٢.

٢- (٢) سورة البقره: الآية ٣١.

٣- (٣) سورة البقره: : الآية ٣٢.

وكذا قوله تعالى بضمير الجمع للحي الشاعر العاقل قال يا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ
غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ .

فيطلق القرآن الكريم الأسماء على الموجود الحي الشاعر العاقل الغيبي، والشاهد على كونه غيبيا.

أنه لم يكن في حيطه معرفه الملائكة: قالوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا ، وهذا الغيبي ليس هو في الأرض وإلا لعلمت به الملائكة
كملائكة السموات وملائكة الأرض وملائكة الجنان وملائكة النيران، ولكن هذه الأسماء لا وجود لها في الآخرة فضلاً عن
الأرض، ولا وجود لها في البرزخ ولا في السموات بل وجودها في مكان غيبي مكنون في كنفٍ عن كل هذه الموجودات وعن
كل هذه العوالم وإلا لعرفتهم الملائكة.

كما في عالم النور الذي هو فوق عالم الملائكة حسب تقسيمات القرآن الكريم لعوالم الوجود، فلا تظن أن الاسم صوت،
فالصوت ليس اسماً حقيقياً بل هو أسم اعتباري، فإذا قلت الرحمن الذي نتلفظه هو (ر، ح، م، ن) فهذا ليس هو الاسم الإلهي
تكويناً حقيقه بل أسم اعتباري، فإن أسم الله - الرحمن - هو أشرف من هذا الصوت وأعظم وأكبر شأنًا وخلقاً ودلاله وعظمه
وبهاءً ونوراً.

وبيان القرآن الكريم وهو قوله تعالى: وَ عَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ

عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١).

يدل على أنه هناك أسماء حيه شاعره عاقله ناطقه تفوق خلقه جبرائيل وميكائيل وأسرافيل وعزرائيل ومالك - خازن النيران - ورضوان - خازن الجنان - وكل ملائكه الآخره ، لأنها أسماء إلهيه موجوده فى السدنه الربوبيه وفى الحضرة الربوبيه الغيبه، وكما مرهى غيبه عن السموات والأرض وعن جميع الملائكه.

وبذلك يتبين لنا أن قوله تعالى وَ عَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا نمط من الوحي لم يطلع عليه الملائكه ونمط غيبى عن السموات وعن عالم الآخره، وليس من نمط الصوت والكلام اللفظى فالكلام الوحيانى والأسماء التى أوحاها تعالى لآدم ليس من نمط الأصوات والألفاظ بل من نمط العرض والاستعراض النورى، فهذا نمط من الوحي النبوى وهو يبين تنوع واختلاف أنماط قناه الوحي النبوى.

الآيه والأسم:

يوجد فى القرآن الكريم تقسيم للآيات، حيث توجد آيات كبرى، كما فى قوله تعالى: (لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى) (٢) وقوله تعالى لِنُرِيكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى (٣) و فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى (٤)، وآيات وسطى

ص: ٦٦

١- (١) سورة البقره: الآيه ٣١ - ٣٣.

٢- (٢) سورة النجم: الآيه ١٨.

٣- (٣) سورة طه: الآيه ٢٣.

٤- (٤) سورة النازعات: الآيه ٢٠.

وآيات صغرى، حيث وردت لفظه (الآيه) فى الكتاب الكريم (٨٤) مره، ولفظه (الآيه) وضعت للشىء الدال على ما وراءه أى ما وراء الآيه وهو ذى الآيه، ومن ثم هذا يفتح الباب للسعه فى إطلاق لفظ الاسم فإنه أيضاً هو الشىء الدال على ما وراءه، وإن كان الاسم يقال أنه مشتق من السمو والعلو باعتبار أن علامه توضع لشىء فى موضع عالٍ، وبالتالي هناك أيضاً إرتباط بين علامه والاسم، فإن المعلم عاده يوضع فى مكان عالٍ كى يرى ويشاهد من الكل ليشير على ذى علامه، وبالتالي يكون هناك إرتباط وثيق بين الاسم والآيه، نعم لا- أقول أن ليس هناك فوارق لطيفه ظريفه بين هذه المعانى والألفاظ. ولكن يوجد هناك أجزاء مشتركه وتقارب كبير جداً.

فإطلاق الاسم ليس منحصراً فى الأذهان على الأصوات الملفوظه الداله على المعنى، بل يطلق إجمالاً على الشىء الدال على المعنى بل المراد منه هو المخلوقات العظيمة الداله على عظمه البارى وصفاته، وهذا يفتح لنا الباب من أن الأسماء مخلوقات، وأسم المخلوق العظيم أخرى بصدق الاسم الإلهى عليه من الصوت الملفوظ.

وكل هذا البحث هو متولد من القاعده التى تقول أن الألفاظ موضوعه للغايات لا للمبادئ (خذ الغايات واترك المبادئ)، وهذا ما سيفتح لنا الباب على مصراعيه فى بحث التوسل.

الأسماء الحسنى:

كثير من السلفيه وغيرهم يظنون أن المراد من الأسماء التى يدعى بها

اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: وَ لِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا ۝ هِيَ الْأَصْوَاتُ الْمَلْفُوظَةُ، مِثْلُ صَوْتِ الرَّحْمَنِ، أَوْ صَوْتِ الرَّحِيمِ، أَوْ لَفْظِ صَوْتِ اللَّهِ وَهَكَذَا: قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى (١).

مع أن المراد من الأسماء لا ينحصر بهذه الأصوات التي يخلقها الإنسان من فمه فيدعوا بها، أو ينادى بها ويتجه إلى الله عَزَّ وَجَلَّ، فإن (فأدعوه بها) أى فاتجهوا بها إلى الله عَزَّ وَجَلَّ لأن الدعاء نوع من التوجه والقصد والالتماس.

فإذا حصرنا تفسير هذه الأسماء بالأصوات فسوف يكون المعنى للآية المتقدمه معنى نازل وعبارته عن نداء تعالى بلقلقه اللسان، أما إذا فسرنا الأسماء بالمخلوقات العظيمة الداله بذاتها على عظمه البارى وصفاته فسوف يأخذ الأسم أو بحث التوسل معنا آخر عظيمًا، سيما التعبير فى القرآن الكريم (ولله الأسماء الحسنى) فإن الله فى هذه الآيه المباركه الملكيه والمالكيه والاختصاص يعنى للذات الإلهيه، فالأسماء الحسنى هى مملوكه لله، واللام فى (الله) هى ملكيه الذات الإلهيه، وهذه الأسماء وإن كانت متعدده إلا أن الذات الإلهيه هى شىء واحد.

لأن الاسم ليس المراد منه عين المسمى، وإنما المراد منه هو الشىء الدال على المسمى، فالأسماء الحسنى هذه هى مملوكه لله عَزَّ وَجَلَّ فقط، لأنها مخلوقه له ومملوكه لله، ثم قالت الآيه (فأدعوه بها) فأدعوه (الوسيله)

ص: ٦٨

بصيغه ضمير الجمع أما هو (فأدعوه) بضمير المفرد وهى الذات الإلهيه الواحده.

وبالتالى فكل ما يتجه به إلى البارى تعالى وهو الأسم الذى مر تفسيره مع الآيه وفسر بالعلامه أو بالجهمه يكون أسما، ولذلك أطلق القرآن الكريم لفظه الوجاهه التى هى من ماده معنى الوجه على النبى عيسى (عليه السلام): مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ (١)، وأطلقه على النبى موسى (عليه السلام): يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا (٢). فالوجيه هو من يتجه به إلى الله عَزَّ وَجَلَّ.

لأنه من المقربين وله قرب وحظوه عند الرب تعالى، وهذا معنى أنه آيه وعلامه وسمه وأسم وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً ، وبغض النظر عن مرتبه فى الأسماء الإلهيه.

فعن هشام ابن الحكم أنه سأل أبا عبد الله (عليه السلام) عن أسماء الله واشتقاقها:

الله مما هو مشتق؟ فقال: يا هشام الله مشتق من إله وإله يقتضى مألوهاً والأسم غير المسمى، فمن عبد الأسم دون المعنى فقد كفر ولم يعبد شيئاً، ومن عبد الاسم والمعنى فقد أشرك وعبد اثنين، ومن عبد المعنى دون الاسم فذاك التوحيد، أفهمت يا هشام؟! قال: قلت: زدنى قال: لله تسعه

ص: ٦٩

١- (١) سورة آل عمران: الآيه ٤٥.

٢- (٢) سورة الأحزاب: الآيه ٦٩.

وتسعون اسماً فلو كان الاسم هو المسمى لكان كل اسم منها إلهاً ولكن الله معنى يدل عليه بهذه الأسماء وكلها غيره، يا هشام الخبز أسم للمأكل، والماء أسم للمشروب، والثوب أسم للملبوس، والنار أسم للمحرق.

أفهمت يا هشام فهماً تدفع به وتناضل به أعدائنا المتخذين مع الله عَزَّ وَجَلَّ غيره؟ قلت: نعم، فقال: نفعك الله به وثبتك يا هشام قال: فوالله ما قهرني أحد في التوحيد حتى قمت مقامى هذا(١).

إذن هناك مخلوقات يتوسل بها إلى الله هي مقربة وتكون بمثابة الأسم والوجه الذى يتجه به إلى الله تعالى، فى حين السلفيه يعتبرون هذا الصوت المخلوق إذا تدعوا به الله فله دلالة على البارى تعالى لأن هذا الصوت له أسميه، أما مثل عيسى(عليه السلام) أو الأنبياء أو المقربين أو الأوصياء فأولئك قربهم ودلالتهم أضعف درجه من دلالة هذا الاسم الصوتى الملفوظ.

وهذا غير صحيح، فى حين نرى البارى تعالى يطلق على مخلوقات كبيره بأنها آيات كبرى: لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى ، فما هو الكبر فى تلك الآيات مع أن معناها العلامه؟!.

إذن عندما تكون هناك آيات كبرى أى هى فى دلالتها على الله بنحو عظيم جداً. فكيف لا يطلق الأسم على تلك الآيه الكبرى.

ص: ٧٠

يوجد هناك ترادف لغوي ولكن البعض ينكره والبعض الآخر يقرره، فمثلاً لفظ أسد وعضنفر وليث وضرغام وأسامه وقسوره وضيعم وسبع، ورثبال وزفر....، ربما يقال له (٨٠) أسماً. وقال ابن قلوبه خمسمائه أسم وصفه (١)! فهل هناك ترادف لغوي أم لا ؟.

ف قيل بالدقه العقليه أنه لا ترادف لغوي في هذه الألفاظ، لأن كل لفظه تدل على حاله من حالات الأسد وقيل بالدقه العرفيه يوجد هناك ترادف لغوي،

والترادف العقلي هو اشتراك معنيين في أجزاء معينه من المعنى بغض النظر عن أنهما كليهما مشتركان في تمام الأجزاء أو في بعض الأجزاء، يعنى شبيه إندرج شيئين في نوعيه وماهيه واحده، هذه المعيه مأخوذه من معيه وهويه هذا الشىء ومأخوذه من ماهيه وهويه الشىء الآخر، أو من الماهيه الجنسيه القريبه أو المتوسطه أو البعيده.

فالجنس ولو البعيد مأخوذ في تعريف الشىء ولكنه مأخوذاً بنحو الإيهام أو الأجمال، أو بنحو الغفله ولكنه غير منبه عليه. وإذا كان مأخوذاً في معنى آخر وبين المعنيين إشتراك في الأجزاء وحينئذ إذا كانت هناك أحكام أو آثار مترتبه على الشىء بلحاظ ذلك الجزء المشترك فسوف تترتب

ص: ٧١

عليه كلها، لأن المفروض أن الآثار المترتبة على ذلك الجزء المشترك لا الهويه الفرديه لهذا الشيء، ولو كان الجزء المشترك جزءاً بعيداً، أو جنساً متوسطاً، أو جنساً قريباً، أو ماهيه نوعيه... فهناك مراتب عديده، وحينئذ سوف يفتح باب يسمى باب الترادف العقلي.

ومن الطبيعي هذا الترادف محله فيما هو مشترك لا- بما هو مختلف ومغاير، وآليه أكتشافه يعبر عنها بالصناعه، أو بالتحليل والتركيب، وهذا غير صناعه الاستقراء وغير صناعه القياس الأقتراي، إذ البرهان أو الوصول إلى الإستدلال عبر ثلاث طرق:

مثلاً في منطق أرسطو وإن كان هذا البحث أعمق من منطق أرسطو ولكن في عموم المدارس المنطقيه طرق البرهان التي تذكر إما عبر القياس الاقتراي للأشكال الأربعة أو الاستقراء التام أو صناعه التحليل والتركيب، فعندما نعرف الإنسان بصناعه التحليل والتركيب نقول هو جوهر جسم حساس أو نام حساس متحرك بالإراداه ناطق، كل هذه المعاني موجوده في معنى لفظه الإنسان، فعندما ندرک معنى لفظ الإنسان سوف ندرکها بمعاني خمسه أو عشره مدمجه مندمجه ملفوظه في معنى واحد.

من الأكيد سوف ندرکها بهيئه معنى واحد، وهنا يطرح هذا السؤال كيف أصبحت المعاني العشره معنى واحداً؟ فهل يمكن أن يكون الواحد عشره والعشره واحد؟

نعم يمكن فإن العقل لديه القدره على كبس المعاني ودمجها يصهرها

ويصوغها في معنى واحد يفعلها عبر الدمج والتركيب يدمجها ويكبسها ويضغطها في معنى واحد ويقول (الإنسان)، وهذه الكلمه - الإنسان - إذا أراد العقل أن يحلل معناها الوجداني ويفككه ويفسره سوف يقول هو جوهر نام حساس متحرك بالإرادة مدرك للكليات وهكذا تصح معان عديده وإن كانت بالنظره الأوليه البسيطة واحده.

الإنسان والمخلوقات الأخرى:

إن الكثير من أحكام وآثار طبيعه الحيوان هي موجوده في الإنسان، فإن هناك بحوثاً طبيه كثيره تجرى في الحيوان ثم تجرى في الإنسان، كما أستفيد هذا كثيراً عند أختراع بعض الأدوية، فإنها تجرى وتجرب أول وهله على الحيوان ثم بعد ذلك أعطيت إلى الإنسان لوجود أجزاء مشتركه بين طبيعه الحيوان والإنسان.

وأيضاً هناك أجزاء مشتركه بين طبيعه الإنسان والنباتات وهناك كثير من التجارب أجريت في النبات قبل أن يجروها في الإنسان، من قبيل الأحماض والإنزيمات أو الخلايا كيف تنمو وغير ذلك.

فإذا نجحت الجراحه في النباتات أجروها على الإنسان، وهذه علوم تجريبيه، بل أكثر من ذلك فإن هناك طبيعه مشتركه بين الإنسان والجماد، مثل العناصر الأوليه للفلزات أو المعادن كالحديد مثلاً ما هي خواصه فيعرفون خواص هذا المواد في بدن الإنسان، أو أن الماده في الإنسان توصل الكهرباء أم لا وكثير من التجارب، لأنهم شاهدوها في الجماد أو أن الماده

عازله عن الكهرباء، وعن الحرارة، فكذلك يشاهدوها في بدن الإنسان، والسبب أنه بين الجماد والإنسان جهات اشتراك حقيقيه فيرتبون عليها آثار في العلوم التجريبيه.

الملائكه والإنسان:

أيضاً هناك جهات مشتركه بين المَلَك والإنسان، فالعقل موجود في كليهما، فإن الإنسان لديه قوه الفهم والعقل العملى والقلب، إذن حقيقه الملكيه أو الملك موجوده في الإنسان، وهذه الحقيقه قد تفتت أو تشتت كمالاً وهذا الأشتراك في الطبايع ليس بياناً شعرياً أو خيالياً أو تمثيلاً، والمهم تفسير هذه الظاهره وسببها الذى مر بنا من أن هناك حقائق مشتركه أو أن هناك أجزاء مشتركه والتي نستطيع أن نسميها بالترادف العقلى أو نسميها بصناعه التحليل والتركيب.

ففى جمله من الآيات القرآنيه تشير إلى أن هناك جمله من الأمم السابقه المختلفه والذين يكفرون بأنبيائهم كانوا يطالبونهم ويطالبون البارى تعالى بأن يرسل مع الأنبياء ملائكه من قبيل قوله تعالى وَ لَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَ لَلْبَشِرِنا عَلَيْهِم ما يَلْبِسُونَ (١).

ومفاد الآيه أنه لو كانت الحقيقه الملكانيه موجوده في الرسول فهى لا- تكون بمفردها موجوده بل تكون هناك أجزاء أخرى أيضاً موجوده معها

ص: ٧٤

من الحقائق، وذكر العلامة المجلسي (رحمه الله) في تفسير هذه الآية:

أن فيها إشاره صريحه إلى أن في الأنبياء من الحقيقة الملكانيه. بل ليس الحال يقتصر على الأنبياء فقط بل سائر ذوى العقل واللب من البشر فيهم درجه ودرجات مختلفه من الحقيقة الملكانيه كما أشار إلى ذلك أمير المؤمنين (عليه السلام) من أن الإنسان غرز فيه العقل والشهوه، فإن رجح وسيطر عقله على شهوته كان أفضل من الملائكه، وإن رجحت فيه الشهوه وسيطرت فهو أضل من الحيوانات، لأن الحيوانات شهوه بلا عقل فهو إذن أضل من الحيوانات.

ويبين (عليه السلام) أيضاً أن حقيقه البهيميه والغرائزيه موجوده في الإنسان، والحقيقه الملكانيه أيضاً موجوده في الإنسان، وحينئذ إرادته الإنسان هي سيده الموقف فإن تغلبت شهوته على عقله فشهوته أشد شهوائيه وشراسه من شهوه الحيوانات لأنها تغلبت على العقل، وإن تغلب عقله المزاحم بالشهوات فعقله أقوى من عقل الملك، وهذا البيان ليس بياناً شعرياً أو بياناً نثرياً أو بياناً تخيلياً، بل هذه حقائق من وجود الترادف أو وجود الأجزاء المشتركه في أجزاء الحقيقة وتكشف بتوسط صناعه التحليل وصناعه التركيب.

وهذه صناعه علميه مهمه جداً، فأنتك تدرك معنى وحداني للشئ أو للإنسان مثلاً ولا تلتفت إلى أن هذا المعنى الواحداني مأخوذ فيه عدده من المعاني هي أصوله الجنسيه وأجناسه وأنواعه الفوقيه التي بنى عليها، من قبيل أن الإنسان حيوان ناطق، فكيف يكون هو معينين إثنين مع أن

الإنسان معنى واحداً. ولكن بتوسط قدره العقل وخلاقته يدرك أن الإثنين يساوى الواحد المجموعى، وعشره أجزاءه تساوى معنى واحداً مجموعياً كما هو الحال فى معنى الصلاة (وأقيموا الصلاة) والتي تعنى النيه، والتكبير، والقيام، والقراءه، والركوع، والسجود، والتشهد، والركعه الأولى، والركعه الثانيه و...، كل هذا المركب الوجدانى صار معنى واحداً.

ومن أراد أن يخوض فى بحث المعارف، وبحث الحقائق، ويأنف من تحليل المعانى فمن الأفضل له أن لا- يخوض فى هذه البحوث. لأن بحوث المعارف، والمعانى، والحقائق لا بد فيها من تحليل، وتفسير، وتفكيك، وتبيين الترادف العقلى.

والعقل عنده هذه القدره أى قدره دمج المتكثرات، وكبسها، ومزجها فى معنى واحد، وهذه البحوث مؤثره فى البحث والمنهج العلمى حتى فى فقه الفروع، فإذا أريد البحث عن عنوان معين، فهل يقتصر فى البحث عنه باللفظ أم بمرادفاته اللفظيه أم لا بد من البحث والتنقيب فى مرادفاته العقليه أيضاً بحسب الآثار المترتبه على المعنى فضلاً عن مرادفاته الوجدانيه وهو نظام أوسع فى البحث العلمى.

وهذا الذى ذكرناه كله لا يتم بدون صناعه التحليل والتركيب وإلا فالأمر يكون صعباً فى البحوث كلها، سيما فى بحث المعارف. فلا- ينبغى لنا أن نحسب الألفاظ والمعانى بالمعانى المتبادره فى الوهله الأولى أى المعانى بالمبادئ والأمثله الماديه والحسيه، بل نترك المبادئ ونأخذ بالغايات من

المعاني، وهذا الأمر ليس يجرى فى بحوث المعارف فقط بل فى الأبحاث الفقهيّه أيضاً فيجب أن يكون بحثاً موزوناً بالموازن وبالقواعد لا- بالاقتراح ولا- هلوسه ذوق بحسب المشتبهات، بل بالموازن وبالقواعد التى ليست هى خصوص الألفاظ ولا مرادفاتهما اللفظيه بل لا بد من التوسع إلى مرادفاتهما العقليه.

فإذا لم تكن لدينا شامه، وباصره عقليه، نشم من خلالها الأجزاء العقليه فلا يمكن لنا أن نخوض فى المباحث العقليه أو المعارف، ولا- تكن أيها الباحث حبيس الحس، أو البساطه العفويه فى المعاني، فإذا كنت كذلك إذن فأسترح فى مكانك، ولا تخض مع الخائضين، وإذا كان لديك نفس وباع أن تشمشم أو تدرك تلك المعاني فسوف تفككها، وتحللها وتفصلها شيئاً فشيئاً، وحينئذٍ خض مع الخائضين فى هذه الأبحاث.

فلا نكونن أسراء الأصوات والألفاظ. فهذا اللفظ غير هذا الصوت بل له صوت آخر وتفعيله صوتيه أخرى.

فى الحوارات التى تكون بين المؤمنين والسلفيين، أو مع أصحاب الفلسفات الغربيه، ومن يتلبس بلباس الحداثه والتجدد وهلم جراً، التى هى الأثواب الجديده فى الفلسفات الغربيه يأتى هذا الاعتراض على منهج التحليل والتركيب فى المعاني فتراهم يقفون عند السطح ويقولون هذه أذواق وهلوسه وما شابه ذلك. نعم الهلوسه والتذوق والتشهى ليس بالمنهج الصحيح، وهذا أمر سليم ولكن بينهما أى بين تفريط السطحيه

وإفراط الهلوسه خيارات منهجيه وطرق موازين أخرى.

بل نكون فيها من المدققين أو من المحققين أو من الفاحصين وطريق ثالث ورابع وخامس وهكذا. إن البعض يقول كيف يتم الإستدلال والربط بشيء هو غير مرتبط بالمدعى. أنظر كيف يأتيك بأدله، وكأن الارتباط بالإستدلال فقط و فقط بأصوات الألفاظ المتشابهه. نعم صوت اللفظ موجود فى الدليل وهذا هو الإستدلال المتين والمحكم ولكن إذا كان يضم إليه شيء من التحليل فى المعنى فحينئذ هل يكون هناك نوع من التذوق والتشهى والإستدلال الشعري أو التمثيل، كلا- بل فى الحقيقه الإستدلال الحقيقى هو التحليلى المنهجى الذى يقف ويتبع قوالب المعانى وليس المعانى فى السطح الظاهرى وإنما المعانى فى السطح العميق.

نزهونا عن الربوبيه:

ومن باب المثال المحقق التستري صاحب قاموس الرجال، قال (١): إن حديث: «نزهونا عن الربوبيه وقولوا فينا ما شئتم ولن تبلغوا كنهنا» (٢)، هو حديث موضوع، ونحن بحثنا بحثاً أستقرائياً يسيراً جداً فوجدنا ثمانية طرق لهذا الحديث، فى حين يقول التستري لا سند، ولا مصدر له.

ولو سلمنا أن هذا الحديث غير موجود أصلاً، أليس هناك مرادفات

ص: ٧٨

١- (١) الأوائل للشيخ التستري.

٢- (٢) البحار ج ٢٦ / ٢ ح ١، مشارق أنوار اليقين: ٦٩.

عقلية لهذا الحديث، وليست المرادفات تحصر في المرادفات اللفظية أو اللغوية - كما عرفنا سابقاً - بل هناك ترادفان أوسع بآباً ومفتاحاً من الترادف اللفظي اللغوي ألا- وهما: الترادف العقلي، والترادف الوجودي الأرتباطي، وهما أعظم في فتح باب الاستدلال والدليل، ومن المرادف العقلي لهذا الحديث هو الحديث الوارد عن جابر بن عبد الله الأنصاري حيث يقول: قلت لرسول الله (صلى الله عليه وآله): أول شيء خلقه الله تعالى ما هو؟. فقال: نور نبيك يا جابر، خلقه الله ثم خلق منه كل خير(1).

وهذا يعنى أن المصادر الأول هو النبي (صلى الله عليه وآله) ثم خلق الله عزَّ وَجَلَّ الأشياء مشتقه من نور النبي (صلى الله عليه وآله) وهناك قاعده عقلية مفادها إن المعلول لا يحيط بالعله ولو كانت عله في وساطه الفيض أى ما به الوجود لا العله الأولى ما منه الوجود، لأن المعلول متقوم بالعله، إذن المعلول الذى خلق بتوسط الواسطه في الفيض مهما أراد أن يبلغ كنه عله في الفيض لا يصل إليه، هذا المعنى نفسه هو معنى وقولوا فينا ما شئتم عدا الربوبية والإلوهية - ولن تبلغوا كنهنا، فبينهما ترادف عقلي وليس ترادفاً لفظياً، فإن الترادف العقلي يحتاج إلى تحقيق واجتهاد ولا يحتاج إلى كسل وسطحيه وسداجه. بل يحتاج إلى عمق تحليل بقواعد وقوالب فإذا أستطاع الإنسان أن يحلل أكثر فأكثر فسوف يصل إلى أمور كثيره من المرادفات العقلية فضلاً عن باب الترادف الوجودي.

ص: ٧٩

١- (١) تفسير الآلوسى ج ٥١: ١، السيره الحلبيه ج ٥٠: ١، يبايع الموده للقندوزى ج ٤٥: ١، الفجر الصادق لجميل صدقى الزهاوى: ٢٩٥، البحار ج ٢٤: ١٥، الباب (١) ح: ٤٣، ج ٢٢: ٢٥، ح: ٣٧.

إن الاستفاضه المعنويه هي غير التواطىء اللفظى، إن الكثير من الكتاب ممن له موقعيه فى العقائد، والفكر يقول: لا- تواتر فى الشىء الفلانى، فأى تواتر ينفيه، هل التواتر فى اللفظ أم التواتر فى المعنى، هب أنه لا تواتر فى المعنى موجود، ولا تواتر لفظى ولكن ما هو مقصودك من نفي التواتر المعنوى، يعنى أى معنى تنفى تواتره تمام حدود المعنى أو بعض أجزاء المعنى من أجناسه العديده الأعلى فالأعلى مما يشترك معه فى جزء وجهه من المعانى، أنظر كيف يتسع بحث التواتر المعنوى أو الاستفاضه المعنويه. فهذه قواعد وقوالب فى عالم المعنى.

الترادف الوجودى:

مثال آخر، قد يكون هناك ترادف معنوى ولكن لا- فى جزء ذات المعنى بل فى المعانى الأملتراميه. لأن اللوازم دائماً تحيط بالمعنى سواء التلازم المعنوى أو الوجودى، شبيه الشمس والمنظومات الشمسيه، وهذا نوع من الترادف للمعنى لا يعرف، فهناك نوع هائل ومهول وكبير من الترادف للمعنى وهو الترادف الوجودى وهو أوسع من الترادف المعنوى العقلى.

إذن أى تواتر معنوى أنت تنفيه. هل تنفى التواتر المعنوى من هذا القبيل.

إن الناظر بنظره سطحيه للروايات والآيات لا يلتفت إلى هذه الأقسام الوسيعة من التواتر، بل الذى يلتفت إليه هو المجتهد لا المحقق فقط، الذى هو مجتهد حقيقه لا أسماً، والمحقق حقيقه لا أسماً.

لأنَّ عالم تفصيل المعانى وترابطه الوجودى عالم كبير ومهم وهو يصب فى بحث المنطق وبحث المنهج وبحث الاستدلال ولا ربط له بالأصوات، بل بالمعانى ومنظومه الارتباطات الوجوديه. وهى بحوث مهمه ومفيده وضروريه ونافعه فى التفسير والمعارف والعلوم الدينيه وحتى فى فقه الفروع، وهى مضبوطة بقوالب، وقواعد علميه.

أقسام الوحي:

اشاره

هناك أقسام للوحي أشار إليها القرآن الكريم لابدَّ من الأحتفاء بها وهذا الحديث هو فى سياق التعرف على حقيقه أبلاغ الوحي للرسول أو لسيد الرسل (صلى الله عليه و آله) وحقيقه الكتاب الإلهى والكلام الإلهى، ومن تلك الأقسام التى أشار إليها القرآن الكريم ما يلى:

القسم الأول: الوحي:

وهو ما أشار إليه فى قوله تعالى: وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بَأْذَنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ١.

وهذا القسم فيه نوع من التوسعه ونوع من الإطلاق وعدم التقييد، والوحي هو الإشاره، والإلهام، والإيماء الخفى للكلام الإلهى (١)، فالوحي

ص: ٨١

١- (٢) قال الكسائى: وَحَى إِلَيْهِ بِالْكَلَامِ يَحَى بِهِ وَحْيًا، وَأَوْحَى إِلَيْهِ وَهُوَ: أَنْ يَكَلِّمَهُ بِالْكَلَامِ يَخْفِيهِ عَنْ غَيْرِهِ / تَهْدِيْب اللّغَه لِلأزهرى (٢٩٦/٥). والوحي فى اللغه: إنما هو ما جرى مجرى الإيماء والتنبيه على شىء من غير أن يفصح به/ غرر الفوائد ودرر القلائد (٢٠٥/٢). وقال الراغب الأصفهانى: فأمر وحى: هو ما يكون بالكلام على سبيل الرمز والتعريض. (المفردات فى غريب القرآن: ٥١٥) وقال أيضاً: الوحي: الكلمه الإلهيه تلقى إلى أنبيائه وأوليائه، يقال وحى.

بنفسه هو المعنى المرموز، وبعبارة أخرى، الذى دلالاته تكون خفيه فالدال يكون خفياً والدلالة تكون خفيه، فالخفاء فى الوحي ليس فى الدلالة فقط بل فى ذات وجود الشىء الدال على الدلالة. فمثلاً- نحن لا ندرك أصوات كثير من الموجودات ثم لو أدركناها لما علمنا هذا الصوت دال على ماذا؟! فتارة الخفاء يكون فى الدال وأخرى فى الدلالة.

إذن للدال على المدلول خفاء كثير ومن هنا فالوحي فيه خفاء فى الدال وفيه خفاء فى الدلالة.

القسم الثانى: التأييد:

وهو من أقسام الوحي التى ذكرها القرآن الكريم وأشارت إليه بعض الروايات الواردة عن أهل البيت (عليهم السلام)، حيث قال تعالى: وَ أَيْدِنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ (١).

فالتأييد - أيضاً - هو نمط ومنحى من الوحي، فعن أبى عبد الله (عليه السلام): وإن رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان مسدداً موفقاً مؤيداً بروح القدس لا يزل ولا يخطئ فى شىء مما يوسوس به الخلق، فتأدب بآداب الله.... (٢).

وعن المفضل بن عمر، عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال: سألته عن علم الإمام بما فى أقطار الأرض وهو فى بيته مرخى عليه ستره، فقال: يا مفضل، إن الله تبارك وتعالى جعل فى النبى (صلى الله عليه وآله) خمساً أرواح: روح الحياه فبه دب

ص: ٨٢

١- (١) سورة البقره: الآيه ٨٧.

٢- (٢) لكافى للكلينى ج ٢٦٦: ١.

ودرج وروح القوه فيه نهض وجاهد، وروح الشهوه فيه أكل وشرب وأتى النساء من الحلال، وروح الإيمان فيه آمن وعدل، وروح القدس فيه حمل النبوه فإذا قبض النبي (صلى الله عليه و آله) أنتقل روح القدس فصار إلى الإمام، وروح القدس لا ينام ولا يغفل ولا يلهو ولا يزهو والأربعة الأرواح تنام وتغفل وتزهو وتلهو وروح القدس كان يرى به (١).

وعن عمار السباطى قال: قلت لأبى عبد الله (عليه السلام): ما منزله الأئمه؟ قال: كمنزله ذى القرنين و كمنزله يوشع و كمنزله آصف صاحب سليمان، قال: بما تحكمون؟ قال: بحكم الله و بحكم آل داود و بحكم محمد (صلى الله عليه و آله) و يتلقانا به روح القدس (٢).

ومن الطبيعى أن روح القدس درجات كما فى الروايات من أن الإمام (عليه السلام) إذا ولد أيد بدرجه من روح القدس وإذا تشهد أو سجد وقرأ جملة من الأذكار ضوعف له فى روح القدس وإذا مات الإمام الذى قبله ضوعف له فى روح القدس أكثر.

ومن باب تقريب الفكره نذكر هذا المثال، إن الطفل الرضيع لو أتيت له بشدى غير ثدى أمه فإنه لا يرتضع منه ويعرض عنه أما إذا أتيت بشدى أمه فنراه يرتضع منه ويتقبله لأنه يدرك الوجود الخاص للشدى من والعدم، وإلى ذلك يشير الحديث الشريف إن الطفل يولد على فطره التوحيد يعنى يدرك الوجود المطلق من إدراك ذاك الوجود المقيد فيدرك وجود الله المطلق

ص: ٨٣

١- (١) الكافى للكلينى ج ٢٧٢: ١.

٢- (٢) المصدر السابق: ٣٩٨.

بالوعى والإدراك الذاتى والفطرى للبارى تعالى، وهذا الأمر موجود حتى فى الطفل الصغير، فالعقل النظرى يدرك الوجود والعدم وإذا بلغ الصبى درجه التمييز الذى هو العقل العملى يقوم بالتمييز بين الخير والشر، وبين الحسن والقبيح، وهناك درجه زائده، ومزاج وذوق عقلى إذا بلغ الصبى أشده ورشده يزداد فى العقل ثم لا- يزداد له إلا بمقدار العلم أو العمل ليورث علماً، فإن:

«أعقل الناس أطوعهم لله سبحانه»^(١)، «وأعقل الناس من أطاع العقلاء»^(٢)، «أعقل الناس أنظرهم فى العواقب»^(٣)، وغير ذلك من الأحاديث الشريفه.

فهذه درجات وزياده فى العقل الإنسانى بقدر ما يكتسب من درجات وعلم وإدراك وما شابه ذلك، أما فى المعصوم فيزداد له فى روح القدس بتعبير «وأيدناه بروح القدس».

فإن روح القدس له شأن كبير كما سيأتى بيانه إن شاء الله تعالى.

القسم الثالث: الفطره:

أشاره

إن الله عَزَّ وَجَلَّ يَفْطَرُ الْمَخْلُوقَ عَلَى شَيْءٍ مَعِينٍ، فَكُلُّ بَنَى الْإِنْسَانِ فِي

ص: ٨٤

١- (١) عيون الحكم والمواعظ لعلى بن محمد الواسطى: ١١٢.

٢- (٢) المصدر السابق.

٣- (٣) موسوعه أحاديث أهل البيت (عليهم السلام) ج ٢٩: ٧ / ٧٨٨٩.

دائره البديهيّات لهم عصمه فى البديهيّه سواء البديهيّات التى فى جانب العلم أم التى فى جانب العمل، فبمقدار البديهيّات أو اليقينيّات أو ما قرب منها الفرد البشرى معصوم، أى استثماره فى هذه الدائره، وهناك دوائر أوسع، ودوائر أكثر (قد يخطئ الإنسان فيها وقد يصيب) ولكن فى ظل هذه الدائره نفسها الإنسان معصوم، ولو أفترض عدم إستعصام الإنسان فى هذه الدائره لما أمكن الإنسان أن يستكشف أى شىء أصلاً، فهذه الدائره فيها عصمه، وهذه العصمه المحدوده فى كل أفراد الإنسان وجدت بسبب أيجاد الله تعالى الفطره فى الإنسان: وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ (١)، وقوله تعالى: فَطَرَتِ اللَّهُ التِّي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ (٢)، وقوله تعالى: الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ (٣).

أما إذا كانت هذه الفطره التى هى بدرجة محدوده فى بقيه أفراد الإنسان إذا أوجدها البارى تعالى فى فرد إنسانى بنحو وبدرجه واسعه جداً فالمساحات النظرية عند البقيه سوف تكون بالنسبه له بديهيّه. ومن هنا سوف تكون عصمته وسيعه، فما ندر كه نحن بتوسط الأدوات النظرية فهو يدر كه بتوسط البديهيّات.

مثلاً هناك فرق بيننا وبين بعض الحيوانات فى بعض دائره البديهيّات،

ص: ٨٥

١- (١) سورة الأنعام: الآيه ٧٩.

٢- (٢) سورة الروم: الآيه ٣٠.

٣- (٣) سورة فاطر: الآيه ١.

فَعِنْدَ الْإِنْسَانِ بَدِيهِيَاتٌ لَا تَدْرِكُهَا الْحَيَوَانَاتُ، رُبَّمَا تَكُونُ مَبْهَمَةٌ وَمَجْمَلَةٌ وَمَحْجُوبَةٌ عَنْهَا، فِي حِينٍ أَنْ دَائِرَةَ الْبَدِيهِيَاتِ الَّتِي عِنْدَنَا تَخْتَلِفُ عَنْهَا بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْمَصْطَفِيِّينَ بِالْإِصْطِفَاءِ الْإِلَهِيِّ دَرَجَاتٍ بَلْ فِيمَا بَيْنَ الْمَصْطَفِيِّينَ أَنْفُسَهُمُ الْحَالُ مُتَفَاوِتٌ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى:

تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ (١).

حَيْثُ يُوَسِّعُ الْبَارِي لَهُمُ الْفِطْرَةَ وَالْبَدَاهَةَ، وَهَنَّاكَ أَمْثَلُهُ كَثِيرَةٌ عَلَى ذَلِكَ، مِثْلًا عُلَمَاءُ الرِّيَاضِيَّاتِ عِنْدَهُمْ مِنَ الْبَدِيهِيَّاتِ الرِّيَاضِيَّةِ أَكْثَرَ مِنْ عَامَةِ النَّاسِ.

فَالْإِنْسَانُ بِتَوْسِطِ الْعُلُومِ يَدْرِكُ أُمُورَ بِدَرَجَةِ الضَّرُورَةِ أَكْثَرَ مِنْ بَقِيَّةِ النَّاسِ، لِأَنَّهُ زَيْدٌ لَهُ فِي الْعِلْمِ، فَالضَّرُورِيَّاتِ الْخَاصَّةِ الْمَوْجُودَةِ عِنْدَ الْعُلَمَاءِ كَالضَّرُورَاتِ فِي الْفِقْهِ، أَوْ فِي عِلْمِ الْكَلَامِ، وَمَا شَاكَلَ ذَلِكَ تَغَايِرَ الضَّرُورَاتِ الَّتِي عِنْدَ عَامَةِ الْمُسْلِمِينَ مَسَاحَةَ بَلْ تَغَايِرَ الضَّرُورَاتِ الَّتِي عِنْدَ عَامَةِ الْمُؤْمِنِينَ دَائِرَتَهُ، لِأَنَّ الْفَقِيهَ - مِثْلًا - يَدْرِكُ أُمُورًا بِتَوْسِطِ عِلْمِهِ فِي الْفِقْهِ بِدَرَجَةِ الضَّرُورَاتِ لَا يَدْرِكُهُ عَامَةُ النَّاسِ، وَكَذَلِكَ الْمُتَكَلِّمُ، أَوْ الْمَفْسِرُ، أَوْ الْمُحَدِّثُ.

وَهَذَا الْأَمْرُ لَيْسَ بِالْمُسْتَعْرَبِ وَلَيْسَ بِالْعَجِيبِ مِنْ أَنَّ الْبَدِيهِيَّاتِ وَالضَّرُورِيَّاتِ تَتَّسِعُ بِحَسَبِ مَا لِلْإِنْسَانِ مِنْ عِلْمٍ. وَبِالْإِمْكَانِ أَنْ يَكُونَ هُنَاكَ إِنْسَانٌ مَفْطُورٌ عَلَى الْعِلْمِ بِكُلِّ الْأَشْيَاءِ.

ص: ٨٦

عن أبي إسحاق النحوى قال: دخلت على أبي عبد الله (عليه السلام) فسمعتة يقول: إن الله عزَّ وجلَّ أدب نبيه على محبته فقال: وَ إِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ثم فوض إليه فقال عزَّ وجلَّ: وَ مَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَ مَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَقَالَ عزَّ وجلَّ: مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ، قال: ثم قال وإن نبي الله فوض إلى على وائتمنه فسلمتم وجد الناس فوالله لنحبكم أن تقولوا إذا قلنا وأن تصمتوا إذا صمتنا ونحن فيما بينكم وبين الله عزَّ وجلَّ، ما جعل الله لأحدٍ خيراً فى خلاف أمرنا(١).

وفى روايه أخرى عن فضيل ابن يسار قال سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول لبعض أصحاب قيس الماصر: إِنَّ اللَّهَ عزَّ وجلَّ أدب نبيه فأحسن أدبه، فلما أكمل له الأدب قال: وَ إِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ، ثم فوض إليه أمر الدين والأمه ليسوس عباده، فقال عزَّ وجلَّ: وَ مَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَ مَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ، وإن رسول الله (صلى الله عليه و آله) كان مسدداً موفقاً مؤيداً بروح القدس، لا يزل ولا يُخطئ فى شىء مما يسوس به الخلق، فتأدب بآداب الله... (٢).

وهذا دليل على علم رسول (صلى الله عليه و آله) بمحاسن وقبائح الأفعال كلها والتي هى عند الآخرين مجهوله فى حين عند رسول الله (صلى الله عليه و آله) معلومه، سواء كانت

١- (١) الكافى ج ٢٦٥: ١ ح ١.

٢- (٢) الكافى ج ٢٦٦: ١.

هذه الأفعال فعلاً فردياً أو فعلاً روحياً أو بدنياً أو سياسياً أو عسكرياً أو اقتصادياً أو اجتماعياً أو أسرياً، وفي أى صعيد من الأصعدة فإن أفعاله: وَ إِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ، بل أفعاله على خلق عظيم حتى مع الملائكة والجن، بل حتى مع المرثيات وغير المرثيات.

ولذلك نلاحظ في العلوم الحديثه تنظم هذه العلوم أخلاقيات معينه مع البيئه، مثلاً بيئه المعادن لا بد أن يكون هناك خلق معين مع هذه البيئه بمعنى أن لا يدمر هذه البيئه، فالغاز - مثلاً - الذى يرتفع إلى طبقه الغلاف الجوى، يجب أن يكون للإنسان خلق معين حتى مع الثروه الحيوانيه لكى لا- تباد الحيوانات كالثوره السمكيه بل وحتى النباتيه، فإن الإنسان إذا كان مدمراً لكل هذه البيئات فبالتالى سوف تنعدم هذه الدوره فى الطبيعه كلها.

إذن خُلق الإنسان لابد له من نظام معين مع دوره الطبيعه كلها من جمادات ونباتات ومعادن وحيوانات، وليس فقط مع الفرد والمجتمع والأسره والروح، ومن هنا نلاحظ أن خلق الإنسان يتسع ويرتبط ويتصل مع كل ما يحيط به.

ف وَ إِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ، يعنى أن خلق النبى (صلى الله عليه و آله) عظيم جداً عند الله عَزَّ وَجَلَّ فى كل مجال سواء فى تعامله مع الماء أم فى تعامله مع الحيوان أم التراب أم الروح أم العباده، وفى تعامله مع الله عَزَّ وَجَلَّ، أم فى تعامله مع الأسره، أم المجتمع، أم الزوجه، أم المرأه، أم القبيله، أم السياسه، إلى ما شاء الله من الكائنات والأكوان فإنه باب مفتوح كبير: وَ إِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ .

لذلك يقول الإمام (عليه السلام) في قوله تعالى: **وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ** ، إن هذا برهان وبيان عقلي على صلاحية الرسول (صلى الله عليه وآله) للتشريع، يعنى هو مفطور على محاسن ما يرضى الله عزَّ وجلَّ وعلى الكمال، ولذلك يقول (عليه السلام) عندما كمل خلق النبي (صلى الله عليه وآله) نزلت هذه الآية: **وَ مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَ مَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا** (١) ونزل أيضاً: **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ** (٢).

إذن إبلاغ الرسول (صلى الله عليه وآله) لمرضى الله، وموارد سخطه يكون بخلقه العظيم والكريم نفسه، ولذلك ورد فى روايه عن أحد زوجات النبي (صلى الله عليه وآله) عندما سئلت عن خلق رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقالت: كان خلقه القرآن يرضى لرضاه ويسخط لسخطه (٣). مع أن ذلك وصف ليوميات وتفصيل التعايش الخاص لحياته فى المنزل.

وهذا أمر بديهي يلمسه كل من يتعايش معه (صلى الله عليه وآله) كأنه لا يرى فرقاً بين القرآن المتلو والقرآن المجسم أمامه، فى حر كاته وسكناته، والقرآن كما نعلم لا يختص بالأوامر، والنواهي، والحكم، وما شابه ذلك، بل يشمل حكماً وملاحماً وأمثلاً ومواعظاً وأنباءات وبشائر، فتراه ينبأ عن الجنة وعن تفاصيلها وعن النار وعن تفاصيلها وغير ذلك.

ص: ٨٩

١- (١) سورة الحشر: الآية ٧.

٢- (٢) سورة الأحزاب: الآية ٢١.

٣- (٣) كنز العمال للمتقى الهندي ج ٢٢٢: ٧، ح ١٨٧١٨.

ومن هنا فإن الإنسان يلمس فيه (صلى الله عليه وآله) تعامل وتعاطى هذا الفعل الخاص، وكيف أن له صله معينه بآثار في عرصات يوم القيامة وكيف أن له صله بمقامات في الجنة، وعن أخبار الدركات التي في النار، وكيف أن له صله بالملائكة والجن، وكيف أن له تداعيات في أمواج المجتمع، وكيف أن له صله مع العدو والإنذار منه، وهذه الأبواب كلها مقررته في القرآن الكريم، فخلق النبي (صلى الله عليه وآله) هو القرآن كل القرآن:، وهذا نوع من الوحي.

عالم النحل والنمل المعقد:

وقد أستعمل القرآن الكريم مفرده الوحي في قوله تعالى: **وَ أَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ (٦٨)**

ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (١).

إن نفس هذه الفطره البالغه العظمه في النحل من بناء البيوت وأخذ رحيق الزهور وغير ذلك هذا النظام بالنسبه للعلوم البشريه يعتبر نظاماً معقداً جداً، ونظاماً مذهلاً ودقيقاً بفارق كبير عن نظام فعل البشر، هذا النظام المذهل ليس موجوداً في النحل صدفه بل فطره الله عليه وكذلك أيضاً نظام وقوانين النمل هكذا، وكلاهما من جنس الحشرات، وفي دراسته أجروها عن النمل في كاليفورنيا - وهي محافظه وليست مدينه - بلغ عدد

ص: ٩٠

النمل فى خليه واحده أكثر من عدد السكان بسنه عشره مره، هذه خليه موجوده فى هذه المحافظه، وتعتبر مدينه كامله للنمل حيث يوجد فيها كل ما موجود فى المدن الطبيعيه من شرطه وعمال وخدم وحرس وجنود وملكه وغير ذلك.

أنتقلت هذه الخليه من جحر إلى جحر رغم المخاطر الموجوده، وفى زمن قياسى معين، بحيث لو أراد الآن علماء الإداره والتخطيط والهندسه لنقل هذه المحافظه - كالفورنيا - فقد يحتاج إلى سنين عديده من التقدم العلمى والأزدهار الحضارى كى يستطيعوا أن يصلوا إلى هذه الهندسه الإداريه الموجوده فى عالم النمل، وهذه أمثله من الوحي الفطرى، ومن ثم فإن هذا الخلق العظيم: (لعلى خلق عظيم)، هو نفسه وحى ولكن من نمط آخر من الوحي، ومن هذا الباب ما ورد لدينا كثيراً فى أحوال أهل البيت (عليهم السلام) كيف أنهم يعلمون برضا الله وسخطه بالرضا والسخط الحاصل فى نفوسهم الشريفه.

علم الإمام عليه السلام:

وقد وردت روايات مفادها قولهم (عليهم السلام) إذا شئنا علمنا أن الله قد شاء وإذا سخطنا علمنا أن الله قد سخط من سخطنا، وهذا ليس بعجيب أو بعيد، أليس كل ما حكم به العقل حكم به الشرع، طبعاً العقل بحسب دائره البديهيات لو حكم على أمر أنه حسن فإنه يستكشف منه أن الله حكم بأن هذا أمر حسن، بحيث لا يخالجهك إرتياب فى كون رأى العقل فى

البديهيّات معصوم، ولكن الإنسان والفرد العادى معصوم فى دائره ضيقه بخلاف أولئك الذين اصطفاهم الله وطهرهم فإنهم معصومون فى دائره فطريه وسيعه، لأنه مقتضى تركيبه الاصطفاء، كما نعتهم القرآن: إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً (١)، وهذه الخلقه الفطريه الطاهره هى قسم من أقسام الوحي.

فإذا كانوا مطهرين وأبعد عنهم الرجس فلا محاله سوف تكون ميولهم ميول حق ونشأتهم نشأه حق، وإذا شاءوا علموا إن الله قد شاء.

فعن أبى بصير قال: سمعت أبى جعفر (عليه السلام) يقول: فى صاحب هذا الأمر سنه من موسى، وسنه من عيسى، وسنه من يوسف، وسنه من محمد (صلى الله عليه وآله).

فأما من موسى فخائف يترقب، وأما من عيسى فيقال فيه ما (قد) قيل فى عيسى، وأما من يوسف فالسجن والغيبه، وأما من محمد (صلى الله عليه وآله) فالقيام بسيرته وتبين آثاره ثم يضع سيفه على عاتقه ثمانيه أشهر فلا يزال يقتل أعداء الله حتى يرضى الله عزّ وجلّ، قلت وكيف يعلم أن الله تعالى قد رضى؟ قال: يلقى الله عزّ وجلّ فى قلبه الرحمه (٢).

وهذا نوع من الوحي غير التكليم، ويغايير مجيء ملك، ويغايير الوحي بالسمع، ويغايير الكلمه المدونه فى ألواح المنزله. فإن هذه الفطره المصطفاه نفسها هى قسم من أقسام الوحي، وهو من قبيل قوله تعالى: وَإِنَّكَ لَعَلَى

ص: ٩٢

١- (١) سورة الأحزاب: الآية ٣٣.

٢- (٢) إكمال الدين وتمام النعمه للصدوق: ٣٠٨.

خُلِقَ عَظِيمٌ وَإِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً وَقَوْلُهُ تَعَالَى: إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ (١)، وَفِي تَفْسِيرِ الْعِيَاشِيِّ عَنْ هِشَامِ بْنِ سَالِمٍ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا فَقَالَ: هُوَ آلُ إِبْرَاهِيمَ وَآلُ مُحَمَّدٍ عَلَى الْعَالَمِينَ فَوَضَعُوا أَسْمَاءً مَكَانَ أَسْمِ (٢).

وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى: وَآلُ مُحَمَّدٍ فَمَحَوَهَا وَتَرَكَوْا آلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ (٣).

وَفِي بَعْضِ قَرَاءَاتِ التَّفْسِيرِ عِنْدَهُمْ قَرَاءَةُ ابْنِ عَبَّاسٍ (وَآلُ مُحَمَّدٍ). وَالْمَهْمُ هَذَا الْاصْطِفَاءُ هُوَ أَنَّهُ نَحْوُ مِنْ أَنْعَاءِ الْوَحْيِ. وَهَنَا يَقُولُ الْمِيرْزَا الْقَمِي: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِذَا عَبَدَ نَبِيَّهُ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) بِوَسْطِهِ إِلهَامَ الْفِطْرَةِ مِنْ دُونِ نَزُولِ وَحْيٍ مِنْ جِبْرَائِيلَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وَإِتْيَانِ كَلَامٍ وَأَمْثَلِهِ، فَيَقَالُ: إِنَّهُ أَطَاعَ اللَّهَ جِزْمًا، فَإِنَّ الْعَقْلَ الْفِطْرِيَّ فِينَا فِي دَائِرِهِ صَغِيرِهِ نَظِيرَ الْإِلهَامِ فِيهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) فِي دَائِرِهِ وَاسِعِهِ بَوْسَعِ أَفْقِ الدِّينِ (٤).

فَأَحَدُ أَقْسَامِ الْوَحْيِ الْفِطْرَةِ الْإِلَهِيَّةِ، وَهَذَا مَا تَبَيَّنَ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى: فَطَرَتِ اللَّهُ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ (٥).

ص: ٩٣

١- (١) سورة آل عمران: الآية ٣٣.

٢- (٢) تفسير العياشي ج ١٦٨: ١.

٣- (٣) المصدر السابق: ١٦٩.

٤- (٤) القوانين للقمي ج ١١: ٣.

٥- (٥) سورة الروم: آية ٣٠.

وهناك ارتباط وثيق بين أحكام وطبيعته ونظام الفطره والدين، فإذا كنت تريد أن تعلم الدائره المركزيه فى الدين ما هى فأستطلع الفطره، وفى العصر الراهن كثير من أحكام الفطره التى يتوصل إليها البشر غير المسلمين وعند أتباع الديانات ما دامت هى أحكام فطريه إذن هى أحكام دينيه، لأن الدائره المركزيه فى الدين هى الفطره (كلما حكم به العقل حكم به الشرع) وهو نظير وَ إِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ، فكما أننا خلقنا على التمييز، نميز قبح الظلم عن حسن العدل، وقبح الكذب عن حسن الصدق، وقبح الخيانه عن حسن الأمانه، والوفاء والإحسان ومكارم الأخلاق، فهذه خطوط عامه وإدراكات أجماليه ندركها ونعلم بأن الشرع أحكامه حتماً على طبق هذه الفطره. وهذه الفطره إذا كتب لها أن تكون وسيعه فى كل الأفعال الفرديه والإجتماعيه والسياسيه والأداريه والروحيه والفكريه وغيرها من المجالات فسوف تصبح وَ إِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ .

القسم الرابع: التسديد أو اللطف:

القسم الرابع من أقسام الوحي هو التسديد أو اللطف كما فى قوله تعالى: كَذَلِكَ لِنَصِّيرَفَ عَنْهُ الشُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ (١)، حيث نزلت فى شأن النبى يوسف(عليه السلام) ولكن فى المقابل قال تعالى فى شأن أهل البيت(عليهم السلام): إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً .

ص: ٩٤

فلو لاحظنا هذا التعبير القرآني والفرق بين (لنصرفه عن السوء) وبين (يصرف السوء عنه)، ففي التعبير الثاني - يصرف السوء عنه - يعنى أن السوء مقبل على النبي يوسف (عليه السلام)، وليس أن النبي يوسف (عليه السلام) مقبل على زليخه وإنما السوء يقبل على يوسف أى (لنصرف عنه السوء)، وهذا التعبير نفسه فى آيه التطهير (ليذهب عنكم الرجس) يعنى ليذهب الرجس وليس ليذهبكم عن الرجس، والإذهاب بمعنى الأبعاد، فليس ليعدكم، وإنما ليعد الرجس عنكم، فهو - الرجس - مقبل فيبعده عنكم.

وهذا دليل على أنهم هم فى ذواتهم مطهرون، فالبارى عَزَّ وَجَلَّ يريد لهم طهاره وعصمه مستمره واقيه عن أن تلبسهم جاهليه المحيط من مدلهمات الدنس والنجس، وكما ورد فى زياره الإمام الحسين (عليه السلام): «لم تنجسك الجاهليه بأنجاسها ولم تلبسك من مدلهمات ثيابها»، لأن البيئه، وعوامل الضغط السياسى والعسكرى، والأسرى والتربوى، تشكل كلها عوامل ضغط أخرى قد تلبس الإنسان المدلهمات أو قد تنجس الإنسان، فهم (عليهم السلام) معصومون حتى مع هذه العوامل بتسديد وتأيد ربانى، وهذا لا- يعنى أن الله اصطفاهم بحسب ذواتهم فقط بل: إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ اصطفاء وتطهير عن المحيط، وإصطفاء ثان بإفاضه الكمالات التى تتعالى على صفات الآخرين، أى مرحله كامله من الاصطفاء والتطهير، علاوه على مرحله الذاتيه، فالذات نفسها مفضوره على الطهاره وعلى العصمه وعلى التسديد، وهناك مرحله أخرى وهو التسديد والتأيد عن تنجيس الجاهليه أو المدلهمات أو أدلهام المدلهمات من الجاهليه، والروح المسدده

لا توحى إلا إلى الأرواح الطاهرة: وَ كَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا .

فالفعل هو الوحي، والمفعول به هو النبي (صلى الله عليه و آله) والموحي هو الله عَزَّ وَجَلَّ، والموحي هو الروح الأمرى، وقد يكون الشىء الموحي هو الكلام كما فى: أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بَأْذَنِهِ مَا يَشَاءُ ١.

فيكون إحياء جبرائيل بمشابهة من إحياء الله، وجبرائيل يوحى كلام الله أو معانى وأصوات وكلمات، ولو دققنا فى الآية الكريمة: وَ كَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ٢، فهذا الروح الذى (من أمرنا) ليس هو وسيط يوحى، كلا بل هو بنفسه موحي، ونظير ما فى قوله تعالى: وَ كَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ٣، أى أوحينا إليك القرآن فالقرآن موحي ومتعلق للوحي أو كما يوحى إليه الكلام.

وكما أوحى إلى أم موسى عده أوامر إلهيه حيث قال تعالى: وَ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خَفَتْ عَلَيْهِ فَأَلْقَيْهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَ جَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ٤.

فقد أوحى إلى أم موسى سته أمور وهذه الستة يعبر عنها بالشىء الموحي، وعلى ضوء ذلك إذا نظرنا إلى قوله تعالى: وَ كَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ، نرى أن هذا الشىء الموحي نفسه هو رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ،

وهذا قسم من أقسام الوحي، وهو أن تجعل روحاً من عالم الأمر تغرز في روح النبي وذات النبي (صلى الله عليه و آله).

وهذه الروح هي الروح الأمرى وهذه الروح نفسها لها عدة تفسيرات وتعريفات في الآيات القرآنية وتفسيرها، كما في سورة الدخان: حم*وَ الْكِتَابِ الْمُبِينِ*

إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلِهِ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ (١).

القسم الخامس: الروح الأمرى إلقاء في الذات المصطفوية:

وفي سورة النحل: يُنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ (٢).

وكما في سورة القدر: إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلِهِ الْقَدْرِ*وَ مَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ*لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ*تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَ الرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ*سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطَلَعِ الْفَجْرِ .

وكما في سورة غافر: يُلْقَى الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ (٣).

وقد وردت روايات عديدة عن أهل البيت (عليهم السلام) أن الروح الأمرى أعظم من جبرائيل وميكائيل وعزرائيل وأسرافيل، وليس من جنس الملائكة، فعن أبي بصير أنه سئل الإمام الصادق (عليه السلام)... قلت: جعلت فداك ليس الروح جبرئيل، فقال: جبرئيل من الملائكة والروح خلق أعظم من الملائكة

ص: ٩٧

١- (١) سورة الدخان: الآية ١ - ٣.

٢- (٢) سورة النحل: الآية ٢.

٣- (٣) سورة غافر: الآية ١٥.

أليس الله يقول تنزل الملائكة والروح (١).

عظمه جبرئيل وكره اليهود له:

هذا مع ما لجبرئيل من العظمه، فهو الذى قلب قرى قوم لوط عاليها سافلها: فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَ أَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ (٢)، وغير ذلك من العذاب الإلهي نزل على يد جبرئيل، ولهذا ترى أن اليهود تكره جبرئيل: قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ * مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ ٣ .

وقد روى أن ابن سوريا وجماعه من يهود أهل فدك، لما قدم النبي (صلى الله عليه وآله) المدينة سأله... فقال ابن سوريا: خصله واحده إن قتلها آمنت بك، وأتبعتك، أى ملك يأتيك بما تنزل الله لك، قال: جبريل، قالوا: ذلك عدونا ينزل بالقتال والشده والحرب، وميكائيل ينزل باليسر والرخاء، فلو كان ميكائيل هو الذى يأتيك آمننا بك... (٣).

وفى روايه أخرى: لأن ميكائيل كان يشد ملكنا، وجبرئيل كان يهلك ملكنا فهو عدونا لذلك (٤).

ص: ٩٨

١- (١) بصائر الدرجات للصفار: ٤٦٢..

٢- (٢) سورة الحجر: الآية ٧٤.

٣- (٤) التبيان للطوسى ج ٣٦٤: ١، تفسير الرازى ج ١٩٤: ٣.

٤- (٥) البحار ج ٢٨٧: ٩.

فجبرئيل هو مظهر جبروتى ومظهر مددى رحمانى لله عَزَّ وَجَلَّ، فَإِنْ كَلِمَةُ جِبْرَائِيلَ مُشْتَقَّةٌ مِنْ جَبْرَانٍ أَيْ يَجْبِرُ مَا نَزَلَ مِنَ الْعَوَالِمِ، فَإِنَّ عَالَمَ الْجِبْرُوتِ فَوْقَ عَالَمِ الْمَلَكُوتِ وَفَوْقَ عَالَمِ النَّاسُوتِ، وَالتَّجْبِيرُ مِنَ الْعِظْمَةِ، وَلَا يَخْفَى أَنَّ أَسْمَاجِبْرَائِيلَ يَتَضَمَّنُ جَمْلَةً مِنْ صِفَاتِ الْأَسْمَاءِ الْإِلَهِيَّةِ وَلِذَلِكَ يَصِفُهُ الْبَارِئُ بِ (الْمَكِينِ): إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ *ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ *مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ (١)، وَالْمَكِينُ هُنَا مِنَ الْمَكْنَةِ وَالْقُدْرَةِ، مَعَ إِضَافَةِ ذَلِكَ إِلَى أَسْمِ الْبَارِئِ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ، يَعْنِي الْمَكَانَةَ وَالْقُدْرَةَ الَّتِي أُعْطِيَتْ لِجِبْرَائِيلَ مِنْ هَذَا الْأَسْمِ الْإِلَهِيِّ الَّذِي هُوَ صَاحِبُ الْعَرْشِ وَهُوَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وَكَذَلِكَ وَصَفَ جِبْرَائِيلَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) بِشَدِيدِ الْقُوَى كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى *ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى *وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى... (٢)، فَإِنَّهُ وَرَدَ فِي التَّفْسِيرِ أَنَّ: شَدِيدُ الْقُوَى هُوَ جِبْرَائِيلُ، أَيْ الْقُوَى فِي نَفْسِهِ وَخَلْقَتِهِ، وَذُو مِرَّةٍ أَيْ ذُو قُوَةٍ وَشَدَّةٍ فِي خَلْقِهِ، وَعَنِ الْكَلْبِيِّ: وَمِنْ قُوَّتِهِ أَنَّهُ أَقْتَلَعَ قَرَى قَوْمِ لُوطٍ مِنَ الْمَاءِ الْأَسْوَدِ فَرَفَعَهَا إِلَى السَّمَاءِ، ثُمَّ قَلَبَهَا، وَمِنْ شَدَّتِهِ صَيَّحَتْهُ لِقَوْمِ ثَمُودَ حَتَّى هَلَكُوا (٣).

بَلْ تَوْجَدُ لَدَيْنَا رَوَايَاتٌ أَنَّ جِبْرَائِيلَ عِنْدَمَا تَمَثَّلَ لِلنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) مَلَأَ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَهَذَا كُنَايَةٌ عَنْ أَنَّ كُلَّ عَالَمِ الْمَادَّةِ هِيَ مَحَلُّ قُدْرَتِهِ وَتَصَرَّفَ لِجِبْرَائِيلَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ).

ص: ٩٩

١- (١) سورة التكويد: الآيه ١٩ - ٢١.

٢- (٢) سورة النجم: الآيه ٤.

٣- (٣) البحار ج ٣٠٩: ١٦، التبيان ج ٢٨٨: ٩.

ومن الطبيعي أن عزرائيل وميكائيل وأسرافيل هم أيضاً كذلك، فهم إذن جنود الله لهم تعلق بكل عالم المادة.

ومن باب تقريب هذا الموضوع، مثلاً- يقال الجسم الدنياوى الأصلى فى الإنسان هو مادة طاقه بحسب علوم الفيزياء أو علوم الطبيعيات أو علوم الروح الجديده، فالبدن الطاقى هو الذى تتعلق به الروح وبتوسطه تتصرف هذه الروح فى البدن الغليظ، فالبدن الطاقى يكون هو الواسطه بين مراتب الروح وبين البدن الغليظ، وبواسطه الأجهزة الحديثه عرف أن شكل هذا البدن الطاقى كالبخار.

وهذا ما نجده فى البحوث الفلسفيه والعقليه السابقه، من أنهم شاهدوا من خلال المكاشفات أو بتوسط الأجهزة الحديثه أن بدن الإنسان الدنياوى هو روح بخارى وشكله كشكل السحب أو السحاب الأبيض الغليظ، وهذا البدن يتولد ويفرز الدم، ولكن هذه الطاقه غير مرئيه بأعيننا إلا من خلال الأجهزة الحديثه، أو المكاشفات أو غير ذلك.

وهذا ما يسمى ب (الأكتوبلازم)⁽¹⁾، وجبرئيل أيضاً له تعلق بالمواد الطاقيه غير المرئيه اللطيفه ومن ثم يتعلق بالماده الغليظه وهذه المواد والطاقات السابحه فى الفضاء الجسمانى منتشره فى كل النجوم والكواكب والأرض والمجرات، والعلم لم يكتشفها مع أنها تملأ الشرق والغرب، بل

ص: ١٠٠

١- (١) وهى الماده التى خلق منها الإنسان حسب هذه المقوله.

حتى عزرائيل كما فى الروايات أن له حضور فى كل نقطه من نقاط الأرض، وكذلك أسرافيل وميكائيل، لا يقتصر على الأرض فقط بل يشمل الكواكب والمجرات والمنظومات الأخرى وتامام الفضاء السماوى.

وفى روايه أخرى عن أمير المؤمنين (عليه السلام) والروح غير الملائكه (١).

ثم إن قوله تعالى (ينزل الملائكه بالروح) يشير إلى أن عروج ونزول الملائكه يتم بتوسط الروح الأمرى، وإذا كان نزول الملائكه يتم بتوسط الروح الأمرى، والنزول أسهل من العروج، فكيف بعروجها.

إذن العروج والنزول الذى تتمكن به الملائكه فى ليله القدر أو فى آن من الأنات أن تعرج الملائكه إليه فى يوم كان مقداره كذا هو بالروح الأمرى. وهو المشار إليه بعنوان: رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا، وهو الذى يقول عنه الإمام الصادق (عليه السلام): خلق والله أعظم من جبرئيل وميكائيل وقد كان مع رسول الله (صلى الله عليه و آله) يخبره ويسدده مع الأئمه من بعده (٢).

وفى روايه أخرى: ملك منذ أنزل الله ذلك الملك لم يصعد إلى السماء كان مع رسول الله (صلى الله عليه و آله) وهو مع الأئمه يسددهم (٣)، أو (وأنه فينا) (٤). وقد أشير إلى ذلك فى آيه الشورى وَ كَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِى

ص: ١٠١

١- (١) البحار ج ٦٤: ٢٥، الكافى ج ٢٧٤: ١.

٢- (٢) بصائر الدرجات: ٤٧٦.

٣- (٣) المصدر السابق.

٤- (٤) المصدر السابق: ٤٧٧، الكافى ج ٢٧٣: ١.

مِا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا أَى أَن الرُّوحَ الْأَمْرِيَّ يَجْعَلُهُ تَعَالَى نُورًا يَهْدِي بِهِ مَنْ تَعَلَّقَتْ بِهِمُ الْمَشِيئَةُ الْإِلَهِيَّةُ أَى الْمُصْطَفِينَ لِذَلِكَ كَمَا فِي آيَةِ فَاطِرٍ (ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ).

إِذْنِ هَذَا الرُّوحِ الْأَمْرِيِّ مُخْتَصِصًا بِالْمَعْصُومِينَ (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ): يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ (١)، وَالْأَمْرُ هُنَا الَّذِي هُوَ مِنْ عَالَمِ الْأَمْرِ وَعَالَمِ الْإِبْدَاعِ هُوَ الرُّوحُ الْأَمْرِيُّ، وَلَيْسَ هُوَ الْمَقَامُ الْقَانُونِيُّ الْمَخْتَصِصَ بِالْوِلَايَةِ السِّيَاسِيَّةِ فَقَطْ بَلْ يَعْمُ الْوِلَايَةَ التَّكْوِينِيَّةَ، وَيَشِيرُ إِلَى هَذَا الْمَقَامِ مَا وَرَدَ فِي رَوَايَاتٍ الْعَامَّةِ مِنْ أَنَّ السَّيِّدَةَ فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءَ هِيَ وَليَةُ الْأَمْرِ، وَهَذَا مَا صَرَّحَ بِرَوَايَتِهِ أَبُو بَكْرٍ فِي أَوَّلِ حُكُومَتِهِ (٢).

فَاطِمَةُ عَلَيْهَا السَّلَامُ وَوَلِيَّةُ الْقَدْرِ:

وَوَرَدَ أَيْضًا فِي رَوَايَاتِنَا أَنَّهَا (عَلَيْهَا السَّلَامُ) هِيَ لِيَلَهُ الْقَدْرُ، فَعَنْ زُرَّارَةَ عَنْ حَمْرَانَ قَالَ: «سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) عَمَّا يَفْرُقُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ هَلْ هُوَ مَا يَقْدِرُ اللَّهُ فِيهَا؟. قَالَ: لَا تُوصَفُ قَدْرُهُ اللَّهُ إِلَّا أَنَّهُ قَالَ: فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ فَكَيْفَ يَكُونُ حَكِيمًا إِلَّا مَا فَرَّقَ، وَلَا تُوصَفُ قَدْرُهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِأَنَّهُ يَحْدُثُ مَا يَشَاءُ، وَأَمَّا قَوْلُهُ: لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ يَعْنِي فَاطِمَةَ (عَلَيْهَا السَّلَامُ)، وَقَوْلُهُ: تَنْزَلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا، وَالْمَلَائِكَةُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ الْمُؤْمِنُونَ

ص: ١٠٢

١- (١) سُورَةُ النِّسَاءِ: الْآيَةُ ٥٩.

٢- (٢) شَرْحُ نَهْجِ الْبَلَاغَةِ لِأَبْنِ أَبِي الْحَدِيدِ ج ١٦:

الذين يملكون علم آل محمد (عليهم السلام) والروح روح القدس وهو في فاطمه» (١).

فإذا كانت فاطمه (عليها السلام) هي ليله القدر ووليه الأمر على حد روايه أبي بكر فهذا يعنى أن الأمر التكويني نفسه فى: إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون، وولى الأمر يعنى صاحبه الذى يختص بالروح الأمرى: أطيعوا الله واطيعوا الرسول، والرسول له ارتباط بالله عز وجل من رساله وغير ذلك.

إذن نبوه الوحى، وهكذا () أيضاً لهم ارتباط مع الله عز وجل بتوسط الروح الأمرى. فهى طائفه كلها لله عز وجل، فإن الإنسان لديه غريزه الشهوه والغضب ولديه روح العقل وروح الخيال، وأما المعصوم فأحد أرواحه هو الروح الأمرى، وهو - الروح الأمرى - جنس عالم الإبداع والأمر وليس من عالم الملائكه، وكذلك الملائكه ليس من عالم الأمر، فإن الملائكه لهم جسم لطيف له أجنحه كما هو مفاد الآيه الكريمه: جاعل الملائكه رُسُلًا أُولَى أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ (٢)، ونزول وعروج الملائكه يكون من عالم ملكوت السموات، ولكن بأجسام لطيفه، أما فى الروح الأمرى فليس فيه عروج ونزول وإنما كن فيكون.

ومن خلال هذا يتضح أن هناك ارتباطاً وثيقاً بين روح الأمر وبين ليله القدر، سواء من جهة نزول الملائكه أو عروجها.

ص: ١٠٣

١- (١) البحار ج ٩٧: ٢٥.

٢- (٢) سوره فاطر: الآيه ١.

هناك فرق بين تفسير المفسرين وحقائق معانى القرآن، وهذه ضابطه ميزانيه بالغه الأهميه فى علوم القرآن، ولهذا يجب أن لا نخلط بين هذين أى تفسير المفسرين وحقائق معانى القرآن، فيجب علينا أن لا نحمل القرآن الكريم النتاج البشرى، إن تفسير المفسرين مهما بلغ يكون من محدوده قدره بشر، وفكر بشر، وإستنتاج بشر، بينما حقائق معانى القرآن الكريم شىء آخر.

لأن المفسرين على طول التاريخ يعنى إلى عشره قرون بما فيهم ابن العربى الصوفى كانوا يفسرون سبع سموات بنمط هيئه بطليموس إلى أن جاء العلم الحديث وأبطل فكرتهم، إلا- أن بعض الكتاب المثقفين المعاصرين الذى ليس لهم باع فى علم الفيزياء والعلوم الأخرى زعموا بطلان دعوى القرآن الكريم أن السموات سبع.

وهناك من يظن أن السبع سموات هى نظريه بطليموس والحال أنه لا صلح بين نظريه بطليموس فى السموات السبع مع ما يذكره القرآن الكريم أو الإنجيل أو التوراه أو الكتب السماويه الأخرى كصحف آدم وصحف إبراهيم إلا محاوله من بطليموس لتفسيره هذه الحقيقه لسبع سموات التى تذكرها الكتب السماويه.

إذ بطليموس ولد بعد التوراه، فإن فكره السبع سموات فى ذهن بطليموس جاءت بسبب تعاليم السماء لا أن تعاليم السماء هى متأثره به.

وقد أشار بروفيسور أسكتلدى فى الفيزياء - صاحب كتاب «على حافه العالم الأثيرى» وقد ألفه قبل ما يقارب القرن وعنده تخصص فى عالم الأرواح أيضاً - أن نظريه السبع سموات هى ليست نظريه بشريه أصلاً، بل هى من تعاليم الكتب السماويه فقط، ثم يقول ونفسر السماء الثانيه والثالثه... بمعنى كرات أثريه غير مرئيه بالنسبه لنا بل مواد أطف، وبغض النظر عن أن هذا التفسير صحيح أو لا والمهم أنه يدلى بتفسير آخر ولكن لا يتنكر لمقوله سبع سموات الموجوده فى التوراه والإنجيل والفرقان، وهو عالم فيزيائى كبير.

وهذه حقيقه هامه أنه لا الفلكيون ولا المنجمون ولا الفيزيائيون ولا علماء الطبيعه اكتشفوا أن السموات هى سبع، أو عشره، أو واحده أو أكثر أو أقل، بينما الكتب السماويه أتفقت على أن السموات سبع.

وقد حاول بطليموس أن يفسر السماوات السبع بأنها أجسام شفافه كقشور بصل والقشره الأخيره فيها المجرات، والقشره ما قبل الأخيره فيها المنظومه الشمسيه وزحل ثم الشمس والقمر.

يعنى حاول أن يقسم سباعيه السموات بحسب المرثيات فى السماء، وهذا مثال لاختلاف قدره البشر فى تفسير حقائق معانى الوحي فينبغى أن لا نحمل القرآن الكريم على النتائج البشرى، وإن كثيراً من المثقفين لا تخصص لهم فى علوم كثيره ومع ذلك نراهم يتحدثون فى نتائج تلك العلوم الكثيره مع أنهم يتنادون بالتخصص وهم لا يعملون بالتخصص ولا

فتره يفتى لك فى الفيزياء وتاره يفتى لك فى النجوم وأخرى فى تاريخ العلوم مع أنه لا-باع له فى ذلك ثم يأتى ويريد أن يحاكم القرآن الكريم بتلك العقليه والمعلومات المحدوده له، وهذه جهالات يضمها إلى جهالات وما يستنتج من هذه الجهالات يريد أن يأتى بها ويحاكم على وفقها القرآن الكريم، وتاريخ العلوم مهم جداً ليعتبر الباحث كيفيه تطور الفكر البشرى من سطح درجه إلى أخرى وأنه لاينتهى الأفق لإدراك الحقيقه عند حد ويقارن ذلك مع بيانات ومعطيات الوحي.

فهناك فرق بين العلم نفسه وبين تاريخه، ألم يوجد هناك تاريخ علم الطبيعيات، كما هناك علم أصول الفقه وتاريخ علم الأصول، وأيضاً عندنا علوم الفقه والقانون وعندنا أيضاً تاريخ علم الفقه والقانون، حتى نعرف هذا العلم من أين بدأ ومن أين أسس وكيف مر بأدوار وما شابه ذلك.

إذن بطليموس جاء بتفسير هذه النظرية وهو لا-يعلم هي سبع سموات أو غير سبع وظل هذا التفسير مستمر إلى زمن الشيخ البهائي (رحمه الله) أو المرحوم المجلسي أو غيرهم من الأعلام، ومن المسلمين وغيرهم، فى حين أن هناك إشارات فى الروايات إلى ما فى سورة الصافات والملك، من قبيل قوله تعالى: **زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ (١)**،

ص: ١٠٦

وقوله تعالى: **إِنَّا زَيْنَا السَّمَاءِ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ* وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ (١).**

حيث صرح فيهما بأن كل ما تشاهدوه من كواكب ومجرات ونجوم هي زينه للسماء الدنيا التي هي السماء الأولى، وهذا يدحض رؤيه ونظريه بطليموس، وهذا ما أكده الإمام الرضا(عليه السلام) على ما جاء في تفسير القمي.

والكثير من الشبهات لدى البشر أمام منهاج السماء ناشئه من خطأ القراءة للنص الوحياني وفق قناعات علميه خاطئه، وهذا ليس تعصباً لمنهاج السماء ولكن منهاج السماء علمي مفتوح على الحقيقه اللامتناهيه لا- منهاج قناعات محبوسه على أفق محدود، شعار السماء شعار علمي لكن شريطه أن يكون هناك تفهم فاحص باحث منفتح أمام الاحتمالات الواسعه وإنصاف علمي لا تعصب جهالات على قناعات محبوسه، فيأتي بعض الباحثين ويستشكل على سيد الأنبياء(صلى الله عليه وآله) بأنه متأثر بنظريه بطليموس، وأن هذا من تزريق أو تأثير البيئه التي كان فيها سيد الأنبياء ومن ثم على القرآن الكريم. وهذه استنتاجات مغلوطة وجهوله عن الاطلاع على تاريخ النظريات العلميه فى العلوم وعن مقارنتها بتراث الوحي السماوى.

تأسيس الأنبياء والأوصياء لعلوم البشر:

هناك نظريه أخرى وعقيدته علميه أخرى وهى موجوده فى روايات أهل البيت(عليهم السلام)، أن تأسيس كل علم بشرى بدأ من الأنبياء والأوصياء(عليهم السلام)

ص: ١٠٧

وهذا عكس ما يدعونه هؤلاء من أن الأنبياء يتأثرون بقومهم، ولو بحثوا فى تاريخ العلوم لتبين لهم أن تأسيس العلوم بدأ على يد الأنبياء وأوصياء الأنبياء، وهذا ما بينه ثلاثة من الأعلام فى كتبهم وهم:

١ - السيد حسن الصدر فى كتابه تأسيس الشيعة، وذكر أن علوم الإسلام التى تفتقت فى الأمة الإسلامية كان الواضع الأول لها هم أئمة أهل البيت (عليهم السلام) وهذا إنجاز قيم ولطيف.

٢ - السيد محسن الأمين العاملى فى كتابه البارع الفخم الفاخر أعيان الشيعة، حيث ذكر فى بدايه كتابه هذا كيفيه تأسيس أئمة أهل البيت (عليهم السلام) ومن بعدهم شيعتهم للعلوم الإسلامية وهذا مهم فى تاريخ الحضاره الإسلامية، وفى تاريخ مساهمه المسلمين فى العلوم البشريه والحضاره البشريه التى مصدرها أئمة أهل البيت (عليهم السلام).

٣ - المحقق أغا بزك الطهرانى فى كتابيه (الذريعه) أو (الطبقات علماء الإماميه)، حيث بين فى كتابه الذريعه أن تأسيس العلوم فى الإسلام بدأ من أئمة أهل البيت (عليهم السلام)، مما نبع هذا الازدهار الذهبى للأمة الإسلامية.

مؤتمر باريس:

فى السبعينيات الميلاديه تقريباً عقد مؤتمر فى باريس بحضور عشرات البروفسوريه ومن مختلف أقطار ودول العالم، وكانوا كلهم من أصحاب النظريات وما شابه ذلك، وشارك فيه السيد موسى الصدر، وكان هذا

المؤتمر حول الإمام الصادق (عليه السلام) وتأسيسه لعلوم الكيمياء، وكيف خدم البشرية وقد طبعت مقالات المشاركين باللغه الفرنسيه وترجم إلى اللغه العربيه والفارسيه.

إن لكل علم تعريف جامع وله موضوع كلي ومحمول كلي، وله قضيه كليه تسمى تلك القضيه الكليه المنتشره فى قضايا العلم بالحيشه الكليه وهذه القضيه الكليه تسمى مفتاح العلم.

هذا ما بينه أمير المؤمنين (عليه السلام) من الموضوع الكلى لعلمى النحو والصرف حيث يقول (أرفع ضم...) فبين الموضوع الكلى لعلمى النحو والصرف إذ كشف لك عن القضيه الكليه ثم بعد ذلك انفتح باب المرفوع وباب المنصوب وباب الأسم وباب الموصوف وهكذا، فأبواب كثيره تفتح بل ألوف المسائل من المسائل الكليه، وهذا الفتح للقضيه والمعادله الكليه العامه لكل علم و للعلوم إما من نبي أو وصى نبي بل إن منظومه العلوم تتوالد من بعضها البعض لترابط عضوى معادلى بين المعادلات العامه العماد لكل علم كراس هرم تتولد منه طبقات تحتانيه تتسع ، فالعلم الذى يفتحه الوحى مفتاح لفتح علم هو بدوره مفتاح لفتح علوم توالديه منه ، وهذا شأن علوم النبي (صلى الله عليه و آله) وأهل بيته (عليهم السلام) فى الاحاديث والحكمه المرويه عنهم فى كل مجال وكل باب من العلوم وهى معنى محاسن كلامهم أنه لو علم بها الناس والبشر لاتبعوهم لأنها مفتاح لعلم وهو مفتاح العلوم .

نعم الآن قد توسع فى العلوم التوالديه المسماه بالمواليد وهذا بحث

آخر ولكن الرياده والسبق لفاتح هذا العلم المفتاح لبقية العلوم كان ييدهم (عليهم السلام)، إذن تأسيس تاريخ العلوم البشريه من آدم إلى يومنا هذا هو بركات الأنبياء والأوصياء (عليهم السلام)، وروايات أهل البيت (عليهم السلام) مشحونه بهذه المفاتيح لعلوم فاتحه، حتى علم النجوم وعلم الفلك وعلم السحر وحتى العلوم المهنيه والفنيه والتقنيه.

وقد ذكر الشيخ الأنصارى فى كتابه (المكاسب المحرمه) جمله من الروايات أن الأنبياء مؤسسون للعلوم البشريه، من قبيل الرعى والزراعه والصناعه والتجاره والخياطه حيث مارسها الأنبياء كنوح وإدريس وسليمان وغيرهم.

فعن ريان بن الصلت، قال: حضر عند أبى الحسن الرضا (عليه السلام) الصباح بن نصر الهندى وسأله عن علم النجوم، فقال: هو علم فى أصله حق وذكروا أن أول من تكلم به فى النجوم إدريس (عليه السلام) وكان ذو القرنين به ماهراً، وأصل هذا العلم من الله (١).

وعن يونس قال: قلت لأبى عبد الله (عليه السلام): جعلت فداك أخبرنى عن علم النجوم ما هو، قال: علم من علوم الأنبياء، فقلت، كان على بن أبى طالب يعلمه، قال: كان أعلم الناس به (٢).

وإنما نذكر هذا فى قبال هؤلاء الذين يقولون بأن عقليه الأنبياء (عليهم السلام) العلميه أو التاريخيه متأثره بيئتهم وزمانهم.

ص: ١١٠

١- (١) البحار ج ٢٤٥: ٥٨، ح ٢٦.

٢- (٢) البحار ج ٢٣٥: ٥٨، ح: ١٥.

القرآن خصص ذكر الأنبياء لعظمتهم:

فلو لاحظنا التاريخ الذى يستعرضه القرآن الكريم نراه لا يتعرض إلى الملوك ولا إلى شرائح أخرى بشرية، بل يتعرض ويذكر الأنبياء بما هم رواد ورموز ونجوم التاريخ، وإذا تعرض لشخصيات غير الأنبياء من ملوك وفراعنه فهو يذكرهم بما لديهم من تأريخ مظلم فهو يذمهم ويندد بهم ويستقبحهم، وهذا تنبيها من القرآن الكريم لكون الأنبياء هم صناع الحضارات والرقى والتمدن المتكامل من جوانبه المختلفه.

وهذه القاعده - تأسيس الأنبياء لعلوم البشر - مهمه ومدعى عظيم تدل على أن الأنبياء لهم إحاطه بالبيئات لا أنهم يتأثرون بالبيئات وبالتربية العلميه فى البيئه القاصره التى يعيشون فيها، ولذلك كل نبي يأتى بمعجز علمى يتحدى به قدره العلم الموجود عند أبناء ذلك العصر بل تحديه يتناول أجيال البشرية اللاحقه إلى يوم القيامة.

تفسير القرآن بالقرآن:

هناك من تبنى تفسير القرآن بالقرآن كما أشار إليه السيد الطباطبائى (رحمه الله)، وكذلك السيد الخوئى والسيد السبزوارى وكذلك من مفسرى العامه محمد رشيد رضا صاحب تفسير المنار، وغيرهم كثيرون، ولكن هذا التعبير والعنوان كمنهج فيه مسامحه، لأن هذه القاعده التفسيريه ليست تفسير القرآن بالقرآن أى أن القرآن يفسر نفسه بنفسه، وإنما هو تفسير البشر بالإستعانه بقدره فهمهم للقرآن أو تفسير المجتهدين أو المفسرين للقرآن

بالاستعانه بالقرائن والدلالات القرآنيه بحسب درجه إحاطتهم بمعانى القرآن، وفرق بين أن نقول تفسير إجتهادى للقرآن بجهد بشرى إستعانه بالقرآن وبين أن نقول عبارته نحذف منها كلمات أخرى فتعطى مفاداً آخر، ويتوهم السامع أو القارىء كأنما القرآن تجسد وتمثل، أو يقول أن أقوى تفاسير القرآن الصامت بنطق القرآن نفسه، أو أنا أفسر المصحف الصامت بنفس القرآن الناطق وكأن المفسر أصبح القرآن الناطق، نعم هو حجه ظنيه والاستعانه بالقرائن القرآنيه الاجتهاديه لتفسير القرآن لا تعدوا الظن المعتر، ولكن لا يرقى ولا يصل هذا إلى درجه حق اليقين وعين اليقين وإن هذا هو التفسير النهائى ولا خطأ فيه.

أحد المفكرين الكبار - ولا- أريد أن أذكر أسمه لأن النقاش فى المنهج وليس النقاش فى الأشخاص - يعتبر تفسير القرآن بالقرآن حجتيه فوق حجه العتره، فنقول له أيها المحقق الجليل هذا ليس تفسير القرآن بالقرآن بل تفسير المجتهد للقرآن بقدره ظنيه بشرية إستعانه محدوده بالقرآن، وهل هذا يرقى إلى تفسير العتره الذين شهد لهم القرآن أنهم يمسون الكتاب المكنون الغيبى؟! . كلا.

نعم الإستعانه بالقرائن القرآنيه بحسب الجهد الظنى للمفسر والمجتهد منهج من المناهج صحيحه ولكن لا نعطيها الدرجه الأولى ولا يقتصر على هذا المنهج دون معيه الثقيلين، الآن شخص يتوصل إلى أن الاستصحاب كدليل أصلى عملى حجه وهذا صحيح لكن هل نجعل الاستصحاب مقدم على

حجيه الخبر الواحد؟! هذا خطأ ليس معنى أن تتوصل إلى أن الاستصحاب حجه فهذا يكفى، بل لا بُدَّ أن تعرف رتبه حجيه الاستصحاب، فلا بد أن نعرف مراتب الحجج وهو ناموس منهج المعرفة الحقه.

وقد راج أخيراً فى الأوساط العلميه المسلك المنهجي الذى يعتبر الخبر الصحيح هو الميزان الأول والأخير، وكأنما حجيه الخبر الصحيح تفوق حجيه الخبر المتواتر والمستفيض مع أنهما قد يتحصلان من الأخبار الضعيفه غير تامه السند بلحاظ وصف طريقها منفرداً.

وعلم الأصول علم بالغ الأهميه وذلك لأنه منطق المعرفة الدينيه إذ يعطى للباحث المنظومه والخريطه والتخطيط المنهجي، وقد قرر فيه دراسه وميزانيه كل قاعده من القواعد التى يستنتج بها فى العلوم الدينيه وإذا عمل بها فسوف لا يلتبس علينا المفهوم فى سير الاستدلال والدليل.

عوده على بدء:

إذن هناك عمليه وحى بين البارى تعالى وبين النبى وهو الروح الأمرى، فالروح الأمرى ليس وسيطاً يوحى للنبي (صلى الله عليه و آله)، وهذا بخلاف: أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بآذنيه ما يشاء، ففي الروح الأمرى لم يعبر عنه أنه رسول أو وسيط يوحى إلى النبي البشر، وإنما الروح الأمرى هنا هو نفس متن الوحي بين البارى تعالى وبين النبي (صلى الله عليه و آله)، ولذلك لم يعبر البارى تعالى مثلاً: وَ كَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا .

فالفرق واضح إذن بين الآيتين الكريمتين المتتاليتين فى آخر سوره

الشورى، وهذا شأن خاص لنبي الإسلام (صلى الله عليه وآله)، لأنه عبر تعالى بكلمه (إليك) أى خاص لك يا محمد (صلى الله عليه وآله)، فى حين قوله تعالى: وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحِيًّا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بَأْذَنِهِ مَا، مفاده عام لعموم البشر من الأنبياء أو الأوصياء أو الحجج، فالروح الأمرى خاص بسيد الأنبياء وخاتمهم (صلوات الله عليه وعلى آله)، ومن هنا جاءت هذه الآيه مباشره بعد تلك الآيه وجعل هذا الروح الأمرى من عالم الأمر وغرز فى ذات النبي (صلى الله عليه وآله).

المحكم والمتشابه:

أمومه آيه الروح الأمرى:

وفى روايات معارف أهل البيت (عليهم السلام) تعتبر هذه الآيه - وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا - من الآيات التى لها أمومه ومن المحكمات،: هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ (١)، والمحكمات لها أمومه ولها قيمومه ولها هيمنه، وهناك قواعد فى تفسير القرآن الكريم تبنى على منظومه المحكمات على منهج أهل البيت (عليهم السلام) تشكل منهاجاً تفسيرياً، ليس هو منهج التفسير الموضوعى الذى يعنى بالموضوع الواحد فى ظل سور عديده فى مقابل التفسير التجزيئى، بل تفسير المحكمات فى مقابل تفسير المتشابهات، يعنى تفسير الآيات التى لها إشراف ولها هيمنه على بقية الآيات

ص: ١١٤

١- (١) سورة آل عمران: الآيه ٧.

أى تفسير طبقات عليا من الآيات لها هيمنه وإشراف وتوضيح لطبقات نازله وهو يختلف منهاجاً عن التفسير الموضوعي.

إذ التفسير الموضوعي أخذ موضوع من الموضوعات سواء كانت فرعيه أو سطحيه، فوقيه أو أوليه، فى حين تفسير المحكمات هو تفسير خصوص الآيات التى هى حاكمه ومحكمه على بقية الآيات وحاكمه على بقية الموضوعات، وحاكمه على بقية السور، فتفسير المحكمات يختلف قواعدياً ومنهجياً فى علائق الارتباط له مع التفسير الموضوعي، فإن كل آيه تشرف على آيات أخرى تكون هذه الآيه لها إحكام.

إذن منهجيه المحكمات وتفسيرها أكثر عمقاً وأكثر دقه ومنهجيه منظومياً ونظاماً، فالمهم فى التفسير لا يقتصر على التفسير الموضوعي بل النظر إلى تفسير المحكمات.

ومثالاً- نرى العلامة الطباطبائي (رحمه الله) مر بمرحلتين فى بناء علميته التفسيريه، المرحله الأولى كتابه الذى طبع مؤخراً وهو تفسير (البيان فى الموافقه بين الحديث والقرآن) (1)، وهنا حاول+ أن يكتشف منهج أهل البيت (عليهم السلام) فى التفسير، وعلى ضوء هذا المنهج كتب تفسير الميزان، ولكن المشاهد فى إستنتاج هذا التفسير - الميزان - أنه حاول أن يكتشف كيف هو تفسير القرآن بالقرآن عند أهل البيت (عليهم السلام).

ص: ١١٥

١- (١) حيث كانت الطبعة الأولى سنة ١٤٢٥ هـ - وبسته مجلدات ولم يكن كاملاً بل إلى الآيه (٥٧) من سوره يوسف.

وهو شبيه بالتفسير الموضوعى أو بدرجة نوعاً ما متطوره ، لكن هناك من ألفت إلى تفسير المحكمات كالعلامه الفتونى(١) فى كتابه مرآه الأنوار ومشكاه الأسرار والذى يعتبر دوره فى مفردات ولغات القرآن الكريم، وقد طبع هذا الكتاب فى أول تفسير البرهان بأسم المقدمه .

وممن إلفت إلى ذلك الفيض الكاشانى فى تفسيره الصافى شيئاً ما ودرجه ما وذلك بسبب مطالسته وممارسته لتفسير الروايات للآيات بتفسير أهل البيت(عليهم السلام).

والحاصل أن هذه الآيه التى نحن بصددنا تعتبر من الآيات المحكمات الأعم ، بمعنى أنها مرجع ومآل ومنتهى لتفسير آيات عديده. ومن هنا لا بد لنا أن نحلل هذه الآيه ونبحث عن الجهات والحيثيات والأمور الموجوده فيها .

الفرق بين (أوحينا) و (أرسلنا):

إن إرسال الرسول كما مر يعنى الوسيط وهذا الوسيط سوف يمكث وإن كان هذا المكوث ليس مكوثاً دنيوياً ولكن بحسب عالم ومعنى الروح،

ص: ١١٦

١- (١) وهو الشريف أبى الحسن بن محمد طاهر العاملى وهو من علماء جبل عامل ولد فى أصفهان سنه ١٠٧٠ هـ - عاش فى أصفهان فتره من الزمن ثم هاجر إلى النجف الأشرف، وممن أجازته بالروايه العلامه المجلسى الذى هو - المجلسى - والد زوجته خاله السيد محمد صالح الخاتون آبادى، وهو جد صاحب الجواهر لأم والده، وقيل جده لأمه وليس لأم والده، له ما يقارب (٢١) مؤلفاً ومن أهم مؤلفاته (ضياء العالمين فى بيان إمامه الأئمه المصطفين) وطبع مؤخراً. وقد أثنى على هذا الكتاب الشيخ الأمينى صاحب موسوعه الغدير والسيد عبد الحسين شرف الدين وغيرهم، توفى (رحمه الله) فى الغرى الشريف سنه ١١٣٨ هـ - وقيل سنه ١١٣٩ هـ.

ولكن بطبيعته الحال سوف ينتهي هذا الارتباط في حين متن الوحي الموحى إلى النبي لا- ينقطع بأنقطاع مكث وبقاء الرسول الملكى.

ومن هنا قال تعالى: **وَ لَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا (١)**، فالوحي هو علم يحصل للنبي (صلى الله عليه و آله) ويطلق على هذا العلم بالوحي، فإن إرسال الملك للنبي هو إحداه علم، ولكن هذا العلم من أى نوع ومن أى نمط أو درجه، فهو غير إرسال الرسول الملك، فإن هذا الرسول الملكى ينقطع إرتباطه وإتصاله وبالتالى فالأرسال سوف ينقطع أيضاً بسبب رجوع ذلك المرسل الملكى والوسيط بين البارى تعالى وبين النبي (صلى الله عليه و آله).

أما الوحي الذى هو بمعنى العلم الحاصل من الوحي باق، نعم لو يشاء الله ذلك لذهب وأزال: **وَ لَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا**، وهذا ما عبر عنه الإمام الصادق (عليه السلام) عندما قال - فى بيان حقيقه الروح من عالم الأمر الذى هو متن وحي الكتاب -... لم يصعد إلى السماء كان مع رسول الله (صلى الله عليه و آله) وهو مع الأئمه يسددهم. وفى روايه أخرى (إنه فىنا).

وهذا يعنى أن أحد أرواح النبي (صلى الله عليه و آله) هو الروح الأمرى، فهو قد زرع وعرز فى ذات النبي (صلى الله عليه و آله)، وسميت الغريزه بالغريزه لأنها تفرز مثل فرز البذره والشجره فى التراب، وكما فى ذات الإنسان فلها أرواح متعدده وقوى متعدده وجواهر مختلفه كما قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «أتزعم أنك جرم صغير وفيك أنطوى العالم الأكبر» (٢).

ص: ١١٧

١- (١) سورة الإسراء: الآيه ٨٤.

٢- (٢) الوافى للكاشانى ج ٣١٩: ٢.

فإنسان كما ركب من عقل وشهوه، وكذلك النبي (صلى الله عليه وآله) في قوله تعالى: وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ ، أَى ركب فيك عالم الأمر والملكوت بماله من عظمه بالنسبه إلى ذات النبي (صلى الله عليه وآله)، ومقتضى ذلك أن معرفه نفس ذات النبي (صلى الله عليه وآله) شىء أعظم من تلك الأرواح، وسوف يأتى أنشاء الله أن الروح الأمرى له تعاريف مهوله وعظيمه وكبيره فى سور عديده من القرآن الكريم.

وهذا الروح الأمرى الذى أثبت تكويناً فى ذات النبي (صلى الله عليه وآله) جعل كقوه من قوى ذات النبي (صلى الله عليه وآله) فضلاً عن بقيه قوى أخرى فى ذاته سواء أعظم من الروح الأمرى أو أصغر منه، وهذا الروح أو الوحي لم يزايله الله عَزَّ وَجَلَّ عن نبيه ولم يذهب به بعيداً عنه (صلى الله عليه وآله) بل أبقاه فى النبي (صلى الله عليه وآله) وهذا نمط للوحي.

حقيقه الروح الأمرى:

وحقيقه هذا الروح الأمرى هو الكتاب العزيز بحسب هذه الآيه: وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا ۗ .

وعرف الروح الأمرى فى الآيه أنه نور هادوى وهو كتاب تكوينى لا ورقى بنقوش خطوط إعتباريه، وهذا الروح الأمرى يورثه الله عَزَّ وَجَلَّ

بعد النبي (صلى الله عليه وآله) لجملة من عباده المصطفين: وَ لَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ ، وسوف يكون - الروح الأمرى - نبراساً نورياً لبقية من العباد المصطفين وليس كل العباد، بل العباد الذين تتعلق بهم المشيئة الإلهية: مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا ، أى الذين يصطفون ويجتبون ويختارون: ثُمَّ أَوْزَنَّا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۱.

ولو كان المراد منه المصحف الشريف الذى هو عبارته عن أوراق ونقوش لكان هذا بيد الجميع، فيقرأه الكافر والمسلم والمؤمن والمنافق وغير ذلك، بينما خصصه تعالى مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا ، وحسب روايات أهل البيت (عليهم السلام) الذى مضمونها مطابق لما هو موجود فى الآيات، ولو تتدبر وتتدبر ونمعن النظر على الدوام فى مضامين روايات عتره النبي (صلى الله عليه وآله) لرأينا أنه مطابق لما هو موجود فى إشارات أو لطائف الآيات الكريمة.

فهناك حقيقته مستمره وهى من محكمات محاور أعمده نظام القرآن وهى قوله تعالى: يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ (١)، وهى أن الروح الأمرى لا يقتصر إنزاله على خصوص سيد الأنبياء (صلى الله عليه وآله) فقط، بل هنا المخاطب بها أمه الإسلام إلى يوم القيامة، وهى خالده وحيه بعد سيد الأنبياء (صلى الله عليه وآله)، ف يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ ، أى من عالم أمر الله: لَهُ الْخَلْقُ وَ (٢)، فله عالم الخلق وعالم الأمر: بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا

ص: ١١٩

١- (٢) سورة النحل: الآية ٢.

٢- (٣) سورة الاعراف: الآية ٥٤.

يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (١)، وهذا عالم الأمر.

أما عالم الخلق: الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَسُئِلَ بِهِ خَبيراً (٢)، وقوله تعالى: وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سِوَاءً لِلنَّاسِ لِيَوْمٍ (٣).

عالم الأمر وعالم الخلق:

وهناك فرق بين عالم الخلق وعالم الأمر، فعالم الخلق تدريجي حسب الآيات المتقدمة، في حين عالم الأمر ليس كذلك بل: كُنْ فَيَكُونُ، يعني عالم الإبداع والملكوت، وهذا الروح الأمرى هو نمط ثان من الوحي، وهو تصرف خلق تكويني يوجدده الله عزَّ وجلَّ في نبيه ومن ثم يورث هذا التكوين الراقى والعالى إلى عباد مصطفين بعد سيد الأنبياء: ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ (٤).

وكما مر بنا أن حقيقه الكتاب أو القرآن الكريم ليس وجوداً ورقياً أي المصحف الشريف الذي هو نزول القرآن، إنما حقيقته غيبية وملكوته: فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ لَا- يَمْسُهُ إِلَّا- الْمُطَهَّرُونَ (٥)، يعني محفوظ، فأى قرآن هذا؟! فهذا المقام من القرآن الكريم ليس هو المصحف الشريف الذي هو

ص: ١٢٠

١- (١) سورة السجده: الآية ٤.

٢- (٢) سورة فصلت: الآية ١٠.

٣- (٣) سورة فصلت: الآية ١٠.

٤- (٤) سورة فاطر: الآية ٣٢.

٥- (٥) سورة الواقعة: الآية ٧٩.

تنزيل القرآن، بل هو نفس حقيقه القرآن الذي هو عالى متعالى فهو القرآن ولكنه المحفوظ والمكنون.

وهذه الحقيقه المعرفيه من الأمور والقواعد المعرفيه المهمه التى يجب أن نعرفها ويؤكد عليها القرآن الكريم وأئمه أهل البيت (عليهم السلام)، لأن هذه القواعد تفتح أبواباً للمعارف ولمعرفه حقيقه دور أهل البيت (عليهم السلام)، فإن دورهم (عليهم السلام) دور إختصاصى رائد فى الأمه الإسلاميه لا يسده غيرهم، ولا يقوم بعبأه سواهم، ولا يمكن لأى أحد لا من العرفاء ولا من الصوفيه ولا من الخليقه ولا... أن يدعى ذلك: يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ، هيهات أن يمسه الكل فهو بعيد المنال إلا المطهرون.

قال الشيخ الطوسى فى تفسير هذه الآيه: فى كِتَابٍ مَكْنُونٍ ، قيل: هو اللوح المحفوظ أثبت الله تعالى فيه القرآن، والمكنون المصون.

وقوله: : يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ قال ابن عباس ومجاهد الضحاك: لا يمسه الكتاب الذى فى السماء إلا المطهرون من الذنوب (١)، وعن الكاشانى: أى لا- يطلع عليه إلا المطهرون من الكدورات البشريه (٢)، وكذلك قوله تعالى: يَلْهُوْا بِهِمْ كَبَابٌ مُّجْتَرِبٌ وَسَاوِغٌ مِّنْ لَّدُنْهُمْ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ مَحْفُوظٌ (٣).

فالمصحف الشريف مقدس عظيم، وهو طرف عند الناس من جبل

ص: ١٢١

١- (١) التبيان ج ٥١٠: ٩.

٢- (٢) الأصفى للفيض الكاشانى ج ١٢٥٩: ٢.

٣- (٣) سورة البروج: الآيه ٢١ - ٢٢.

الله الممدود ولكن الدرجة العليا من القرآن الذى له المجد التكويني أى العظمة والقدره فهو طرف آخر عند الله لا يمسسه الا المطهرون، والمصحف عباره عن معلومات وشرح لحقيقه موجود غيبى ملكوتى وهو القرآن، وهو الروح الأمري، الروح الذى يحيى به الموتى، فعن الإمام أبى الحسن الأول (عليه السلام) قال: قلت له: جعلت فداك أخبرنى عن النبى (صلى الله عليه وآله) ورث النبيين كلهم؟ قال: نعم، قلت: من لدن آدم حتى أنتهى إلى نفسه؟ قال: ما بعث الله نبياً إلا ومحمد (صلى الله عليه وآله) أعلم منه، قال: قلت: إن عيسى بن مريم كان يحيى الموتى بإذن الله قال: صدقت وسليمان بن داود كان يفهم منطق الطير وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقدر على هذه المنازل، قال: فقال: إن سليمان بن داود قال للهدهد حين فقده وشك في أمره: فَقَالَ مَا لِي لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ حين فقده فغضب عليه فقال: لَأَعَذِّبَنَّكَ عَذَاباً شَدِيداً أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لِيَأْتِيَنِي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ، وإنما غضب لأنه كان يدلّه على الماء فهذا وهو طائر قد أعطى ما لم يعط سليمان وقد كانت الريح والنمل والأنس والجن والشياطين والمردة له طائعين ولم يكن يعرف الماء تحت الهواء وكان يعرفه وإن الله يقول فى كتابه: وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى ، وقد ورثنا نحن هذا القرآن الذى فيه ما تسير به الجبال وتقطع به البلدان وتحىى به الموتى ونحن نعرف الماء تحت الهواء وإن فى كتاب الله لآيات ما يراد بها أمرٌ إلا أن يأذن الله به مع ما قد يأذن الله مما كتبه الماضون جعله الله لنا فى أم الكتاب، إن الله يقول: وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ثم قال: ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ

إِضْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَنَحْنُ الَّذِينَ أَصْطَفَانَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَأُورِثْنَا هَذَا الَّذِي فِيهِ تَبْيَانُ كُلِّ شَيْءٍ (١).

وهناك وصف آخر للقرآن وكرامه أخرى له التي فيها آثار تكوينيه وهو قوله تعالى: لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (٢).

وليس المراد من القرآن الذي فيه هذه الأوصاف وخصصوا بوراثته هو المصحف فإنك إن تضع المصحف الشريف على جبل لا تراه متصدعا ولا تراه خاشعاً فهذا طرف آخر من الجبل، وكذلك هناك نزول لحقيقه القرآن يغير نزول المصحف، وهو النمط الأول من نزول القرآن، النزول الجملي المدفعي لجمله حقيقه تكوينيه للقرآن فهذا نمط من الوحي يعنى تصرف فى ذات النبى (صلى الله عليه و آله) أى جعل و غرز وإيجاد قوه عظيمه فيه (صلى الله عليه و آله) تسمى الروح الأمرى رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا.

الجبل الممدود:

إذن هناك آثار كثيره بينتها الآيات القرآنيه فى حقيقه القرآن الكريم من الآثار الكونيه العظيمه، وتلك الآثار ليست للمصحف الشريف مع عظمته و قدسيته ووجوب التمسك به، فنحن ليس عندنا من القرآن الجبل الممدود طرفاً منه عند الناس إلا المصحف والعتره أما الطرف الآخر فهو عند الله وهو

ص: ١٢٣

١- (١) الكافي ج ٢٢٦: ١، باب أن الأئمه ورثوا علم النبى وجميع الأنبياء.

٢- (٢) سورة الحشر: الآية ٢١.

الروح الأمرى الذى جعله الله فى ذات النبى (صلى الله عليه و آله) ثم أورثه الذى اصطفاهم من عباده أهل البيت (عليهم السلام) المطهرون .

فعن أبى سعيد الخدرى قال: قال رسول الله (صلى الله عليه و آله) إنى تارك فىكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتى أهل بيتى لن يفترقا حتى يردا على الحوض (١).

فقد مثل النبى (صلى الله عليه و آله) فى هذا الحديث عن الثقلين وهما الكتاب والعترة بأنهما حبل ممدود، فالكتاب الكريم فيه إتصال بين السماء والأرض، طرف منه عند الناس وطرف منه عند الله عَزَّ وَجَلَّ (٢)، هذه العنديه الإلهيه (عند الله) يعنى مقام ملكوتى، تلك هى حقيقه القرآن الكريم وهى تنزل فى المصحف كمعلومات وتقارير خبريه عن تلك الحقيقه الغيبيه، وقد قرر فى علم المنطق الفكرى إن للشئ أربع وجودات:

وجود حقيقى أى نفس شخص زيد.

ووجود ذهنى مثل صورته زيد فى الذهن.

ووجود إعتبارى مثل لفظه صوت أسم زيد هذه ليست حقيقه زيد وإنما هو تنزيل.

ووجود كتبى، مثلاً عندما تكتب نقش أسم زيد فى الورقه، فزيد هنا ليس معنى بل ولاحقيقه زيد، بل هذا تنزيل لحقيقه زيد.

ص: ١٢٤

١- (١) مسند أحمد ج ١٤: ٣، مسند أبى سعيد الخدرى (رضى الله عنه).

٢- (٢) معانى الأخبار للصدوق: ٩٠.

مثلاً عندما تتلفظ وتقول زيد بن أرقم وذكرت زيدا بالصوت، فهذا ليس حقيقه زيد التكويني بل وجود تنزيلي لزيد وهو وجود صوتي لفظي.

إذن هناك حقائق تكوينيه للأشياء وهناك معلومات عنها، وهي درجة ثانيه، ودرجة ثالثه الصوت التنزيلي، ودرجة رابعه المنقوش المرسوم والمكتوب المخطوط للأشياء، وكذلك الحال في القرآن الكريم فحقيقته: بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ ، وهذا الروح بعيد المنال إلا- عن العتره لا-يمسه إلا المطهرون بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ وى بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيُنزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلِهِ مُبَارَكَةٍ ... أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ، فضروره وجود العتره هي هذه الحقيقه المستمره البقاء بعد النبي(صلى الله عليه وآله) التي أشير إليها في آخر سوره الشورى وسوره غافر وأول سوره النحل وسوره القدر وسوره الدخان، لأن علومهم تنزف، وترتقد رفدها ورشدها من حقيقه القرآن العلوى الملكوتيه، وتلك الحقيقه لها خواص كثيره.

إذن الروح الأمرى باق إلى يوم القيامة: مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ، ولذلك فالملائكه عندما تنزل في ليله القدر تنزل بحقيقه القرآن، وهنا يتضح أنه لولا- القرآن لما أستطاعت الملائكه من الهبوط حتى جبرئيل(عليه السلام) كما مر في سوره النحل والقدر : إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلِهِ الْقَدْرِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلُهُ الْقَدْرِ لَيْلَهُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ تَنزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ۗ ، أى من عالم الأمر، وفي قراءه أهل البيت(عليهم السلام) بكل أمر (الباء) بدل (من).

وأيضاً قوله تعالى يُلْقَى الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۗ ، فعن عليّ ابن إبراهيم قال: روح القدس وهو خاص لرسول الله (صلى الله عليه و آله) والأئمة (عليهم السلام) (١).

وعن أمير المؤمنين (عليه السلام): وهو روح الله لا يعطيه ولا يلقى هذا الروح إلا على ملك مقرب أو نبي مرسل أو وصي منتجب، فمن أعطاه الله هذا الروح فقد أبانه من الناس وفوض إليه القدره وأحيى الموتى وعلم بما كان وما يكون وسار من المشرق إلى المغرب ومن المغرب إلى المشرق في لحظه عين، وعلم ما فى الضمائر والقلوب وعلم ما فى السموات والأرض (٢).

الكتاب موجود حى شاعر عاقل:

إذن كل الكتاب الكريم مرتبط بهذا الروح الأسمى، ولكن هذا الكتاب وهذا الكلام ليس المراد منه الأمواج الصوتيه بل هو موجود حى شاعر عاقل، مثل قوله تعالى: إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ (٣)، وقوله تعالى: إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ (٤)، فنرى أن القرآن أطلق على عيسى ابن مريم (عليه السلام) أنه كلمه الله، وهذا يعنى أن الموجود التكويني العظيم الخلقه كلمه إلهيه، وإذا كان

ص: ١٢٤

١- (٢) تفسير القمى: ٥٥٥.

٢- (٣) البحار للمجلسى ج ٦: ٢٦.

٣- (٤) سوره آل عمران: الآيه ٤٥.

٤- (٥) سوره النساء: الآيه ١٧١.

النبي عيسى (عليه السلام) وهو من أولى العزم كلمه من كلمات الله عَزَّ وَجَلَّ ولم يوصف بأنه كلمه تامه فكيف بالكلمه التامه أو الكلام التام: وَ تَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَ عَدْلًا لَا مُبَدَّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١).

وليس إطلاق الكلمه من الله حصراً على النبي عيسى (عليه السلام) بل هناك موارد عديده ذكرها الباري تعالى، كقوله تعالى: أَلَمْ يَشْرِكْ اللَّهُ يَشْرِكْ بِبَشَرٍ مِّمَّنْ خَلَقَ الْإِنْسَانَ الَّذِي يُشْرِكُ بِاللَّهِ يُبَشِّرُكَ بَشَرًا مُّصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ (٢).

وقوله تعالى: وَ جَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٣).

وغيرها من الآيات الشريفه.

فمن موارد استعمال القرآن الكريم لمعنى الكلام والكتاب يستعمله فى الموجود الحى الشاعر العاقل ويشير إلى ذلك قوله تعالى: وَ مَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ وقوله تعالى: مَا تَشِيقُ مِنْ وَرَقِهِ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَ لَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَ لَا رَطْبٍ وَ لَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ (٤)، إذ الذى له وجود حى شاعر عاقل هو الذى يحيط بكل صغيره وكبيره، وهذا هو ليس من نمط الأصوات والكلمات اللفظيه أو المعانى المسموعه لأنه ليس من خواصه، وليس نزولاً مفرقاً ونزولاً نجومياً، ومن ثم يتضح أن

ص: ١٢٧

١- (١) سورة الانعام: الآية ١١٥.

٢- (٢) سورة آل عمران: الآية ٣٩.

٣- (٣) سورة الزخرف: الآية ٢٨.

٤- (٤) سورة الانعام: الآية ٥٩.

الوحي الإلهي والوحي النبوي هو على أقسام وعلى درجات، يغاير نوع الوحي الذي يقوم به جبرئيل بالصوت أو بالكلام أو بالتحديث، هناك نوع ونمط وحي هو عبارة عن غرز الروح الأمرى، الذي هو من عالم الأمر، غرضه وتكوينه وإيجاده فى ذات النبى (صلى الله عليه و آله) كما تشير إليه الآية الكريمة: وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيُّ حَكِيمٌ (١).

إذن كم هى عظيمه ذات النبى (صلى الله عليه و آله)، بل هى أعظم من الكتاب كله لأن الروح الأمرى هو أحد ارواحه (صلى الله عليه و آله) التى فيه، فذاته أوسع من الروح الأمرى وما الروح الأمرى إلا أحد الأمور التى أوحيت إلى ذاته (صلى الله عليه و آله). ولذلك وردت روايات من الفريقين أن القرآن يأتى يوم القيامة بصورة شاب وغير ذلك، من قبيل قول النبى (صلى الله عليه و آله): يجىء يوم القيامة القرآن كالرجل الشاب (الشاحب) فيقول لصاحبه أنا الذى أسهرت ليلك وطمأت ليلك ونهارك (٢).

وعن زيد بن على (عليه السلام) عن آباءه عن على (عليه السلام) أنه قال: قال رسول الله (صلى الله عليه و آله): «يأتى القرآن يوم القيامة وله لسان طلق ذلق قائلاً مصدقاً وشفيعاً مشفعاً، فيقول يا رب جمعنى فلان عبدك فى جوفه فكان لا يعمل فى طاعتك ولا يتجنب فى معصيه ولا يقيم فى حدودك، فيقول صدقت فيكون ظلمه بين

ص: ١٢٨

١- (١) سورة الشورى: الآية ٥٢.

٢- (٢) المستدرك للحاكم النيسابورى ج ٥٥٧: ١، مجمع الزوائد للهيثمى ج ١٦٠: ٧.

عينه وأخرى عن يمينه، وأخرى عن شماله، وأخرى من خلفه تنتره هذه وتدفعه هذه حتى يذهب به إلى أسفل درك من النار، قال: ويأتي فيقول يا رب جمعنى فلان عبدك فى جوفه فكان يعمل فى طاعتك ويتجنب معصيتك ويقيم فى حدودك، فيقول صدقت فيكون له نور يسطع ما بين السماء والأرض حتى يدخل الجنة، ثم يقال له أقرأ أوراق فلک فى كل حرف درجه حتى تساوى النبيين والشهداء هكذا وجمع بين المسبحة والوسطى»(١).

وعن أبى جعفر(عليه السلام) قال: يجرى يوم القيامة فى أحسن منظور إليه صورته فيمر بالمسلمين فيقولون: هذا الرجل منا، فيجاوزهم إلى النبيين فيقولون: هو منا، فيجاوزهم إلى الملائكة المقربين فيقولون: هو منا، حتى ينتهى إلى رب العزة عزَّ وجلَّ فيقول: يا رب فلان بن فلان أضمأت هواجره وأسهرت ليله فى دار الدنيا وفلان بن فلان لم أضمئ هواجره ولم أسهر ليله، فيقول تبارك وتعالى: أدخلهم الجنة على منازلهم، فيقوم فيتبعونه فيقول للمؤمن: أقرأ وأرقه، قال: فيقرأ ويرقى حتى يبلغ كل رجلٍ منهم منزلته التى هى له فينزلها(٢).

وعن أبى هريره عن النبى(صلى الله عليه و آله) قال: يجرى صاحب القرآن يوم القيامة فيقول القرآن يا رب حلّه، فيلبس تاج الكرامه، يقول يا رب أرض عنه فيرضى عنه(٣).

ص: ١٢٩

١- (١) الإحكام للإمام يحيى بن الحسين ج ٥٢٦: ٢.

٢- (٢) الكافي ج ٦٠١: ٢..

٣- (٣) عيون الحكم والمواعظ لعلى بن محمد الليثى الواسطى: ٢١٤.

وفى بعض الروايات أن المصحف يشتكى من هجرانه أو حرقه. ففي الحديث: ثلاثه يشتكون يوم القيامة: المصحف، والمسجد، والعترة.

يقول المصحف: يا رب حرقونى ومزقونى.

ويقول المسجد: يا رب عطلونى وضيعونى.

وتقول العترة: يا رب قتلونا وطرردونا وشرردونا.... (١)

وغير ذلك من الأحاديث والروايات التى يرويها الفريقين فإذا كان المصحف أو القرآن يشهد أو يشتكى فلا بد أن يكون لديه شعور فإذن هو حى وشاعر وعافل .

الوراثه الملكوتيه لآل النبي (صلى الله عليه وآله):

ومن خلال الآيات الكريمة والتى مرت علينا سابقاً أن القرآن روح من الأرواح العظيمه من عالم الأرواح من عالم الأمر، وهناك صله بين نزول القرآن والروح من عالم الأمر: تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ .

على مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ، وهذه الجملة كفعل مضارع دال على الأستمرار دال على أنه بعد سيد الأنبياء هناك ورثه وخلفاء: أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ ، وقد أكد على ذلك القرآن الكريم كقوله

ص: ١٣٠

تعالى: يُلْقَى الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ (١).

وقوله تعالى: ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا (٢).

وقوله تعالى: يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ (٣).

وقوله تعالى: إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ (٤).

وقوله تعالى: وَ نَجْعَلُهُمْ أُتْمَةً وَ نَجْعَلُهُمُ الْوَارِثِينَ (٥).

إذن للقرآن وراثته تكوينيه ملكوتيه، فإن الوراثة في القرآن ليست بمعنى الوراثة الاعتباريه في دار الدنيا فقط، بل تشمل كل أنحاء الوراثة، من وراثته قانونيه إعتباريه ومن وراثته تكوينيه، ولذلك نقرأ في زياره المعصومين (عليهم السلام): «السلام عليك يا وارث آدم صفوه الله»، وهذا يعنى أن كل ما كان لآدم (عليه السلام) من مقامات غيبيه والتي هى أرواح من عالم الأمر، أو لما لآدم من أرواح مجنده من عالم الأمر، وكذلك تجنيد وإخضاع الملائكه لآدم، لم ترتفع وتنقطع إلى الآن من قبيل: ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا (٦)، أو قوله تعالى: قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ (٧)، فإن هذه

ص: ١٣١

١- (١) سورة غافر: الآية ١٥.

٢- (٢) سورة فاطر: الآية ٣٥.

٣- (٣) سورة النحل: الآية ٥.

٤- (٤) سورة الأعراف: الآية ١٢٨.

٥- (٥) سورة القصص: الآية ٥.

٦- (٦) سورة الأعراف: الآية ١١.

٧- (٧) سورة البقره: الآية ٢٣.

المقامات من تعليم الملائكة مستمره للمعادله الإلهيه العامه أنى جعلت فى الأرض خليفه فمقام (خليفه الله) مستمر وله كل هذه الشؤون.

وكسجود الملائكة أى طاعتها وخضوعها لآدم(عليه السلام)بما هو خليفه الله تعالى لا- ترتفع ولا-تزول بموت النبى آدم(عليه السلام) بل يرثها بعده شيت أو هبه الله ثم إلى نوح ثم إلى إبراهيم ثم إلى إسماعيل وإسحاق ويعقوب وموسى وعيسى إلى أن تصل إلى سيد الأنبياء(صلى الله عليه و آله) ومن ثم إلى أهل البيت(عليهم السلام).

إرث فاطمه عليها السلام:

ولذلك فإن احتجاج السیده فاطمه(عليها السلام)على أبى بكر فى طلب إرثها ليس هو الأثر الشخصى فى البعد المالى اليسير كما يصوره بعض الكتاب، بل هى ترث مقامات الرسول(صلى الله عليه و آله) فى الولاية، وهذا ما اعترف به الخليفه الأول بلسانه دون فعله وعمله.

وهو مفاد قوله تعالى: ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فليله وللرسول ولذی القربى ، وأول مصداق لأقرب المقربين بالرحم للنسبى(صلى الله عليه و آله) هى السیده العظیمه فاطمه الزهراء(عليها السلام)، ولكن: يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و أولی الأمر منكم ، فهذا مقام آخر مهم وهو مقام الولاية ومنها وراثه الكتاب، ولا أشكال ولا ريب أن القانون الوراثى قانون عظیم ولكن ليس المراد منه مقصوراً على الوراثة الماديه الأعتباريه بل يراد به الوراثة التكوينية

الاصطفائه أيضاً: وَ وَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ (١) وَ: فَهَبْ لِي مَن لَمَدُّنَكَ وَلِيَا يَرْتِنِي وَ يَرِثُ مِنِّي آلِ يَعْقُوبَ (٢) وَ: ثُمَّ أَوْزَنَّا الْكِتَابَ
الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا

(٣).

وهذا تنصيب من القرآن الكريم، أن هذا الوحي وهو القرآن الكريم الذي أوحى إلى النبي سيرته من بعده الذين اصطفاهم الله:
الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا، والذين أحببهم الله من نسل اسماعيل من إبراهيم: هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَ مَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ
مَلَهُ أَبِيكُمْ (٤) وَ: أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَ مِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَ مِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَ إِسْرَائِيلَ وَ
مِمَّنْ هَدَيْنَا وَ اجْتَبَيْنَا (٥) وَ: وَ كَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَ يُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ (٦).

مقام النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

والذين أحببهم الله عَزَّ وَجَلَّ من ذرية إبراهيم من نسل إسماعيل الذين هم من بنى هاشم وهم ذو القربى قد تعلق بهم المشيئة
الإلهية بأن يرثون الكتاب بعد النبي (صلى الله عليه وآله) حيث بين القرآن أنهم هم المطهرون الذين

ص: ١٣٣

- ١- (١) سورة النمل: الآية ١٦.
- ٢- (٢) سورة مريم: الآية ٦.
- ٣- (٣) سورة فاطر: الآية ٣٢.
- ٤- (٤) سورة الحج: الآية ٧٨.
- ٥- (٥) سورة مريم: الآية ٥٨.
- ٦- (٦) سورة يوسف: الآية ٦.

يمسونه الكتاب، ولذلك قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «إني تارك فيكم الثقلين» وهما لم ولن يفترقا: «حتى يرثي الحوض» والتعبير هنا «يرثي علي» أي على نفس الرسول (صلى الله عليه وآله) وليس على الله عز وجل، وهذا يعني أن المبدأ والمنتهى والمسؤول والمشرف على الثقلين هو الرسول (صلى الله عليه وآله)، وبالتالي فإن مقام النبي (صلى الله عليه وآله) أعظم من القرآن الكريم: كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا، فجعل الكتاب كله معلومه من المعلومات التي أودعها الله عز وجل عند النبي (صلى الله عليه وآله).

وهذا ما أشار إليه زين العابدين (عليه السلام) في الصحيفة السجادية:

«ووحياً أنزلته على نبيك محمد صلواتك عليه وآله تنزيلاً... اللهم إنك أنزلته على نبيك محمد (صلى الله عليه وآله) مجملاً، وألهمته علم عجائبه مكملاً، وورثتنا علمه مفسراً...» (١).

وكذلك قوله في دعائه يوم الفطر (عليه السلام) (٢) - في معرض المدح والثناء على النبي (صلى الله عليه وآله) - «وخصصته بالكتاب المنزل عليه، والسبع المثاني الموحاه إليه، وأسमितه القرآن، وإكنيته الفرقان العظيم فقلت جل أسمك: «ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم» وقلت جل قولك له حين أختصصته بما سميته من الأسماء: (ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى) وقلت عز قولك (يس وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ)

ص: ١٣٤

١- (١) الصحيفة السجادية، الدعاء (٤٢) عند ختمه القرآن.

٢- (٢) الصحيفة السجادية للأبطحي: ٣٠٩ - ٣١٠ من دعائه (عليه السلام) يوم الفطر.

وقلت تقدست أسماؤك : (ص وَ الْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ) وقلت عظمت آلاؤك (ق وَ الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ) فخصصته أن جعلته قسمك حين أسميته وقرنت القرآن به ، فما في كتابك من شاهد قسم والقرآن مردف به إلا وهو اسمه ، وذلك شرف شرفته به، وفضل بعثته إليه، تعجز الألسن والإفهام عن وصف مرادك به وتكل عن علم ثنائك عليه، فقلت عز جلالك في تأكيد الكتاب وقبول ما جاء به: (هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْنَا) ، وقلت عززت وجللت: (مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ) وقلت تباركت وتعاليت في عامه ابتدائه: (الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ) الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ) و (الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَ الْقُرْآنِ مُبِينٍ)

(و (الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَ الْقُرْآنِ مُبِينٍ) و (ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ) ، وفي أمثالها من سور الطواسين والحواميم في كل ذلك بينت بالكتاب مع القسم الذي هو أسم من أختصصته لوحيك ، وإستودعته سر غيبك ووضح منه شروط فرائضك ، وآبان عن واضح سنتك ، وأفصح لنا عن الحلال والحرام، وأنار لنا مدلهما الظلام، وجنبنا ركوب الآثام وألزمنا الطاعة ووعدنا من بعدها الشفاعة» .

وفي هذا المقطع من دعائه (عليه السلام) بين :

أولاً: عظمه القرآن .

وثانياً: بين (عليه السلام) أن في كثير مبتدأ السور ذكر الله تعالى اسما من أسماء النبي (صلى الله عليه و آله) وقسم به ثم أردف وقرن به القرآن والكتاب أي أن ابتداء تعالى

بالقسم بأسم من أسماء النبي (صلى الله عليه و آله) ثم قسم بعد ذلك بالقرآن والكتاب لتبيان أن هذه الأسماء للنبي (صلى الله عليه و آله) مقامات أعظم شأنًا وأكبر مقاماً من القرآن .

وثالثاً: بين (عليه السلام) أن هذه الأسماء للنبي (صلى الله عليه و آله) مقامات أعظم من القرآن والكتاب بل تعجز الألسن ولا تصل الإفهام عن وصف مراد الله تعالى من تلك الأسماء لنبيه وتكل الإفهام عن علم ثناء الله تعالى على نبيه بتلك الأسماء والمقامات، وإذا كان القرآن لا يمسسه إلا المطهرون فكيف بمقامات فوق القرآن والكتاب .

ورابعاً: بين (عليه السلام) أن كل ما بينه النبي (صلى الله عليه و آله) إنما هو من ما أوحى إليه في القرآن والكتاب لا من ما شرفه الله به من الأسماء والمقامات الأعلى من القرآن والكتاب ولا من الفضل الذي بعثه الله تعالى إلى النبي (صلى الله عليه و آله) من الأسماء النبويه والمقامات المحمديه فأين البشر من يلتفت إلى هذه الأسماء من إشارات ولطائف كلام الله تعالى لمقامات النبي (صلى الله عليه و آله) - والله أعلم حيث يجعل رسالته - .

والحاصل أنه (عليه السلام) في دعائه يشير إلى عظم مقامات النبي (صلى الله عليه و آله) على مقامات القرآن والكتاب الغيبية وأن القرآن والكتاب ليس إلا أحد هذه الأمور التي أوحيت للنبي (صلى الله عليه و آله) وأن عظام من الوحي فوق ذلك .

ففي هذا الدعاء والصلوات بيان مقام النبي (صلى الله عليه و آله)، وأن أى حرف من الحروف المقطعه في أوائل السور إذا أتى بعدها أسم القرآن أو الكتاب فذلك الحرف أو المقطع هو أسم من أسماء ومقامات النبي (صلى الله عليه و آله)، من قبيل

قوله تعالى: (يس وَ الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ) (١)، ففي روايات الفريقين أن (يس) هو أسم النبي (صلى الله عليه و آله).

وقوله تعالى: (حم وَ الْكِتَابِ الْمُبِينِ) (٢).

وقوله تعالى: (الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ) (٣).

وقوله تعالى: الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ٤ .

وقوله تعالى: الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ (٤).

وقوله تعالى: المر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ (٥).

وقوله تعالى: الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ (٦).

وكذلك سور الطواسين كقوله تعالى: طسم تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ (٧).

وكذلك الحواميم كقوله تعالى: حم وَ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ٩ .

ص: ١٣٧

١- (١) سورة يس: الآية ١.

٢- (٢) سورة الزخرف: الآية ١ - ٢

٣- (٣) سورة يونس: الآية ١.

٤- (٥) سورة يوسف: الآية ١.

٥- (٦) سورة الرعد: الآية ١.

٦- (٧) سورة إبراهيم: الآية ١.

٧- (٨) سورة الشعراء: الآية ١. والقصص: ١ .

وغير ذلك من الآيات الكريمة.

إذن السور والآيات القرآنيه تفصح وتبين وتوضح أن مقام النبي (صلى الله عليه و آله) مقام عظيم جداً، ومع كل هذه العلوم الغيبية والملكوتيه فإن هناك من يدعى العرفان أو التصوف أو أى شىء من هذا القبيل، ويقول أن القرآن عندما تنزل تلون بالبيئه العربيه، وهذا من الآراء القاصره عن درك ما وراء الماده والحس حول القرآن الذى هو: **وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (١)**، **وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَدْرُسُهَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٢)**، **وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَدْرُسُهَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٣)**، الذى هو فوق لوح القضاء والقدر .

كل هذا يحويه الكتاب وأعظم ، فهل هو وجود مادي جسماني أم هو يحيط بما وراء الآخره الأبدية فضلاً عن عالم القيامة والبرزخ والرجعه فضلاً عن الكره الأرضيه .

هذا الكتاب المبين كيف يكون قابلاً- أن يتلون ببقعه جغرافيه ترايبه، أو يتلون بيئه زمانيه معينه، والنفس البشريه التى تستوعب غيب السماوات

ص: ١٣٨

١- (١) سورة النمل: الآيه ٧٥.

٢- (٢) سورة الأنعام: الآيه ٥٩.

٣- (٣) سورة الرعد: الآيه ٣٩.

وكل صغيره وكبيره فى السماء وفى الفضاء وفى الكون كله: وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِى السَّمَاءِ ، أى العلوم المستقبلية كيف تتأثر بعلوم البشر فى زمان.

هذا لا يعقل، مع أن القرآن الكريم قد بين شخصيه النبي (صلى الله عليه و آله) أن له مقامات عظيمه تفوق كل مقامات القرآن كما مر، ولاحظ عروجه بجسمه فضلاً عن روحه إلى السماء الأولى والثانيه والثالثه وإلى السماء السابعه، وكيف دخل الجنة ويشرف على النار وعلى عوالم لم يرها الأنبياء فى حياتهم الدنيويه بل ولا فى برزخهم مع أن تلك العوالم وراء عالم القيامة ذى الأهوال العظيمه، وأشرف على كل هذا من دون إضطراب أو أى إرباك، أما نحن البشر العاديين لو كشف لنا عن واحده من عجائب البحار التى خلقها الله ربما يسقط ما فى أيدينا إذ ليس لدينا قوه مخيله قويه، ولا قوه مفكره ولا قوه حواس وإرادته ولا رباطه جأش كقوه نفسه رسول الله (صلى الله عليه و آله)، بحيث يعرج بها - النفس - إلى البرزخ وإلى الآخره وهو حى بحياته فى دار الدنيا، ولا تزهد روحه ولا يرتبك ولا يضطرب ولا ولا.....

إذن هذه القوه المخيله وقوه القلب وقوه الروح وقوه العقل التى عند النبي (صلى الله عليه و آله) ليس كبقية البشر، والمشكله التى فى البشر سواء فلاسفه أو عرفاء أو صوفيه فضلاً عن أنصاف المثقفين أنهم يقيسون حقائق ذات النبي (صلى الله عليه و آله) بذاتهم المتفوقه الصغيره، والتى هى قطره فى بحار العوالم، ولو يستطيع الإنسان أن يخرج عن هذا المقاس الخاطيء لأدرك الحقائق أجمالاً، ولذا ترى أن أهل السير والسلوك وذو القدم الراسخ فى المعنى والمعارف إذا إرتاض رياضه ثم ربما تباشره بالسلام قد لا يبقى له صبر ولا حوصله ولا

قدره أن يتكلم مع أحد، لأنه خارت قواه، فهذا الذى هذا شأنه يريد أن يقيس روح النبي (صلى الله عليه وآله) وذاته بنفسه، الذى لو أبتلى ببلاء يسير قد يفقد أعصابه وأرادته وعقله، بينما سيد الأنبياء (صلى الله عليه وآله) أبتلى ببلاء وبمحن وكان يلتذ بهذه الامتحانات الربانيه.

مقام معلم الحكمة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم:

قاعده الحجيه العلميه والحجيه التعبدية:

وهذه القاعده ربما لم تطرح بشكل واضح ومفصل فى علم الاصول بل حتى علماء الكلام للأسف لم يذكروها بشكل مفصل ومبلور مع أنها قاعده مهمه، نعم حاول علامه الطباطبائى أن يستنطق الآيات بهذا المنهج الذى سوف نذكره الآن ولكن لم يبينه بشكل مبلور ومفصل وهذه القاعده هي:

أن هناك حجيه للروايات أو للآيات ولكن لا بما هي حجيه تعبدية ظنيه بل بما هي حجيه تعليميه أو علميه.

- مثلاً - الروايه وظيفتها الألفات والتعليم إلى دليل آخر فى نفسه تام سواء كان هذا الدليل التام عقلى أو برهانى أو قطعى دينى، وهنا بيان الروايه حجيتها لا تتوقف على الحجيه التعبدية.

ومن باب المثال، عندما يراجع أحد الباحثين - مثلاً - فى علوم العقائد أو الفلسفه أو العرفان أو الكلام، وعندما يراجع أقوال العلماء فى تلك

المسأله أو فى ذلك العلم لا يراجع أقوالهم بما هى حجيه تعبيديه وإنما يراجع ويستعرض أقوالهم لكى يستكشف الأدله المنطويه فى أستدلالاتهم أو فى كلماتهم، فهل هناك من يستنكر عليه ذلك؟!.

كلا فهو يقوم بالتأمل والاستعلام والاستبيان واستخراج الأدله التى هى بنفسها أدله وبغض النظر عن القائل، وهذا دأب كل علم من العلوم كالفيزياء أو الكيمياء أو الرياضيات وما شاكل ذلك، وهو منهج علمى وليس منهجاً جهلياً.

وهذا المنهج نفسه له دعوه أكيدته فى القرآن وعند المعصومين (عليهم السلام) بمعنى أن أنظروا إلى الآيات وتدبروا فيها وهكذا الروايات أيضاً حتى نلتفت إلى الأدله والبيانات البرهانيه، فالمراجعته إلى الآيات والروايات على هذا النمط فوق الحجيه التعبيديه لأنه سوف نقف على البرهان والبيان، وعندما نقول هذه الروايه ضعيفه السند أو هى قويه السند فهذا لا يؤثر على هذا المنهج، وكذلك فى الآيات من أن الدلاله فى هذه الآيه دلالة صريحه أو دلالة ظنيه أو دلالة ظهور أو دلالة قويه متوسطه أيضاً لا تؤثر فى هذا المنهج ولكن المدلول فى نفسه تام أو لا هو المؤثر لا غير، وهذا ما يعبر عنه بالحجيه التعليميه أو العلميه.

معلم الحكمة:

القرآن الكريم يصف لنا النبى (صلى الله عليه و آله) بقوله تعالى: هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمَمِينَ رَسُولًا - مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَ يُزَكِّيهِمْ وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ إِنْ كَانُوا

مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (١)، فالنبي (صلى الله عليه وآله) لا ينحصر مقامه في كونه ولياً مطاعاً وحاكماً بل هو معلم الحكمة، وهذا البحث لا نجده بشكل مستقل في علم الكلام، إذ الكتب الكلامية غير مستوفية لمباحث كثيرة جداً، وهذا يعد نقصاً في منظومه علم الكلام لأنه مقام مهم قد نص عليه القرآن الكريم، فكما له الولايه والطاعه كما في قوله تعالى: (إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ) (٢)، أو يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ (٣). وهذا مقام مقرر له (صلى الله عليه وآله)، ولكن أحد مقامات النبي (صلى الله عليه وآله) أنه معلم الحكمة) و(معلم الكتاب) والكتاب يعنى الذى يستطر فيه كل الحقائق للعوالم، وهذه الحقائق أميرها هو أمير المؤمنين (عليه السلام).

فقد روى أحمد بن عمر قال: «سألت أبا الحسن (عليه السلام) لم سمي أمير المؤمنين (عليه السلام)؟ قال: لأنه يديرهم العلم، أما سمعت في كتاب الله: وَنَمِيرُ أَهْلَنَا» ٥.

وفى روايه أخرى قال: «لأن ميره المؤمنين من عنده، يديرهم العلم (٤)، أى طعامهم الروحاني وهو العلم من عنده» (٥). فالنبي هو الذى يركى النفوس

ص: ١٤٢

١- (١) سورة الجمعة: الآية ٢.

٢- (٢) سورة المائدة: الآية ٥٥.

٣- (٣) سورة النساء: الآية ٥٩.

٤- (٤) المصدر السابق.

٥- (٥) شرح أصول الكافي للمازندراني ج ٤٩: ٧.

ويريها ومن بعده يقوم بهذا الدور النبوي الأوصياء من الأئمة (عليهم السلام).

الحُجَّةُ العِلْمِيَّةُ لِلْحَدِيثِ لَا التَّعْبِدِيَّةُ الظَّنِّيَّةُ

الإسرائيليات لا تشبه على الفقيه المتضلع:

إن من مقامات النَّبِيِّ (صلى الله عليه وآله) وأهل البيت (عليهم السلام)، أَنَّهُ (صلى الله عليه وآله) معلِّم البشر والملائكة والجن وغيرهم.

قال تعالى: هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ۗ

فوصف تعالى نبيه بإنه معلم الكتاب ومعلم الحكمة، ولا يخفى أن المعلم والتعليم رابطة وإرتباط مع البشر تختلف عن رابطة الولاية كما في قوله تَعَالَى: **إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ (١)**.

فارتباط الولاية أمرية من الوالى الولى، والمأمورية من الموالى الولى التابع، وأما التعليم فهو إحداث المُعَلِّم العلم لدى المُتَعَلِّم.

فكون أحد شؤون النَّبِيِّ (صلى الله عليه وآله) مُعَلِّم الكتاب ومُعَلِّم الحكمة أى يوجد العلم بالكتاب ويوجد العلم بالحكمة فى البشر.

ولا يخفى أن العلم بالحكمة ليس حجته تعبدًا ظنيًا بل حجة من

ص: ١٤٣

باب حجيه العلم بالحكمه والبرهان.

وكذلك كونه معلم الكتاب الذى هو علم بالخطوط الكليه العامه الكونيه الأكوانيه أيضاً هو اخر ليس حجيه تعبدية ظنيه. فلا ينفع فى حصولها الطريق الصحيح للروايه والحديث لأن غايته هو الظن لا العلم واليقين والبرهان. بينما أحد أهم أدواره (صلى الله عليه وآله) القيام بدور التعليم للحكمه والكتاب.

صفه (أمير المؤمنين):

وكذلك دور الهادى والهدايه فى الإمام والأئمه (عليهم السلام) هو التعليم لا الحصر فى الولايه بل لك أن تقول أن من أرفع درجات الولايه والتولى هو التعليم والعلم والتعلم.

وقد ورد فى تأويل (أمير المؤمنين) أعظم صفات على (عليه السلام): أنه بمعنى «يمير العلم ملكوتياً على المؤمنين»^(١)، أى صفه المعلم والتعليم طبعاً لا يقتصر التعليم والعلم على قناه وطريقه واحده بل من طرق شتى.

فالتعليم والعلم وهو إيجاد العلم فى المتعلم المكتسب المتلقى للعلم حجه غير تعبدية أى الإنقياد ليس ناشئاً من الظن وأسبابه بل من أسباب العلم.

فلا يكون حجه تعبدية ظنيه بل حجيه تكوينيه وهذه الحجيه للعلم كما قررت فى علم اصول الفقه وعلم الكلام أقوى من الحجيه التعبدية الظنيه ومقدمه عليها.

ص: ١٤٤

١- (١) الكافي: ج ٤١٢: ١.

فإذا أتضح ذلك فليتنبه بالتفات مركز أن الحديث ليست حجته منحصره من ناحيه الصدور وصدوره وطريقه من سلسله السند للحديث والروايه الذى هو طريق ظنى تعبدى إذا كان الطريق من خبر الآحاد من نقل الثقات أو هو قطعى أو هو طمئنانى إذا كانت طريقه متواتره أو مستفيضه.

حجيه العلم حجيه للحديث:

بل هناك جهه أخرى لحجيه الحديث والروايه وهى حجيه للعلم وذلك من ناحيه دراسه المتن ودرايه المضمون وفقه الحديث، فإنه إذا تضمن وأنطوى متنه على دلائل برهانيه وقطعيه، أو تضمن معناه لإشارات إلى دليل محكم آخر أو أحتوى مدلوله على إيماء إلى بينات يقينيه، فإن حجته سوف تكون من حجيه العلم لا من الحجيه اتيه من الصدور ولا من نقل الرواه ولا من إسناد الإخبار.

بل حجته آتية من معانى متنه ومن قواعد مدلوله ومن دلائل مفاده وهى حجيه يقينيه من نظم قوالب المعنى ليست ظنيه تتطرق إليها الريبه من الإسرائيليات ولا تحتمل التشكيك بالدس والدسيسه والوضع والوضيعه ولا المريه من التدليس والكذب.

فلاحظ كم الفرق بين حجيه الحديث من ناحيه الطريق والسند والنقل وحجيه الحديث من ناحيه فقه المتن ودراسته ودرايه مضمونه، فمن ثم ورد عنهم (عليهم السلام) «حديث تدريبه خير من ألف حديث ترويه»^(١). وورد

ص: ١٤٥

وهذا الإختلاف فى المفاضله راجع إلى درجه فهم متن ومعنى الحديث و مدلول الروايه.

فلاحظ كلام النَّبِيِّ (صلى الله عليه و آله) فى حجه الوداع: «رب حامل فقه إلى من هو أفقه مِنْهُ»^(١).

وورد عنه (صلى الله عليه و آله): «رب حامل فقه وليس بفقيه»^(٢).

فلاحظ كم يؤكد وينبه إلى أهميه فهم ودرايه متن ومعنى الحديث وفقه مضمونه.

وكذلك لاحظ قوله تعالى الراسم لخريطه العلم والتعلم لعلوم الوحي: (فَلَوْ لَا نَفَرْنَا مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَ لِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ)^٣.

فبعد ذكره للنفر إلى المعصوم النَّبِيِّ (صلى الله عليه و آله) وأهل البيت (عليهم السلام) الذى هو وسيله لنقل الحديث ولروايه الخبر أكد تعالى على فهم كلام الوحي ومعرفه منظومه تركيب معانيه وحقايقه.

ومن ثم ورد متواتراً أن أعظم ميزان لدراسه الحديث والروايه ليس

ص: ١٤٤

١- (١) الكافى: ج ٤٠٣: ٢.

٢- (٢) المصدر السابق.

هو الطريق للخبر والسند للرواية بل هو ميزان متنه ومعيار معناه وضوابط مدلوله، وهو عرضه على الكتاب والسنة، أى محكمات الكتاب ومحكمات السنه القطعيه.

وهذا العرض ليس دراسه لوثاقه الرواه فى سلسله السند ولا درايه لأحوال رواه الروايه بل هو عرض لقوالب معانى الحديث على قوالب معانى الكتاب والسنة ومقارنه أطر المضمون لمضامين الثقليين ودرايه لمتن الحديث.

فعلم الدرايه علمان درايه لطريق وسند الروايه والحديث ودرايه لمتن ومضمون ومدلول الحديث ومعنى الروايه والمروى.

والفقه كل الفقه للدين والفقيه كل الفقيه والعالم كل العالم المتضلع فى فهم معنى الحديث وطبقات معانيه المنتظمه المترابطه بعضها ببعض علاوه وعلوا على الإمام بأحوال طريق وسند الحديث والروايه.

ومن ثم ورد عنهم: «إنا لا نعد الفقيه منكم فقيهاً حتى نلحن له في فهم معاريض كلامنا»^(١).

وهو جانب مرتبط بدراسه متن الحديث لا مجرد طريقه وحال صدوره.

فاتضح إختلاف منشأ الحجيتين، كما هو الحال فى إستعراض الباحث فى أى علم أقوال الآخريين، فإن تصفحه لأقوالهم وكلامهم ليس لأجل

ص: ١٤٧

الإنياد التعبدي لهم بل لإستخراج الدلائل العلميه من كلماتهم.

فكذلك هو منهج الحجيه العلميه والعلم للحديث فإنه لا يتوقف ولا ينحصر على حال طريقه وصحته من ضعف سنده بل العمده والعماد والركن والأركان والمركز والركاز هو دراسه متنه والبحث فى مضمونه ومعانيه.

ومنه يتبين ما قاله المفيد والطوسى والمحقق الحلى وجمله من الأعلام المتقدمين:

من أن هناك مسلكاً حشويّاً قشريّاً وآخر مسلك المحصلين المحققين هو إشاره إلى هذا الفرق بين الإقتصار على دراسه السند والطريق فى الحديث وبين دراسه متن ومدلول الحديث ومعناه.

ومنه يظهر أن المعاداه والتحسس من الحديث بذريعه الإسرائيليات نظره ومسلك حشوى وقشرى لا تحصيلى تحقيقى.

حجيه فاطمه عليها السلام وعلم الكلام:

وأيضاً من المباحث التى لم تكن مستقلة ومبلوره فى عده من كتب الكلام حجيه السيده فاطمه الزهراء(عليها السلام)، فهل رأيت فى عقائد الإماميه مثلاً للشيخ المظفر أو فى شرح التجريد أو فى الباب الحادى عشر أو فى كتب المحقق الطوسى وغيره مبحث حجيه الزهراء(عليها السلام) مستقل ومبلور؟! ولاريب أنهم يؤمنون بهذه العقيده الحقه ولكن لم يعقدوا لها بحثاً مستقلاً ولا محوراً مبوباً .

ولذلك فإن المعارف والعقائد المذكوره فى القرآن الكريم وفى الروايات لا

يظن أن العلماء أستقصوها كلها في علم الكلام.

ومن المباحث التي لم تكن مبلوره أيضاً بحث الملائكة: آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ... (١)، نعم في البحار والكافي باب معقود لذلك ولكن تبعاً للروايات، في حين لم تعقد كتب الكلام هذا البحث إلا أستراداً، مع أن الإيمان بالملائكة أمر لا بد منه وليس أمراً اختيارياً.

وكذلك مبحث البرزخ: مِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (٢)، لا يرى له بحثاً مستقلاً مع أنه مهم جداً، والشبهات الراهنة لدى الوهابية والسلفية جلها تتضمن وتنطوي على إنكار البرزخ بمعنى إنكار بقاء حياه الروح، وهذا القصور في المعرفة بسبب سقم التبويب والتصنيف الموجود في كتب الكلام لدى المسلمين وأنها غير حاويه ولا وافية لكل الأبواب، وهذه ظاهره حساسه ينبغي الإلتفات إليها.

ومثال أوسعيه المنابع والأدله الشرعيه على عناوين الأبواب والمسائل المدونه في كتب العلوم الدينيه أنه لو نقارن بين أبواب الفقه الموجوده في كتب المعاصرين وبين أبواب الفقه في كتب القدماء سوف نرى أضعاف أضعاف العدد موجوداً الآن في كتب الفقه المعاصر، لأن المتأخرين أستنبطوا وأستخرجوا أبواباً فقهيه جديده لم تكن قد ألفت إليها سابقاً، مع أنها

ص: ١٤٩

١- (١) سورة البقره: الآيه ٢٥٨.

٢- (٢) سورة المؤمنون: الآيه ١٠٠.

موجوده فى الآيات والروايات، كذلك الحال فى المعارف والعقائد، وربما الأقدمين يشيرون إليها ولكن إجمالاً، إرتكازاً، إستطراداً تبعاً، ولكن هذا لا يدعوننا إلى الأستيحاش من بلوره وعنوانه مسائل وأبواب مقرره فى الأدله من الكتاب والسنة للمعصومين (عليهم السلام)، ولا بدّ للباحث أن يستنبط القواعد والثوابت والضوابط والمنهج القويم الصحيح.

شبهات وردود حقايق:

هناك تساؤلات وشبهات أثرت فى الآونه الأخيره من قبل كاتب معروف (1) فى الساحة الإسلاميه حول خاتميته النبي (صلى الله عليه و آله)، وفى الحقيقه أن هذه التساؤلات ليس هو إلا ناقلاً لها عن جمله من الكتاب الغربيين أو الفلاسفه الماديين أو جمله من بعض العرفاء أو الصوفيه.

توهم حصر عصمه النبي (صلى الله عليه و آله) بنزول جبرئيل:

ومن ضمن المسائل التى طرحها أنه كيف يمكن أن نتصور عصمه وعصماويه النبي (صلى الله عليه و آله)، وأن جبرئيل ينزل عليه (صلى الله عليه و آله) بأستمرار ويعرج إلى السماء فى كل مشهد من مشاهد النبي (صلى الله عليه و آله) وأن هذا لا يمكن تعقله فلسفياً ولا بحسب علم الكلام هذا ما زعمه هذا الكاتب المعاصر.

ولا نعلم لأى قاعده فلسفيه أستند، وأى قاعده من قواعد علم

ص: ١٥٠

١- (١) وهذه الاشكالات طرحها قبل أكثر من عشرين عاماً العالم الأوربى المعروف (جيورجيو) فى كتابه (محمد نبي يجب معرفته من جديد).

الكلام تمنع أو تحيل أن يكون جبرئيل وسيط ملكوتي وحياني بين السماء والأرض في كل آن من الآنات.

فقد توهم وحسب أن النزول والعروج الملكوتي يستغرق أياماً أو سنياً أو ساعات، فكيف يمكن أن نتصور عروج جبرئيل ونزوله من العرش أو من السماء ونزوله بالأمر والتسديد الإلهي والتوجيه المسدد للنبي (صلى الله عليه و آله) في لحظات قليلة، وكذلك كيف هو عروج النبي (صلى الله عليه و آله)، إن هذا الكلام ينطوي على غفلات كثيره جداً وهو لم يصرح في كلامه أنه على أى قاعده علميه أو فلسفيه أستند إليها حتى تكون تساؤلاته علميه ودقيقه.

مع أنه قد ورد في بعض روايات المعراج أنه عندما خرج النبي (صلى الله عليه و آله) من بيت أم هانئ إلى الإسراء والمعراج والعروج علق رداءه الشريف (صلى الله عليه و آله) بكوز ماء فأماله بظرف من الظروف الطينية الفخاريه التي فيها الماء فأخذ ينسكب منه الماء والنبي (صلى الله عليه و آله) ذهب إلى المعراج بتوسط جبرئيل وبواسطه البراق وأكمل المعراج وعاد إلى مكه المكرمه ثم إلى بيت أم هانئ وذلك الظرف الذي ينسكب منه الماء لا زال ينسكب ولم ينقطع.

إذن كم كان يستغرق أنسكاب هذا الماء من ظرف طيني فخارى؟! إنه أقل من الساعه ولا- ريب في ذلك، وهذا هو وقت المعراج في أحد المرات من بدايته إلى نهايته.

وفي مراسلات النابغيه (أنشتاين) مع (السيد البروجردى) وهي محفوظه الآن يقول أنه من هذه الروايه عرفت أن الزمان نسبي،
يعنى أن

الزمان بحسب كل مجال وكل دائره يختلف عن زمان مجال آخر، فربما زمان سنين هو ساعات بحسب مدار فلكى آخر، وهنا بحسب المدار الأرضى ساعه أو نصف ساعه فالمقاسات الزمانيه تختلف وليس الزمان واحداً، هذا مضافاً إلى لطافه الزمان فى الجسم المجرد عن هذه ماده الغليظه وإن كان له ماده لطيفه، فمثلاً فى عالم الرؤيا المناميه، أنت تشاهد مشاهد وأحداث كثيره تطول بك وربما لم تستغرق هذه المشاهد إلا خمسه دقائق فى المنام، فكذلك الحال بالنسبه إلى عروج النبى (صلى الله عليه و آله)، فإن الزمان هنا غير الزمان فى عالم الملكوت وفى السموات وفى ما فوقها من عوالم جسميه ألطف.

إن مثل هذه التساؤلات والإشكالات تفتقد وتفترق إلى أبسط مراعاة الموازين العلميه. هذا كله لو حصرنا العصمه والتسديد بنزول جبرئيل والحال أن أركان العصمه للنبى (صلى الله عليه و آله) والمعصومين (عليهم السلام) من بعده على أنواع وأقسام من الوحى.

والمهم إن هذه الإشكالات التى طرحها هذا الكاتب مبنيه على أن الوحى هو من هذا القسم فقط، أى أن الوحى الذى هو جبرئيل هو الطريق الوحيد للنبى (صلى الله عليه و آله) من عروج وهبوط وصعود ونزول وهو الذى يسدد النبى (صلى الله عليه و آله).

ومن الغريب إدعاء الكاتب والباحث الإحاطه ببحوث الروح وبحوث الوحى والمشاهدات العينيه، ومع ذلك يفترض حصر الوحى بمجىء جبرئيل والوسيط بين النبى (صلى الله عليه و آله) وبين الله عَزَّ وَجَلَّ، ولا يوجد غير هذا

الطريق من هذه الوساطه للوحي.

والحال أن أقسام الوحي عديده قد فصلها القرآن الكريم، وروايات أهل البيت (عليهم السلام) بينت ذلك بشكل مفصل، وقد مرت الإشارة إلى ذلك سابقاً.

وإذا تم البناء على هذا القول من حصر نمط الوحي بالواسطه بين السماء والنبى (صلى الله عليه و آله) المتمثل بجبرئيل فسوف نخرج بخطأ فادح وهو كون حقيقه عصمه النبى (صلى الله عليه و آله) حصراً من خلال الوحي التكميلى بإرسال جبرئيل (عليه السلام) لا غير، وإن كانت العصمه والسداد حتى على هذا المبنى الضيق الأفق قابله للتصوير للنبى (صلى الله عليه و آله)، على ضوء هذا التعريف القاصر فى أقسام وأنواع الوحي ثم ربط تعريف العصمه للنبى (صلى الله عليه و آله) والسداد العصماوى بهذا النمط الوحيد من الوحي فقط، لكن سوف تنشأ جملة من الإشكالات والأستفهامات، إذ التعريف القاصر للوحي وحصره فى زاويه واحده محددده هو الذى يسبب أوهاماً من الإبهامات لعقول جملة من الباحثين والكتاب والمفكرين وغيرهم من المسميات الأخرى تشكل وتستفهم وتدعى غير ما أنزل الله به من سلطان.

وهؤلاء لا يفرقون بين الجنبه البشريه والجنبه الوحيانيه، فمن القواعد التى مرت بنا سابقاً والتي هى من القواعد المهمه فى تعريف هويه سيد الأنبياء (صلى الله عليه و آله): **قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحى إِلَيَّ (١)**، فالجنبه البشريه

ص: ١٥٣

مشتركة بيننا وبين النبي (صلى الله عليه وآله)، وهي أولى مراتبه (صلى الله عليه وآله) فأخر مراتبنا هي بدايه مراتبه كما أن آخر مراتبه هي الجنه الوحيانيه المستمره وله بين المرتبه الأولى والأخيره مراتب لا تحصي، كما أن المرتبه الوحيانيه منه (صلى الله عليه وآله) لا تنتهي ولا تنقطع ومن ثم ذكرت في الآيه بصيغه الفعل المضارع للاستمرار ولم يقيد طبيعه الوحي المستمر بوقت زمني لا مبدأ ولا منتهى أى لم يحدد لإفاضه الوحي الإلهي عليه (صلى الله عليه وآله) بمبدأ زمني بزمن البدن مثلاً ولا بمنتهى زمني فتلك الجنه الوحيانيه في ذاته أسبق إيجاداً من البدن، فهناك بعد ذو مراتب وراء الجنه البشريه أى مراتب جنه في الحقيقه التكوينيّه لسيد الأنبياء يمتاز بها عنا وهو أنه يوحى إليه: **وَ مَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ وَ مَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۚ ۱**.

وكونه إنساناً وفيه جنه الحياه البدنيه وفيه جنه النمو وجنبه الإحساس والنطق والإدراك العقلي، ومما يشترك بهذا مع باقى البشر، كما له جنبه كمال مودع في حقيقه ذاته (صلى الله عليه وآله) وهذه الحقيقه (يوحى إليه).

وهذا المائز وهذه الجنه التي عند خاتم الأنبياء (صلى الله عليه وآله) الذي هو الوحي ليس على قسم واحد، وهو الوحي الذي من نمط النزول والصعود والهبوط والعروج لجبرئيل، كلا وإنما هذا أحد الأقسام.

نزول القرآن:

فقد أتفق كثير من المفسرين - ومن كلا الفريقين - والمتكلمين قالوا

بان نزول القرآن على النبي (صلى الله عليه و آله) على أقل تقدير هو على نمطين وليس على نمط واحد، ولم نقل مرتين على نمطين وكيفيتين، نعم هناك من يستشكل على ذلك أو ينكر أو لا- يستطيع أن يتفهم كيفية نزول القرآن الكريم على نمطين، والنمطان هما:

الأول: نزول القرآن جملة واحده وفيه لم يكن الوسيط هو جبرئيل بل الوسيط هو روح القدس الذى هو الروح الأمري، وهذا ما أشارت إليه جملة من الآيات والروايات، كقوله تعالى: وَ كَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ (١).

وهذا ما بينه الإمام الصادق (عليه السلام) كما مر بنا سابقاً حيث قال: (عليه السلام): (هو خلق من خلق الله عزَّ وَجَلَّ أعظم من جبرئيل وميكائيل، كان مع رسول الله (صلى الله عليه و آله) يخبره ويسدده وهو مع الأئمة من بعده) (٢).

والذى يدل على أن القرآن نزل دفعه واحده وفي شهر رمضان آيات عديده كقوله تعالى: شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَ بَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَ الْفُرْقَانِ ٣.

روى أن عطيه بن الأسود سأل ابن عباس فقال: (إنه قد وقع فى قلبى الشك قول الله: شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ وقد أنزل فى

ص: ١٥٥

١- (١) سورة الشورى: الآية ٥٢.

٢- (٢) الكافى ج ٢٧٣: ١.

شوال وذى القعدة وذى الحجة والمحرم وشهر ربيع الأول.

فقال ابن عباس: فى رمضان وفى ليله القدر وفى ليله مباركه جملة واحده ثم أنزل بعد ذلك على مواقع النجوم رسلاً فى الشهور والأيام(١).

ويشير إلى ذلك قوله تعالى: وَ لَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ (٢)، وقوله تعالى: لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ٣.

فجبرئيل (عليه السلام) هو الذى ينزل نجوماً بالقرآن فالروح إذن غير جبرئيل.

نعم جبرئيل هو الروح الأمين كما قال تعالى: وَإِنَّهُ لَنَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (٣)، وقوله تعالى: مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ وَ مَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ وَ لَقَدْ رَأَاهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ (٤).

ففى النزول دفعه واحده لم يكن الوسيط هو جبرئيل بل الروح الأمرى وهو أعظم من جبرئيل كما جاء ذلك فى تفسير قوله تعالى: تَنْزَلُ الْمَلَائِكَةُ وَ الرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ .

فعن الإمام الصادق (عليه السلام): «... الروح خلق أعظم من جبرئيل، إن

ص: ١٥٦

١- (١) الدر المنثور للسيوطى ج ١٨٩: ١، تفسير الثعلبى ج ٦٨: ٢، تفسير البغوى ج ١٥١: ١.

٢- (٢) سورة طه: الآية ١١٤.

٣- (٣) سورة الشعراء: الآية ١٩٢ - ١٩٣.

٤- (٤) سورة التكوير الآية ٢١.

جبرئيل من الملائكة وأن الروح خلق أعظم من الملائكة، أليس يقول الله تبارك وتعالى: تَنْزِلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ (١).

وهناك آيات عديدة تذكر الروح والملائكة معاً تشبيه، وهذا يعنى أن الروح غير الملائكة كقوله تعالى: تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ ٢، وقوله تعالى: يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ (٢).

وأما النزول التدريجي أو النجومى فقد بدأ من يوم المبعث الشريف.

يوم مبعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

فى يوم السابع والعشرين من شهر رجب بعث النبي رسولاً وإن ورد فى التعبير الروائى: (نبي رسول الله) ، وورد أيضاً بعث أى: بُعث رسولاً- بالبعث النبويه، لأن هناك فرق بين النبوه والرساله، النبؤه: تنبى النبي بالوحي عبر قنوات وأنواع مختلفه، ولكن البعثه: أن يحمل مأموريه ومسؤوليه ودوراً يتبعث فيه إلى قوم وإلى الناس لينذرهم.

والمهم أنه بُعث رسولاً وإلا فالنبي (صلى الله عليه وآله) هو على اتصال بقنوات الوحي، وهو حقيقه النبوه منذ ولادته (صلى الله عليه وآله) بل قبلها من العوالم السابقه، أما كونه بُعث رسولاً فذلك فى سن الأربعين فى اليوم السابع والعشرين من شهر رجب، وأما الإسراء والمعراج فقد كان ذلك عند علماء الإماميه تبعاً

ص: ١٥٧

١- (١) المحاسن للبرقى ج ٣١٥: ٢، بصائر الدرجات للصفار: ٤٦٢.

٢- (٣) سوره النحل: الآيه ٢.

لروايات أهل البيت (عليهم السلام) في السابع عشر من شهر رمضان (١)، أو في السابع عشر من شهر ربيع الأول (٢)، أى أن ميلاد الرسول (صلى الله عليه وآله) هو نفسه يوم الإسراء والمعراج.

والإسراء والمعراج في هاتين الروايتين في شهر رمضان أو في شهر ربيع الأول، نظراً لما في روايه أخرى قد وقع الإسراء والمعراج مرتين (٣)، بل في روايه رابعه قد وقع مائه وعشرين مره (٤).

إذن في يوم المبعث نُبئ أى أبتعث رسول الله (صلى الله عليه وآله) رسولاً، حيث نزلت عليه أول سورة في القرآن، سورة العلق على أشهر الأقوال: (أقرأ قال ما أنا بقارئ) أى ما هو الشىء الذى أقرأه، إلى بقيه الأمر.

وأما في روايات العامه أو مصادرهم التاريخيه، فليس محسوماً أن يوم المبعث هو يوم الإسراء والمعراج، هذا ابن إسحاق صاحب كتاب المغازى، ذكر في كتابه السير النبويه وهو من أقدم المصادر، وكذلك الواقدي (٥) ذكر أنه قيل السابع والعشرين من رجب وقيل السابع عشر من شهر رمضان وقيل السابع من عشر من ربيع الأول وهو مولد النبي (صلى الله عليه وآله)، ولكن لهم - ظاهراً - دواعٍ لتغيير ليله المبعث أو يوم المبعث وراءه التعتيم على حقيقه

ص: ١٥٨

١- (١) مناقب آل أبي طالب ج ١٥٣، ١: البحار ج ٣١٩: ١٨.

٢- (٢) الأقبال: ٦٠١.

٣- (٣) الميزان ج ٣١: ١٣.

٤- (٤) البحار ج ٣٠٧، ١٨: ٣٨٧، الخصال: ٦٠٠، بصائر الدرجات: ٩٩.

٥- (٥) مناقب آل أبي طالب ج ١٥٣: ١.

نزول القرآن دفعه جمله واحده. لأن كون ليله المبعث أو يوم المبعث من شهر رجب، بدايه نزول القرآن، كيف يتوافق مع ما فى سورة البقره وسوره الدخان وسوره القدر من أن القرآن نزل فى شهر رمضان؟: شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَ بَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ (١).

وظاهر الآيه فى سورة البقره أن القرآن نزل جمله واحده، كما فى سورة القدر: إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ، ولىله القدر فى شهر رمضان، و إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ظاهر الآيه إنزال كل القرآن، كذلك فى سورة الدخان: حم وَ الْكِتَابِ الْمُبِينِ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلِهِ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ (٢) أيضاً كل القرآن.

فللقرآن نزولان كما بينا سابقاً: نزول يعبر عنه بالنزول الجملى، يعنى جمله واحده، هذا النزول الجملى يجرى الأدبيات العقائديه لدى المذاهب الإسلاميه الأخرى ويستعصى عليهم بيانه، إذ تواجههم عدّه أسئلة وحقايق حول حقيقه هذا النزول الجملى الواحد، منها: أنه ماصلته بالروح الأمرى المغاير لجبرئيل (عليه السلام).

ومنها: هل هو نزول لألفاظ ومعانى أم نزول لحقيقه تكوينيه وراء الألفاظ والأصوات والمعانى، وعلى التقدير الأول فكيف يتلائم مع الزمان المأخوذ

ص: ١٥٩

١- (١) سورة البقره: الآيه ١٨٥ .

٢- (٢) سورة الدخان: الآيه ١-٣ .

فى تركيب الألفاظ والمعانى وتسلسل الأحداث زمناً.

ومنها: أنه إذا كان النازل أمراً وحقيقته مغاير للألفاظ والمعانى فهذا الأمر أين هو؟، وعند من بقى بعد رسول الله (صلى الله عليه و آله) لأن حقيقته القرآن لم ترتفع برحيل رسول الله (صلى الله عليه و آله) إلى الرفيق الأعلى.

وغير ذلك مما هو متصل ببحث الإمامه، فإذا أثبتنا أن ليله السابع والعشرين من شهر رجب مبعث نبوى، وإن القرآن نزل نزولاً جملياً فى شهر رمضان سيكون هناك للقرآن نزولان: نزول ألفاظ ومعانى وأصوات القرآن الكريم الذى يسمى نزولاً متفرقاً نجومياً، لتفرق الآيات والسور بحسب موارد أسباب النزول، ومن ثم سُمي القرآن فرقاناً يعنى مُتفرق، هذا النزول كان ابتداءً من أول البعثة النبويه، ثلاث عشره سنه قبل الهجره فى يوم السابع والعشرين من شهر رجب نزل نزولاً متفرقاً، بدايه السور سورہ العلق إلى نهايه السور وهى سورہ المائده على أشهر الأقوال.

مبحث الإمامه و ليله القدر:

وهذا هو نزول أقوال وألفاظ ومعانى القرآن، وكان متفرقاً بحسب أسباب النزول، ابتداءً من ثلاث عشره سنه قبل البعثة، أربعون سنه بعد عام الفيل، حيث كان سن النبى الشريف أربعين عاماً حسب التقويم الجاهلى العربى السائد، وثلاث عشره سنه قبل الهجره، وهذا نزول، وهناك نزول من سنخ آخر من نوع ولون ونوعيه أخرى من نزول القرآن.

ص: ١٦٠

وكون القرآن ينزل على نمطين، و نوعين، ولونين للقرآن، فهذا محرّج للمباني الاعتقادية للطرف الآخر، إلا- أن الكثير منهم أترفوا وأقروا به، لأن سورة البقره صريحه فى بيانه: شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ (١)، وماذا يصنعون بهذه الآيه؟ وأما قرأ باسم رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (٢)، فواضح بأنها أول سورة نزلت على الرسول (صلى الله عليه وآله)، وهى فى يوم المبعث صبيحه السابع والعشرين من شهر رجب، فكيف التوفيق؟ ولا- بد لذلك من نزولين، النزول الجملى للقرآن، النوع الثانى حصوله ليله القدر، وهو مرتبط بليله القدر ومنتهاه ليله القدر أيضاً؟ هو نزل كله جملة معاً.

فالأمر الذى تحرج الطرف الآخر ههنا، وتبين دلائل على إمامه أهل البيت (عليهم السلام)، وأرتباط شخص معصوم على وجه الكره الأرضيه دوماً بهذه الحقيقه للقرآن التى نزلت فى ليله القدر المرتبطه بالروح الأمرى لا بجبرئيل (عليه السلام)، والروح الأمرى قناه إتصال بالغيب والسماء ما دام القرآن موجوداً، والذى يدل على ذلك هو سورة القدر: انا انزلنا الضمير يعود على القرآن الكريم كله: وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ تَنزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ (٣)، هذه السوره واضحه أنها تربط بين نزول القرآن جملة وبين

ص: ١٦١

١- (١) سورة البقره: الآيه ١٨٥ .

٢- (٢) سورة العلق: الآيه ١ .

٣- (٣) سورة القدر: الآيه ٢ - ٥ .

تنزل الملائكة والروح، يعنى أن هناك صلة وثيقة جداً بين ليله القدر وبين تنزل القرآن جملة واحده.

أيضاً لاحظ سورة الدخان: حم وَ الْكِتَابِ الْمُبِينِ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلِهِ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ أَمْراً مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ (١)، فيها يُفْرَقُ بتعبير علماء العربيه: جملة فعليه تدل على الأستمرار، شأن ليله القدر أن فيها فرقا أى أن فيها باستمرار السنين قضاءً وقدرًا، تفصيل، تنظيم، تدبير، وفوق هذا: تطبيق الأمور التي هي مجمله إلى تفاصيل في ليله القدر، شأنه، بيئه ليله القدر متناسبه مع نزول القرآن الجملى، نزول القرآن الجملى هذا ما هو؟ الكثير يسأل كيف كان نزول القرآن جملة؟ قالوا نزل في البيت المعمور. ما هو البيت المعمور؟ البيت المعمور في السماء الرابعه، أو البيت المعمور هو قلب النبي (صلى الله عليه و آله)، وكلاهما معنيان لا يتنافيان ولا يتدافعان.

وفي سورة الشورى: وَ كَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَ لَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُوراً نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَ إِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٢)، وَ كَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ ، ما الفرق أو الصله بين إحياء الروح والكتاب فبوحى الروح له حصلت له درايه الكتاب؟ هذه الأمور نبه عليها أهل البيت (عليهم السلام) وهم

ص: ١٦٢

١- (١) سورة الدخان: الآية ١ - ٥.

٢- (٢) سورة الشورى: الآية ٥٢ .

أصحاب أسرار القرآن: وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ، إِذَا بَيَّنَّ الْكِتَابَ، الْكِتَابَ يَعْنِي جَمَلَهُ الْقُرْآنَ، وَبَيْنَ إِيْحَاءِ الرُّوحِ أَرْتِبَاطَ بِتَمَامِ الْحَقِيقَةِ بَيْنَهُمَا نَظِيرَ هَذَا الْأَرْتِبَاطِ مَوْجُودٍ فِي سُورَةِ الْقَدْرِ: إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ يَعْنِي كُلَّ الْكِتَابِ - وَ مَا أَذْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، هَذَا فِي سُورَةِ الْقَدْرِ وَفِي سُورَةِ الشُّورَى كَذَلِكَ، وَفِي رَوَايَاتِ أَهْلِ الْبَيْتِ (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) إِشَارَةٌ إِلَى مِثْلِ هَذِهِ الْأَسْرَارِ مِنَ الْمَعَادِلَاتِ الْعَلَمِيَّةِ، وَأَيْضًا فِي سُورَةِ النَّحْلِ: يُنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ، مَتَى تَنْزَلُ الْمَلَائِكَةُ؟ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَيَّ مَنْ يَشَاءُ - لَيْسَ التَّعْبِيرُ أَنْبِيَاءَهُ أَوْ رَسَلَهُ، التَّعْبِيرُ: يُنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَيَّ مَنْ يَشَاءُ مَنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ (١)، لِيَدُلُّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيَّ أَنْ الَّذِي يَنْزِلُ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ وَيَنْزِلُ عَلَيْهِ الرُّوحُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ، هُوَ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ بَعْدَ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ).

إستمراره ليله القدر:

ليه القدر الآن بضروره المسلمين مستمره وتنزل الملائكه وتنزل الروح فهل هناك ارتباط بين الروح وبين نزول القرآن جملة أم لا-؟. سورة النحل تكشف لنا أن نزولهم ليس عبثاً، نزولهم ليس بعبث، نزولهم ليس سدى، وليس لغواً، نزولهم على من؟: على مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ، مِنْ هَذَا الَّذِي أَصْطَفَاهُ اللَّهُ وَشَاءَتْ الْمَشِيئَةُ الْإِلَهِيَّةُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا مُصْطَفَى تَنْزِلُ

ص: ١٤٣

عليه الملائكة والروح كل عام إلى يوم القيامة ؟ ملف النزول الثاني للقرآن يفتح لك أبواب مفصلة عن الإمامه حرجه للطرف الآخر.

فتحصل أن نزول القرآن على نمطين ونوعين ولونين، نمط نزول متفرق للقرآن الكريم بدأ من ثلاث عشرة سنة قبل الهجره وأستمر ثلاثاً وعشرين سنة، بدأ من السابع والعشرين من شهر رجب إلى سنة وفاه الرسول (صلى الله عليه و آله)، هذا نمط فرقاني - متفرق - لنزول القرآن، نزول أصوات وحروف ومعانى القرآن، نمط آخر لا الوقت يسعه ولا الساعات والشهور، بحوث طويله فيه، كما أرشد أئمه أهل البيت فى رواياتهم لذلك، نمط آخر له لون آخر، نوع آخر، من خصائصه أن نزوله بجمله القرآن، هذا النزول من القرآن ليس نزول أصوات وحروف، إنما هو نزول لحقيقه القرآن مرتبط بروح القدس.

فى روايه الفريقين أن رسول الله (صلى الله عليه و آله) قال: «تعلموا القرآن فإنه يأتى يوم القيامة صاحبه فى صوره شاب جميل شاحب اللون فيقول له القرآن: أنا الذى كنت أسهرت ليلك وأضمأت هواجر ك وأجففت ريقك...» (١).

ذاك الشاب قرآن أم فرقان أم ماذا؟ إن كان قرآنا وأعتقدنا أن حقيقته ليست إلا المصحف الشريف، حروف وأصوات، فهذا الذى يأتى فى روايات الفريقين يشهد لمن تلاه ولمن حفظه، من هو هذا؟ هذا مرتبط بالنزول

ص: ١٦٤

١- (١) الكافي ج ٦٠١: ٢.

الثانى، النزول الثانى نزول روح القدس، الروح الأعظم وهو القرآن حقيقه وهو حقيقه القرآن.

علم النبى (صلى الله عليه و آله) وحجته على الإنبياء:

يقول البارى تعالى: تِلْمَكِ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ (١)، والقرآن الكريم يخبرنا بذلك، لنعلم أن الذى يأتينا من سيد الإنبياء (صلوات الله عليه) أحق بالإتباع من الذى يأتينا عن النبى إبراهيم أو عن النبى موسى أو عيسى أو نوح، ولذلك مرت سابقاً فى الآيات قوله تعالى: أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ فى سورة الشورى، يعنى خاص لك يا محمد (صلى الله عليه و آله)، وليس لجميع الأنبياء والرسل، إن أمر الحجية أمر خطير وأحد خواص الحجية أنها حاسمه وتحسم مفترق الطريق بخلاف بقيه المقامات، فمثلاً مقام الشجاعه والكرم واليقين والصديقين والمتوسمين وأهل الفراسه والزهد وأهل الشوق وأهل المحبه وأهل العفاف ومقام الإحسان، تلك المقامات قد لا تكون حاسمه، لأنه قد تراحمها صفه أخرى فضيليه أو ثالثه فضيليه أو قد تراحمها التجنب والوقايه عن صفه رذيليه، فالحسم ليس من الضرورى أن يكون من نصيب تلك المقامات أو من نصيب أصحاب تلك المقامات.

والحجيه ليست فى لقمان مثلاً بل الحجيه فى نفس الدليل المدلل المبرهن الذى يدلى به لقمان، وفرق بين أن تكون الحجيه لنفس لقمان وبين أن تكون الحجيه صفه لما ينطوى عليه ويفيده لقمان، فرق بين أن يكون

ص: ١٦٥

الحجيه للشخص نفسه وبين نفس العمل الصالح وصلاح العمل في نفسه، فميزان الصلاح ذاتي منطبق على العمل نفسه، وكثيراً ما البشر يحصل لديهم امتزاج وخلط بين صفات العامل وبين صفات العمل وبين حكم العمل أو الفعل أو الشيء المعين وبين صفه صاحب العمل أو الشيء، فإن بينهما فرق، وفي لقمان لا يستشهد الباري تعالى بذات نفس لقمان بل يستشهد بالعلم الذي أعطى للقمان من حيث أنه متضمن للبرهان، فالحجيه لنفس العلم بما اشتمل عليه من برهان لا صفه للقمان، وهذا بخلاف ما لو قبل لقمان النبوه لكانت الحجيه له في نفسه.

مثلاً أهل اليقين و السداد والصلاح والنجده والنجابه والكرم، الحجيه لا في ذات أنفسهم بل لنفس ميزانيه ذات العمل من حيث أنه منطبق على الموازين والصفات الميزانيه والفضيليه بلحاظ نفس العمل، ويجب أن نفرق بين المقامات التي تكون الحجيه صفه لنفس الذات وبين الحجيه التي تكون لنفس العلم أو لنفس الصفات الميزانيه، والقران عندما يستشهد مثلاً بمؤمن آل فرعون أو مؤمن إنطاكيا(حبيب النجار) فإنه يستشهد بما تضمن كلامهم من حجج لا بنفس صفه الحجيه لذواتهم.

هدى النبي وعلى:

ومن باب المثال القران يخاطب النبي(صلى الله عليه و آله) فَبِهْدَاهُمْ أَقْتَدَهُ (١)، ولم يعبر الباري فبهم اقتده، والفرق بين الخطابين لأجل أن سيد الأنبياء أعظم

ص: ١٦٦

من إبراهيم وموسى وعيسى ونوح وآدم (عليه السلام) فكيف الأفضل يتبع المفضل. نعم الوحي الإلهي المنزل إليهم الذي هو فعل الله (فِيهِدَاهُمْ أَقْتِدَةً) فالله هو فعل الله فهو يقتدى بهذه الحقيقة التي هي فعل الله تعالى وبما تضمنه هذا العلم الوحياني، لا أنه (فيهم أقتده) فإنهم ليسوا في مقام الحجية على النبي (صلى الله عليه وآله). نعم علم الوحي بأعتباره فعل الله فهو حجه في الوحي فكل الأنبياء بالنسبة إلى سيد الأنبياء ليسوا حجه بل الوحي النازل عليهم هو حجه عليه، والأنبياء حجه على البشر وهذه نكته لطيفة.

مثلاً- أمير المؤمنين (عليه السلام) ليس بحجه على رسول الله بل إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) حجه على أمير المؤمنين (عليه السلام)، وكذلك أمير المؤمنين (عليه السلام) حجه على الحسين وليس الحسنان حجه على أبيهما، وفاطمة (عليها السلام) بناءً على أنها مفضولة لأمر المؤمنين (عليه السلام) فهي ليست بحجه على أمير المؤمنين (عليه السلام) وأمير المؤمنين حجه عليها. نعم علم فاطمة (عليها السلام) الذي تنزل به جبرائيل حجه على أمير المؤمنين (عليه السلام)، ففي عالم الحجج من يكون أعلى يكون حجه على من دونه ولا- يكون من دونه حجه عليه لكن إذا كان فعل الله في البين فهو الذي يكون حجه، فالعالم علمه بعلم مكتسب حجه على العباد وليس ذاته والفرق هو أن الذات إذا صهرت وعجنت بذلك العلم تصير الذات حجه سلوكاً وفهماً ومعرفةً، أما إذا كانت الذات ليست معجونه بذلك العلم كما هو الحال في غير المعصوم وحينئذ تكون تلك الصفة أو ذلك الشيء حجه وليس صفة لزوميه لتلك الذات، لأن تلك الذات يمكن أن تفارق ذلك العلم، وأما عندما تكون نفس الذات حجه فالكمال الذي يكون أكمل من

الشؤون التي عند تلك الذات هي الحجية، والذات عندما تكون حجه فبالتالي الذات في كل مواقفها وسيرتها وإقدامها وإحجامها تكون حجه، أما إذا كانت الحجية للعلم كصفه مكتسبه فالعلم يحتاج إلى من يطبقه ويحتاج إلى من يوزنه أو يعادله بجهات أخرى ولا يصير كل شيء في الموصوف به حجه.

للحجج مراتب:

ونفس الحجج التي مرت لها مراتب وأحد الفتن والامتحانات الشديده العظيمة التي يمتحن الله بها كل العباد هو الإمتحان في المعرفة والبصيره التي تشق الفتنة في المعرفة في مقابل الضلال، هي هذه أشد الامتحانات من إمتحانات الشهوه والغضب والرئاسه ومن كل شيء وإن كانت تلك إمتحانات شديده، لكن الإمتحان في البصيره والمعرفة شديد جداً، وأحد الأمور المهمه في النجاه من إمتحان فتنه المعرفة البصيره هو تمييز الحججه عن اللاحجه، وأمر آخر في النجاه من فتنه المعرفة والبصيره هي شيء أعقد ويخفق فيه الكثيرون هو معرفه مراتب الحجج، وتمييز الحججه عن اللاحجه يمكن لنخبه أن يفرقوا بينهما وهذا بخلاف تمييز مراتب الحجج نفسها فإنه يمتحن به الأنبياء فضلاً عن دونهم حيث يوجد ضلال وإضلال وإفتتان في مراتب الحجج، مثلاً فتنه تشابه دلالة آيه ظنيه يعمل بها مقابل محكم من القران، وقد أمتحن الله تعالى اليهود والنصارى في تمييز حججه الحس عن حججه المعجزه، وجعل إتباعهم للحس ضلال مع أن الحس حجه في نفسه،

ومن أحد مصادر البديهيّات لكن درجات البديهيّات تختلف.

وبعبارة أخرى يمتحن الله عباده في قدره تمييز عقل الإنسان في درجات حجيه البديهيّات: **وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَ لَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ (١)**، فألقى إنعكاس أضواء شبه النبي عيسى وليس هذا سحراً ولكنه حقيقة حسيه لا تكشف عن الحقيقة تماماً كما هي المعجزه، فإن المعجزه حيث قد أخبرهم عيسى (عليه السلام) بدلائل وبيّنات وبراهين أنه باقى إلى دوله آخر الزمان فى خلافه آخر الأئمه المعصومين (عليهم السلام)، وقد أخبرهم بنزوله آخر الزمان فلدّيههم وعندهم علم بنزول عيسى (عليه السلام)، والنبي عيسى (عليه السلام) بنفسه معجزه وما أدلى به من كلام الوحي هو فوق الحس، لكنهم حكّموا الحس على الوحي، وهذا إمتحان وفتنه ومع أن الحس حجه لكنه حججه دون حججه الوحي، ونفس مراتب البديهيّات كما هو مبين فى العلوم العقليه هى مراتب للحجج، مثلاً الأوليات أبده من الحسيّات فمن يتبع الحسيّات ويترك الأوليات سوف يضل، وهذه هى الصعوبه والوعوره والشده، فإن الحججه لها مراتب فإذا أتبع الحججه الدنيا وتركت الحججه العليا فهو الضلال، لأن مساحه الحججه الدنيا حجيتها محدوده فإذا خرجت عن مساحتها إلى مساحه حججه أخرى ولم تتبع الحججه العليا فالآمال إنقطاع الضياء والمصباح والوقوع فى الضلال، وهذه الحقيقة فى نظام الحجج يشير إليها ما فى قول النَّبِيِّ (صلى الله عليه و آله): لو كان موسى وعيسى حين لما وسعهما إلاّ إتباعى ولو اتبعا ما يوحى إليهما وتركا ما يوحى إلى لهويا أو لضلال.

ص: ١٦٩

١- (١) سورة النساء: الآية ١٥٧ .

بمعنى أن حججه ما يوحى إلى سيد الأنبياء أعلى بمراتب من حججه ما يوحى إليهما.

وإمتحان البارى تعالى للأنبياء فى البصيره عظيم جداً وفى معرفه بطون الحقائق: وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (١)، وبتعبير أحد الأعلام أن البارى يقول لا أريد فى الخلافه مجرد مقدس وعابد بل يتأهل لها العالم: وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ (٢) و: كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٣)، فلا علم لهم بالأسماء كلها قال يا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ (٤)، وإن كان لديهم قدس وعباده لكن هذا فى دون ظل العلم. إذاً البصيره فى المعرفه مهمه جداً.

أمتحان النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ:

وفى رحله معراج النبى (صلى الله عليه و آله) وفى خضم تلك الرحله خاض النبى عده إمتحانات وأكثرها فى البصيره وكأنما هى نوع من إرادته البارى أن يبرز للملائكه وطبقاتهم كيف أن سيد الأنبياء نافذ البصيره، مثلاً ناداه هاتف ولم يعتن به بل لم يلحظه وثانى وثالث لم يعتنى به فجاء جبرائيل وقال للنبى (صلى الله عليه و آله) الهاتف الأول الدنيا ولو التفت إليها لطمعت أمتك فى الدنيا،

ص: ١٧٠

١- (١) سورة البقره: الآيه ٣٠ .

٢- (٢) سورة البقره: الآيه ٣١ .

٣- (٣) سورة البقره: الآيه ٣١ - ٣٢ .

٤- (٤) سورة البقره: الآيه ٣٣ .

والهاتف الثانى يهوذا الذى هود اليهود ولو التفت إليه لتهودت أمتك، والثالث بولس الذى نصر النصارى ولو التفت إليه لتنصرت أمتك(١). أى يبعث فيها من يعمل بنفس ما عمل بولس بالنصارى، أما السامرى وعجله فهذا بحث آخر، فهذه عدّه إمتحانات خاضها النبي(صلى الله عليه و آله).

وتفسير كيفية الإمتحانات بذلك أن تمثل الدنيا ليس مجرد تراءى بسيط بل عباره عن تمرکز كل جاذبيات وطاقات الجذب فى الدنيا من أول عمرها إلى بقائها من قوه أنواع مفاتها، فمثلاً قوه جاذبيه كل فتاه حسناء فى الدنيا أجمع فى ذلك الترائى فلو أراد محاسب أن يقدر مدى طاقه الجاذبيه الغريزيه لكل إمراه جميله بل لكل جمال خلاب فى الدنيا ويجمعه فى مركز واحد فكم طاقه جاذبيه ذلك المركز سوف تكون، وكذلك جاذبيه كل مال من ذهب وفضه ونقد كان وكائن وسيكون فى الدنيا تمرکز فى ذلك الترائى، وكذلك جاذبيه حب الأولاد والعشيره فى كل عمر الدنيا تمرکز فى ذلك الترائى وغير ذلك من كل ما للدنيا من قدره وطاقه مفاتن، فتمرکز كل هذه الطاقات والجاذبيات فى ذلك التمثيل والترائى للدنيا واعتراضها بدايات العروج لرسول الله(صلى الله عليه و آله)، ورغم كل هذه الطاقه والقدره فى الجاذبيه لم تستطع أن تؤثر على النبي(صلى الله عليه و آله) بمقدار تسخير لمحّه طرف من لحاظ عينه الشريفه، وأين هذا الإمتحان من إمتحان النبي يوسف(عليه السلام) بزليخا فالفارق لا يقاس ولا يحصى.

ص: ١٧١

وكذلك تراءى بولس ويهوذا فهو عباره عن تمرکز قوه فتنه كل الدجل وفتنه التشابه في كل المتشابهات ومع ذلك فلم تستطع أن تؤثر بمقدار اختطاف لمححه من توجه خواطر النَّبِيِّ (صلى الله عليه و آله) وبصره، فمثلاً لاحظ التخيل بالسحر الذى حصل فى مواجهه النبى موسى (عليه السلام)، وجاذبيه قدره السلطان فى إستعراض الخيل الذى إمتحن به النبى سليمان (عليه السلام)، وفتنه التحكيم الذى كانت فى إمتحان داود (عليه السلام)، وإمتحان إبراهيم بذبح إسماعيل (عليه السلام).

وغير ذلك من فتن فى إمتحانات الأنبياء متفرقه مختلفه لكنها تجمعت وتمرکزت فى ذلك الترائى والتمثيل فى الاعتراض الثلاثى الذى واجهه سيد الأنبياء وعند بدأ عروجه (صلى الله عليه و آله) إلى السماء.

قُرْبَى النَّبِىِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ:

وهناك نكته يشير إليها القرآن وهى أن العدالة فى الأرض بكاملها وتامها لا تسود ولا تتحقق إلا بقربى النبى (صلى الله عليه و آله) دون غيرهم من المعصومين من الأنبياء والرسل: هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ (١)؛ ولم يمنح البارى ذلك التعبير فى حق النبى عيسى ولا- موسى ولا- إبراهيم (عليه السلام)، كما يقول بعض المحققين من أهل المعنى لأن المسؤولىه عندما تكون ثقيله والعبء العلمى والتدبير العلمى والعملى كبير باهض يتكئد الكاهل فيراد لها عصمه شديده، ومن

ص: ١٧٢

ثم يخصص القران هذا المنصب والمقام لإقامه العدل الإلهى فى كل أرجاء الأرض بقربى النَّبِيِّ (صلى الله عليه و آله) فى قوله تعالى: وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ، الثروات العامه بل كل ثروات الأرض: مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَاللِّرَّسُولِ وَ لِتَدِي الْقُرْبَى وَ الْيَتَامَى وَ فَتدبيرها بيد الله والرسول وقربى النبي تدبيرها إلى يوم القيامة لا بيد النبي عيسى الذى سينزل من السماء ولا إلياس ولا إدريس والخضر من الأنبياء الأحياء على الأرض بل خاصه لقربى النَّبِيِّ (صلى الله عليه و آله) مع أن سائر الأنبياء كإبراهيم وموسى ونوح وغيرهم سيرجعون إلى الدنيا فى مرحله الرجعه من عمر آخر الدنيا قبل يوم القيامة والمعاد الأكبر، وقد علل القرآن هذا التخصيص كئى لا يَكُونُ دُولَهُ بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ (١).

فالفارق الطبقي الفاحش والإقطاع الفاحش والأستبداد... الخ، والعداله لا تتم إلا بإسناد ثروات الأرض بيد ذى القربى، مما يدل أن علم النبي عيسى (عليه السلام) ليس بذلك المستوى بأن يقيم نظام سياسه نقديه عادله، أو نظام سياسه مصرفيه عادله، أو نظام سياسه زراعيه، أو إقتصاديّه، أو تجاريه عادله تتحكم فى القدرات الأخرى، كما نشاهد الآن طاقات تسليح المعلومات مؤثره فى أداره نظام الماليه والمصرفيه والاقتصاديّه مع أن البشريه لازالت تعيش فى عقدنا المعاصر الراهن أزمه اقتصاديه حاده عاصفه فهاهم منظرى نخب الخبره البشريه فى المال والنقد والمصرف والاقتصاد والتجاره قد عجزوا عن تنظير نظام عادل فى هذه الحقول فضلاً عن مقام التطبيق والتنفيذ وهذا بعد أن جربت البشريه النظرية الشيوعيه والاشتراكيه

ص: ١٧٣

والرأسماليه ونظام السوق الحر ونظام التجاره العالمى الموحد ونظام البورصه. فالبشرية لازالت عاجزه عن تنظيم نظام عادل فى هذه الحقول فضلاً عن أن تجد آليه ضامنه للعدل فى التطبيق، فالبارى يقول هذه العدالة على وجه الأرض بنحو كامل تام يهيبى لها طبقه خاصه من المعصومين (عليهم السلام).

ومن ثم كان بعض الأنبياء نبوته بحدود أسرته بمعنى أن حدود عصمته تؤهله لهدايه أسرته، وبعض الأنبياء لحيه وبعضهم لبلده أو لبلدين: وَ أَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ (١)، أما قوله: وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ (٢)، فهذا يحتاج إلى سؤدد وعصمه شديده، إذاً العصمه درجات وبحسب كاهل المسؤوليه والعبء، وهذا بنفسه برهان على أن أوصياء سيد الرسل هم أفضل من أنبياء أولو العزم، لأن رساله سيد الرسل مسؤوليتها للعالمين وإلى يوم القيامه فهى أطول الشرايع وأكبر المسؤوليات فوصيه يكون اكبر مقاماً من الأنبياء الآخرين، لأن دائره المسؤوليه عظيمه وكبيره بنفس البيان.

منازل القرآن:

إذاً للقرآن منازل غيبية وليس القرآن الكريم منزلته ومقامه محصور بما بين الدفتين كى يقول القائل (حسبنا كتاب الله) لأين الكتاب ليس ينحصر مقامه فقط بما بين الدفتين، بل له منازل غيبية أخرى، وأحد المنازل الغيبية

ص: ١٧٤

١- (١) سورة الصافات: الآيه ١٤٧ .

٢- (٢) سورة الأنبياء: الآيه ١٠٧ .

للقرآن الكريم هي قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي (١).

مع أن الكلمات الموجودة في المصحف الشريف تعدادها محدود محدود وكذلك الآيات والسور، بينما القرآن الكريم يقول الكلمات لا تنفذ ولا تنقطع، لذلك يتوهم هذا القائل أن النبي يتلقى شيئاً محدوداً لأنه لم ولن يعى أى منزل من منازل القرآن الكريم، فإن المنزل العلوى الذى تلقاه النبي (صلى الله عليه و آله) لا يزال يرفد وينهل ويمد العلم البشرى، وهذا سنخ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي فإن الكلمات جمعها كلام، والكلام جمعه فى الكتاب.

وفى آيه أخرى قوله تعالى: وَ لَوْ أَنَّ مَا فِى الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَ الْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ٢ .

فتبين أن هذا الذى بين الدفتين من المصحف الشريف العظيم المقدس هو أنزل منزله من منازل القرآن الكريم، فإن للقرآن منازل ومقامات عديده جداً، بعضها موصوف بأنه لا محدود، لا متناهى، لا ينقطع، ولا يستوعبه عالم المادة، وإنما يستوعب عالم المادة شيئاً فشيئاً من عالم الملكوت، وأهل البيت (عليهم السلام) هم الذين يبنون هذه البراهين والدلائل والحقائق، والقرآن يفصح عن حقائقه بدعامه وإرشاد أهل البيت (عليهم السلام) للأمة و ما يَعْلَمُ

ص: ١٧٥

تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَ الرّٰسِخُونَ فِي الْعِلْمِ (١).

فكما يجب الأخذ بتنزيل القرآن يجب الأخذ بالتأويل الحق لا التأويل الهلوسى الذوقى. فالتأويل الحق الذى لا يعلمه إلا الله والراسخون فى العلم من هذه الأمة، والذى أفصح عنه القرآن الكريم ب(لا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ) فحججه التأويل من المطهرين فى هذه الأمة كحججه التنزيل وكلها روافد نازله من المنازل والمقامات العلوية للقرآن الكريم، ولذلك ورد أن فى كل عام من شهر رمضان فى ليله القدر ينزل تأويل للقرآن الكريم، وقد أصبح للنزول ١٤٣٥سنة وهذا يعنى أنه نزل للقرآن (١٤٣٥) تأويل، لا ينفد ولا- ينقطع ولا- ينتهى، ومن هنا فإن هذا القائل بحسبنا كتاب الله أو المتسائل لم يع ولم يعرف ولم ينتبه إلى منازل القرآن الكريم، ولو فهم هذا لما قال أن ما تلقاه من النبى(صلى الله عليه و آله) محدود ومحصور بحسب عدد السور والآيات والكلمات.

إذن للقرآن الكريم منازل غيبية غير محدوده، وليس لها لون من تربه الأرض زمكانيه أو جغراقوميه كى تتسمى بتسميه معينه بل هى من عالم الأمر فلا تتلون بالجغرافيه.

علم المعارف والفقه:

فى بحوث علم المعارف ليس من قبيل موازين البحث فى علم الفقه والفروع، من قبيل العام والخاص، والخاص يقيد العام وهكذا، فإنه لا

ص: ١٧٦

تطابق تام بينهما بين موازين البحث الفقهي فى الفروع وموازن البحث فى المعرفه، ولكن هناك قواعد فى البيان، فى الآيات، فى العموم والخصوص، المجمال والمبين، المحكم والمتشابه، فلا- يمكن لنا أن نحس البحث العلمى فى بحث الفقه والفروع فقط، بل هناك معادلات وموازن فى المعارف يجب أن يبحث فيها ويدلل عليها ولها ومنها تتفرع قواعد أخرى يجب الخوض فيها.

وكما يجب على طالب العلم أن يدمن البحث فى الفقه والأصول كذلك يجب عليه أن يدمن طيله حياته فى البحث عن المعارف، والباب فيها- المعارف أوسع فأوسع، لأنه لا يتم ولا يستنفذ، فإن إصابه الحقيقه واستقامتها بتوسط العلم يراد له مكابده، وبحث، وتنقيح، وتحرى، وتحرير، وتفصيل، وبيان، وبسط.

أما إذا بات فى السين تكاسل وتهاون فسوف تصبح تلك البحوث دائماً مبهمه ومجمله ومن ثم يدب التشابه والإثارات، والمغالطات، والإنحرافات.

ولذا فإن أحياء العلم ضرورى فى فقه الفروع وفى فقه الآداب - الفقه الأوسط - من الرياضات الشرعيه للروح من سير وسلوك وتهذيب النفس وغيرها، وفى الفقه الأ-كبر الذى هو المعارف وهُو الأعظم، فإن هناك تلازم بين هذه المقامات الثلاثه، الفقه الأ-كبر، الفقه الأوسط، الفقه الأصغر، فإن أحدها بدون الآ-خرين يسبب تخبط أو غفلات، ويسبب نوع من التشويشات، والتشابهات.

ومن يريد الغور فى هذا العلم لا يكفى يوم ولا يومين ولا سنه ولا سنتين، ولكن يدأب عمره كله.

هناك جملة من الباحثين وربما بعض المتكلمين من الأديان والملل والنحل، يتبنون هذا الرأي، وهو أن كتاب التوراه - الأصلية وليست المحرفة الحالية - هو من إنشاء النبي موسى (عليه السلام)، هكذا يظنون ويزعمون، مع أن نظام الآيات القرآنية واضحة لرد هذا الإدعاء، لأن النبي موسى (عليه السلام) تلقى الألواح، وهذه الألواح - كما مرَّ سابقاً - فيها تفصيل من كل شيء، حيث مكتوب فيها التوراه بالكامل، فكيف يكون إنشاء من النبي موسى (عليه السلام).

وهذه الشبهه أيضاً وردت على كتاب الإنجيل من أنه من إنشاء النبي عيسى (عليه السلام) وكذلك الزبور أنه من إنشاء النبي داوود (عليه السلام).

ونظير ذلك زعم البعض ولا أقول الكل من أهل السير والسلوك أو العرفان أو التصوف من أن القرآن الكريم كذلك، أي أنه من إنشاء النبي (صلى الله عليه وآله)، والآيات القرآنية تفند مثل هذه المقالات، فهي كتب سماوية وكلام إلهي نازل على الأنبياء، إن هذه المزاعم والإثارات والشبهات تثار الآن بثوبها الجديد وبصياغه جديدة، حيث أنها ترجع إلى بحوث قديمه ولكن بتغيير من البيان.

الصدق الفعلي والفاعلي:

إنَّ الصدق عموماً كصفه أو كفعل أو ممارسه كيف يمكن أن نتصورها، ومن الطبيعي هناك صدق في الفعل في حد نفسه، ويسمى بالصدق الفعلي،

وهناك صدق بحسب تعمد الفاعل للقيام بأخبار صادق ويسمى بالصدق الفاعلى، فربما شخص عادل مستقيم السيره، مؤمن من المؤمنين أو مسلم من المسلمين، صادق اللهجه يخبر عن شىء هو خلاف الواقع، ولم يكن متعمداً فى الإخبار بخلاف الواقع، بل اعتمد فى أخباره على مستند معين معذور فيه، بل إن البيئات الشرعيه قامت لديه بخبر معين، فهو يخبر بمدلول ذلك الخبر، هنا حسب الاصطلاح يقولون من جهه الفاعل الذى هو المخبر المؤمن عنده صدق فاعلى، يعنى من جهه الفاعل المخبر لم يتعمد الكذب، لأنه استند فى أخباره لشىء معذور فيه، فقد سلك موازين متاحه له، ومعذور ومجاز فى الاعتماد عليها، ولكن منجهه المقوله الخبريه ينقلب الواقع، فهذا صدق فاعلى ولكنه كذب خبرى.

فلو كان فالشخص لا- يتأهل لموقع من المسؤوليه فى النظام السياسى - مثلاً- أو الاجتماعى، أو القضائى، وعنده كفاءه من العداله وكفاءه علميه، ولا تكفى الكفاءه من الجانب العملى أن يكون عادلاً، بل لابد أن تكون لديه كفاءه علميه أيضاً، ولكن كفاءته العمليه إلى درجه وكفاءته العلميه إلى درجه، من قبيل قوله تعالى إِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيَّ الْأَمِينُ (١)، فإنه أمين من جانب وقوى على إداره الشؤون والتدبير جانب آخر.

ومن قبيل قوله تعالى قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ (٢)

ص: ١٧٩

١- (١) سورة القصص: الآية ٢٦.

٢- (٢) سورة يوسف: الآية ٥٥.

فإنه أمين من جانب وذو علم من جانب آخر.

ومن هنا فالمؤمن العادل إذا قام بأخبار ما، وكان قد أستند إلى مستندات وهذه المستندات قد تصيب وقد تخطيء فما هي الضمانه للصدق دائماً؟!

فربما نفتقد الضمانه الدائمه المطابقه للواقع، لأن هذه المستندات وإن كان معذوراً هو في الإستناد إليها لكنها لا تؤمن الضمانه الدائمه للصدق.

وبتأمين الضمانه الدائمه للصدق لابد أن تكون منابع العلم منابع منفتحه على الواقع، فلا يمكن أن تتخطى الواقع ولا الواقع يمكن أن يتخطاها.

ومن هنا فالصدق الخبرى لا يمكن أن يقرر بنحو الديمومه والثبات إذا لم تكن المنابع العلميه محيطه بالواقع.

وبعباره أخرى الصدق الخبرى ليس فقط يؤثر فيه الصفات العمليه للإنسان أو للمخبر وبل للصفات العلميه دور رئيسى أكبر أيضاً.

فيتضح أن المنبع العلمى الذى يستند إليه المخبر إذا لم يكن محيطاً وتاماً بالواقع فلا يؤمن الصدق الدائم، وهذه الحيشه تعنى أن الدرجه العلميه للمخبر مؤثره بشكل ركنى وبنوى فى صدق الصادق، ولذلك - مع احترامنا وتقديرنا لكل من يتسمى بعادل - فإن العادل ليس هو صادق دائماً، وإن لم يتعمد هو الكذب، ولكن الأمر والحال تلقائياً يقع فى الكذب،

لأن العادل مهما بلغت عدالته وتقواه فليس لديه منابع علميه يمكن أن تحيط بالواقع، وهذه القضية ليست فقط لشخص العادل وإنما هي ساريه في كل أصحاب العلوم.

مثلاً- خبير فيزيائي أو كيميائي أو في أى علم من العلوم الأخرى، لا يمكن أن يقدر لذلك العالم أن يكون صادقاً أو واقعياً في أحكامه وأخباره دائماً، لأن هذا الركن الأول ليس له خبره فيه وهو أن يكون منبع العلم لديه منبعاً علمياً محيطاً بالواقع.

علم الأنبياء:

ومن هنا نأتى إلى بحثنا وهو أن الأنبياء إذا لم يكونوا على درجه من العلم اللدنى المحيط بالواقعيات، لا يمكن أن يؤمن فيهم الصدق بنحو دائم، دع عنك الآن الصدق الفاعلي، فالصدق الفاعلي في الراوى العادل صدق فرض نهايه، وهو بحسب روايته وسلوكه في عدم تعمد الكذب وإن كانت كل روايته كذباً من حيث لا يشعر، ولكن وليكن كلامنا الآن في الذى لا يصدر منه كذب، لأنه بحسب المقوله والمقال والقول لا تكون مقالاته وإخباراته وآرائه مخالفه للواقع أى تؤمن المطابقه.

فتبين أن الصدق بحسب الخبر وبحسب القول والمقال لا- تظنن أبداً أنه يؤمن بحسب الصفات العمليه الصحيحه لدى القائل والمقول. فإن الركن الركين أن يكون مستنده العلمى منفتحاً، متسعاً، محيطاً بالواقعيه على سعته، فلو لاحظنا رواه الأخبار سواء عند الفرق الإسلاميه أو فى الفرق

والممل والنحل الأخرى، فالراوى لأى كان إنتمائيه كيف يؤمن حجيه خبره، وإن كانت الحجيه عند الجميع لاتصل إلى اليقين، بل تصل إلى الظن. ولماذا حجيه العابد الصالح العادل تصل إلى الظن ولا تصل إلى اليقين؟!

هناك عدده زوايا وعدده حيثيات لابد أن تؤمن بشكل ظنى كى نصل إلى الحجيه الظنيه فى الخبر، وهذا حتى فى الأحكام والقوانين الوضعيه، فعندما يأتى شاهد أو شاهدان أو شهود فى محكمه قضائيه أو فى خصومه معينه، هناك زاويه من الزوايا ألا وهى زاويه الاشتباه، مستند هؤلاء الشهود والرواه للتراث الدينى الإسلامى أو غير الإسلامى هناك زاويه تسمى بالاشتباه أو الغفله، كيف تؤمن أن هؤلاء الشهود، أو الرواه، أو المخبرين لم يغفلوا، تؤمن ذلك من خلال الحس، بل إن المستندات اليقنيه على درجات فى علم المنطق وعلى مراتب منابع اليقين من أوليات، وجدانيات، حسيات، حدسيات، ومتواترات حسب درجات، لأن حدود اليقين فى هذه المراتب له مديات مختلفه، مثلاً الحس له دائره معينه ووراء هذه الدائره، لا يورث الحس اليقين بل الظن، هو وراء هذه الدائره كمأ ومساحه، أو فى هذه الدائره كيفاً، ومن باب المثال المصباح المشتعل مثلاً، له دائره ينير فيها، ووراء هذه الدائره يكون الظلام ويتسلط هذا الظلام على نور هذا المصباح، وراء هذه الدائره المعينه فرضاً إلى عشره أمتار أو عشرين متر لا إضاءه له.

إذاً قوه هذا المصباح كمأ، مساحه إلى مائه متر من حيث الكم لا من حيث الكيف وإذا أردت أن تنظر فى نور هذا المصباح الذى أمامنا فلا

نستطيع أن ننظر به إلى أشياء ناعمه جداً مثل أجزاء الساعة اليدويه، بل نحتاج إلى نور أقوى كيفاً.

فلاحظ هذا المصباح نوراً ذا مائه وحده طاقه ولكن له كيفاً حاداً في دائرته، ومدى محدود يجلب لك الحقيقه كيفاً وكماً ومساحه ، فليس لديه سعه لا محدوده من جهه الكيف وليس لديه سعه لا محدوده من حيث الكم، وهكذا الحجج الإلهيه فإن لها مراتب.

الحس الكاذب:

فالمستند العلمى ولو كانت صورته يقينيه إلا أن هذا اليقين ليس له سعه كماً وكيفاً بنحو لا محدود، هذا لو كان المستند هو من منابع اليقين، فكيف لو كان المستند من منابع ظنيه، فالحال سوف يكون أضعف وأضعف.

ومن خلال هذا يتضح أن أخبار العدول أو الثقاه غالباً ما تكون حجته ظنيه، وإلى مراتب المنابع فى الإدراك وفى مستندات العلم ومحدوديتها نرى الإشاره فى الكتاب الكريم وأنه تعالى عَزَّ وَجَلَّ يَخْطِئُ النَّصَارَى وَالْيَهُودَ فِي دَعْوَاهُم، أن النبى عيسى قتل مع أن مستندهم كان هو الحس وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (١).

ص: ١٨٣

وهذا الحس تشبيهه بترائي الشبيه بالحقيقه حيث ألقى الله مثال النبي عيسى على الشخص الخائن الواشى فاشتبه الحال على اليهود والنصارى، وهذا ليس بسحر منه تعالى بل هذه كرامه إلهيه بأن يحجب أبصارهم عن رؤيه ذلك الرجل بحقيقته.

ومن باب المثال على الحس الخاطي، أنك إذا نظرت إلى أى شارع معين يمتد إلى الأفق أمامك وإذا أمعنت النظر إلى نهايه الأفق سوف ترى أن ضفتي هذا الشارع ملتصقتين مع أنك تجزم بعقلك أنهما ليس ملتصقتين بينما الحس يريك عكس ذلك، وهذا دليل على أن الحس يخطأ، فالحس له مجال وأفق معين من الصدق وما وراءه يخطأ.

مثال آخر، لو كانت هناك شعله ناريه بيد شخص ما وكان هذا الشخص يدير تلك الشعله بقوه فسوف يترائي لك أن هناك حلقة ناريه بيد ذلك الشخص الذي يدير الشعله بيده، بيد أنها ليست حلقة بل هي شعله واحده لكن توالى صورته الشعله على العين بسرعته تتألف منها حلقة ناريه، وهذا خطأ حسي أيضاً.

ومناشئ الحس الخاطي التي ذكرها كثيره سواء كانت عن طريق البصر أو غيره كما في الهندسه، ولذلك لا يعتمد البحوث الهندسيه العملاقه على مجرد الحس وإلا لفشلت في كثير من إنجازاتها، ولما كانت إنجازاتهم مؤمنه ومضمونه بالسلامه، لأن الحس لا يضبط أكتاف المشهد الخارجى بتمامه.

ظاهرة أخرى نذكرها في الاخبارات والمقولات، وهي أن الراوى الفقيه في الفروع مثلاً عندما يروى الروايه التي عن النبي (صلى الله عليه وآله) أو عن الأئمه (عليهم السلام) يكون ضبطه للروايه أكفأ من الراوى غير الفقيه، ولذلك تكون روايه الأئمه هي المقدمه في الترجيح بين الروايات عند التعارض والتنافى.

وهكذا الحال بالنسبه إلى الراوى الذى يخوض فى باب المعارف، فإن ضبطه لنكات المعارف فى الروايات الصادره عن بيت النبوه والعصمه أضبط من غيره حتى من فقهاء الرواه فى الفروع، وهذا ما شاهدناه بالاستقراء وفى موارد كثيره.

فإن تخصص الرواه مؤثر فى ضبطهم للأحاديث الصادره عن المعصومين (عليهم السلام) وهذا يدل على أن الأهليه العلميه التي يمتلكها الراوى فى مجال ما يرويه مؤثره جداً، وهذه نكته علميه يجب الالتفات إليها.

ومن ذلك تنقش الغفله فى مقوله كثير من تقديم روايه الراوى الجهبذ والثقه العين النيقد فى الفروع، فى المعارف، فى الدلاله والحجيه على روايه الراوى الذى يروى روايات المعارف، وأن هذا القول ليس صحيحاً، لأن الراوى المحترف فى روايات المعارف تكون روايته أضبط من غيره فى المعارف لأن المجال والاختصاص اختصاصه ومجاله، وللأسف الشديد أن هذه الضابطه متروكه فى علم الرجال تماماً إلا- من المحققين فإنهم التفتوا إلى هذه المسأله وفى المسأله فائده عظيمه فى البحث العلمى.

فالمستوى العلمى لدى الراوى يؤثر طرداً فى صدقه وضبطه واتقانه للمتن فى المجال الذى يخبر عنه ويروى فيه.

حقيقه صدق النبوه:

ومن هنا نفهم معنى ومنشأ صدق الأنبياء ولا- سيما سيدهم (صلى الله عليه و آله) إذا كان يخبر عن غيب الغيوب وعن شؤون الملكوت المختلفه والمفروض أن إخباره صدق مطلق منه (صلى الله عليه و آله)، حيث أن له إحاطه علميه حضوريه بتلك العوالم فيكون صدقه بأصدق إطلاق ناشئ من نفوذ علمه وإلا فكيف يكون له قدره إفهام للبشر ولا يكون له قدره على الصدق المطلق، وهذا التعريف لحقيقه صدق النبوه يختلف عن التعريف التى تستعرضه جمله من الكتب الكلاميه -ولا أقصد الكل - حيث تصور أن الأنبياء مثل حافظه الصوت يخزنون ما يصل إليهم صوتاً ثم يبلغوه يعنى كالرواه وهذا لا يمكن تصوره فى الأخبار عن هائل من المعلومات وهول من الحقائق والعوالم من دون أن يكون ضبط علمى محيط بالمعلومات.

تفاوت هيمنه الكتب السماويه:

وإذا أردنا أن نخوض فى هذا البحث غوراً قليلاً- وببسط أكثر فنقول، لماذا كتب الأنبياء (عليهم السلام) تتفاوت هيمنه وعلواً وإحاطه عن بعضها البعض، مثلاً- القرآن الكريم يوصف بأنه مهيمن على الكتب السماويه كلها وَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَ مُهَيِّمًا عَلَيْهِ (١)

ص: ١٨٤

وكذلك التوراه تختلف عن الإنجيل، والإنجيل يختلف عن صحف إبراهيم، وصحف إبراهيم تختلف عن صحف موسى وهكذا. فلماذا هذا الاختلاف.

قد يقال أن سبب هذا الاختلاف بلحاظ الشرائع أو اعتبار تدرجيه التشريعات الإلهيه.

ولو أردنا أن نتعمق أكثر نسأل نفس هذا السؤال حول العلوم والمعلومات العقائديه، لأن العقائد لا يمكن أن تنسخ بين نبي ونبي آخر، لأن الدين لا نسخ فيه إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ (١)، وَ مَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ (٢)، وإنما النسخ يكون فى الشريعة أو المنهاج لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَ مِنْهَاجاً (٣).

إذن الدين واحد وهو عبارته عن مكونات العقيدة التى لا نسخ فيها، ويتضمن أيضاً أركان الفروع التى هى الشريعة والمنهاج، فلماذا تفاوت الأنبياء فى بيان المعارف والتى هى حقائق عن العوالم والكونيات؟!

ونحن نعلم أن الموحى الأصلى وهو الله رب العالمين مرسل لكل الأنبياء، فمن جهة القنوات الإلهيه فى قدره الله سواء وعلى حالها ولا اختلاف فيها لجميع الأنبياء، فما هو سبب هذا التفاوت؟

إن التفاوت المذكور صار وأصبح بسبب نفس مستويات الإحاطه

ص: ١٨٧

١- (١) سورة آل عمران: الآية ١٩.

٢- (٢) سورة آل عمران: الآية ٨٥.

٣- (٣) سورة المائدة: الآية ٤٥.

الحضوريه لتلك الرسل والأنبياء، وهذا ما أشار إليه قوله تعالى تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ (١).

وهذا ليس كما يفسره أصحاب الإثارات والشبهات، من أن الأنبياء يبلغون عن الواقعيه وعن البارى تعالى بمقدار تلوينات ذواتهم لتلك الحقيقه - والعياذ بالله - بل الحقيقه هو اختلاف مقاماتهم كمرايا من جهه ومن جهه الإحاطه الحضوريه لعروج ذواتهم إلى غير ذلك من الجهات فى أنواع وحى النبوه.

فى المرآه أسرار:

فى حديث طويل قال الإمام الرضا(عليه السلام) وهو يحاور عمران الصابى: ... ألا- بالله أخبرنى عن المرآه أنت فيها أم هى فيك؟ فإن كان ليس واحد منكما فى صاحبه فبأى شىء استدلت بها على نفسك يا عمران؟

قال: بضوء بينى وبينها، قال الرضا(عليه السلام) هل ترى من ذلك الضوء فى المرآه أكثر مما تراه فى عينك؟ قال: نعم، قال الرضا(عليه السلام): فأرناه فلم يحر جواباً، قال: فلا أرى النور إلا وقد ذلك ودل المرآه على أنفسكما من غير أن يكون فى واحد منكما (٢).

فالمرآه بقدر صفائها تعكس النور أكثر فأكثر، والآيات الإلهيه تختلف

ص: ١٨٨

١- (١) سورة البقره: الآيه ٢٥٣.

٢- (٢) عيون أخبار الرضا للصدوق ج ١٥٣: ٢، ب ١٢.

عن المرايا لأنه هناك آيات كبرى وصغرى وآيات أكبر من الكبرى حسب بيان القرآن الكريم: لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى (١).

فهذه العلامات وهذه المرائى تختلف درجاتها مما يدل على أن ما يبلغه الأنبياء (عليهم السلام) لا بُدَّ أن يكونوا قد أحاطوا به علماً ومن ثم يبلغوه، وإلا فكيف يكون هناك ضبط وإتقان وصدق فعلى وصدق فاعلى، والضبط - كما مرَّ - يعنى الصدق الذى لا يتكىء على ركازه واحده، بل لابد أن يتكأ على الجانب العلمى.

حاكمية الفىء والطبقات المحرومه:

ومن باب المثال، فى آيه الفىء ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فَلِلَّهِ وَاللرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ (٢) والفىء عند المسلمين هو ثروات الأرض، يعنى أن إداره الفىء، وحاكمية الفىء، وولايه الفىء إلى الله عزَّ وجلَّ وللرسول (صلى الله عليه وآله) ولذى القربى (عليهم السلام) لأن اللام هنا لام ملكيه التدبير والإراداه والتمكين أى لام الولايه، (فَلِلَّهِ وَاللرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ) فقد تكررت هذه اللام فى الثلاثه الأولى، ولم تتكرر فى (وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ) أى الطبقات المحرومه، فلماذا هذا التخصيص للام بالنسبه إلى الملكيه خاصه فى (فَلِلَّهِ وَاللرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ) دون الطبقات المحرومه؟!

ص: ١٨٩

١- (١) سورة النجم: الآيه ١٥.

٢- (٢) سورة الحشر: الآيه ٧.

هنا يجب على ذلك مفاد الآيه الشريفه أى (كئى لا- يَكُونُ دَوْلَهُ بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ يعنى كئى لا- يحتكر الأغنياء أو الطبقات الغنيه والمرفهه أموال الأرض فى يدها ومن ثم سوف تظلم باقى الطبقات المحرومه، ومن هنا فلا بد من إسناد ولايه تدبير أمور الأرض إلى قربى النبى (صلى الله عليه و آله) بالأسباب كئى تنتشر وتفشو العداله فى الأرض من العداله الاقتصاديه والنقديه، وكذلك العداله فى القدره التى تؤمن العداله فى كل مجالات الحياه من المجال السياسى والاقتصادى والأمنى.

علاج الأزمه الاقتصاديه المالىه بيد ذوى القربى:

فلا بد من وجود برنامج علمى فى السياسه الاقتصاديه العادله التى تؤمن قانون عادل مالى اقتصادى تجارى زراعى ضريبى جمر كئى فى كل أصعده الاقتصاد، ولو نلاحظ الآن الأزمه الحاليه فى أمريكا وفى كل العالم، وقد عجز منظرو الرأسماليه، ونظام السوق الحره، ونظام التجاره العالمى الموحد، ونظام البورصه عن الوصول إلى تنظيم عادل ومعالج للأزمه، والنظام الاقتصادى المالى قد مر بمراحل وتطور كثيراً وآخر ما وصل إليه هو نظام (السوق الحر)، وهذا النظام أثبت فشله، لأن عصابات الأموال سرقت كل ودائع البشر والشعوب الموجوده فى البنوك.

وبعباره أخرى الشيوعيه أتت وفشلت كتنظير فضلاً عن التطبيق، وهكذا الاشتراكيه والرأسماليه كتنظير وتطبيق أيضاً فشلتا، وأثبتت البشريه عجزها وحيرتها فى التنظير فضلاً عن مرحله التطبيق كعمل، بل كنظام

نظري قانوني يؤمن العدالة البنكية والمصرفية وعدالة البورصات وعدالة توزيع الأموال وحركتها، بل وكذلك عداله الصناعه والزراعه والدول في تنافس زراعى وصناعى وفي خضم هذا التنافس دوله تدمر أخرى وتدمر شعوب أخرى بسبب هذا التنافس، وهناك ملفات وحوادث كثيره لو أراد الباحث أن يتتبعها، ولهذا ترى الدول العظمى تدعوا إلى مؤتمرات دوليه لرسم قواعد جديده فى النظام المالى يتناول فكرهم فى مثل هذه الأزمات (كَيْ لَا يَكُونُ دَوْلَةٌ بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ) وهذه ملحمه قرآنيه ذكرها البارى منذ أربعة عشر قرناً وإلى يوم القيامة، والقرآن يتحدى البشريه فى هذه الملحمه من أنه (لم ولن ولا) تتحقق العدالة حتى على المستوى النظرى للبشر إلا بقربى النبى (صلى الله عليه و آله) ما أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَاللِّرَّسُولِ وَ لِلَّذِي الْقُرْبَى وَ الْيَتَامَى وَ الْمَسَاكِينِ وَ ابْنِ السَّبِيلِ فخصص الله تعالى ولايه أموال الأرض إلى قربى النبى (صلى الله عليه و آله) وعلل ذلك بقوله تعالى (كَيْ لَا يَكُونُ دَوْلَةٌ بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ) وليس التخصيص هنا من باب العصبية أو القبليه بل للتعليل المذكور.

وهذا تحدى واضح لكل البشريه حتى لو زعم أحدهم الاستمساك بالقرآن من دون أهل البيت (عليهم السلام) لن يستطيع أن يرسم للبشريه أى نظام عادل دون قربى النبى (صلى الله عليه و آله) فضلاً عن عدم ضمانه التنفيذ والاجراء.

وهذا مما يدل على أن العدالة تحتاج إلى دعامين، دعامه منبع علمى هائل تستطيع من خلاله أن تؤمن نظام قانونى لا يشذ عنه أى شىء فى رسم العدالة، من قبيل العدالة الزراعيه والعداله المصرفيه والنقديه، وعداله

التسويق والبورصات والضمان الاجتماعى وغير ذلك من الانشعابات الأخرى، والدول العالميه لم تستطع أن تقطع الطريق أمام طبقات الأغنياء فى أن لا يمتصوا المال العام أو الخزينه الوطنيه لأموال الشعب، ونرى كل ما يرسم من نظام معين تظهر على الخط طبقات الأغنياء بطبقه فاحشه لتستولى على موارد الفقراء، فالبشرية فى حيره وقلق مستمر من رسم نظام عادل، وبكل صراحه فإن المدارس الإسلاميه لم تستطع أن تنظر معارف الإسلام العظيم بما يحمل من أسس، وبما يحمل من حظر ومحظورات على الغدد السرطانيه فى الاقتصاد من الربا والاحتكار والمعاملات التمويهيه التبادليه (أكل المال بالباطل) التى تسمى بمسميات مختلفه كغسيل الأموال من تحريم القمار واللهيوات، فهذه عده محاور حرمها القرآن الكريم، بعنوان أنها غدد سرطانیه فى عالم الاقتصاد، وإلى الآن لم يرسم فقهاء المسلمين نظاماً قانونياً بشكل تفصيلى عادل من القرآن الكريم والسنة النبويه بحيث يجذب كل أنظار البشر.

إن الذى يستطيع أن يرسم هذا النظام العادل هو عدل القرآن والعليم بالقرآن، ولا يكفى فى القدره على ذلك كون الشخص مديراً صادقاً وعادلاً ونيته عادله ولديه إرادته مخلصه من دون أن يكون لديه علم محيط كفوء يرسم ليس فى بقعه من البلاد بل للكره الأرضيه نظام تجارى أو مصرفى أو زراعى أو صناعى أو جمركى (ضريبي) عادل؟! فلا بُدَّ من وجود العلم المحيط، وهذا التاريخ للإقتصاد والنظام البشرى كله عبارته عن شهادات فى التجربه للتاريخ البشرى ونداءات تلح وملحه تطالب

بصاحب العلم المحيط، فإن لم نصل إلى الشخص والشخصيه ذات العلم المحيط لم يمكن أن ترسم ولا يكتب نظام تلك العدالة والموصوف في القرآن الكريم (كى لا يكون دوله بين الأغنياء).

الأمانه فى النقل:

ويؤثر فى أمانه وصدق النقل جنبتان، جنبه فى الصفات العمليه وجنبه أخرى ترتبط فى الصفات العلميه، والأمانه فى النقل لا تتأثر بالجنبه العمليه فقط - كما قد يظن البعض - بل ترتبط بنحو أكبر بالجنبه العلميه أيضاً فهناك صدق فاعلى وصدق فعلى، والذى يتأثر فى الجنبه العلميه هو الصدق الفعلى، فالقول أو الصدق الخبرى يتأثر فى الجنبه العلميه من ناحيه نقل الخبر، فمثلاً لو كان هناك أى خبر تخصصى معين وإن كان حسياً كعلم الفلك - مثلاً - فإذا كان المخبر فلكياً وذا تخصص فى الفلك فمن الواضح يختلف عما لو كان المخبر من غير هذا التخصص المذكور، لأن المخبر الفلكى يتفطن إلى أين يركز فى نقل الخبر أو فى إيصاله أو إعلانه.

وهكذا بالنسبه إلى الطيب فإنه يخبرنا بحاله معينه فى بدن المريض أو ما شاكل ذلك، ولذلك تراه يركز أين هى المواضع ذات الصله وذات الأهميه للحاله المرضيه، وهذا بخلاف ما لو كان المخبر عن هذه الحاله المرضيه غير ذى الاختصاص وإن كان صادقاً أميناً لأنه لا يفطن ولا يعى شيئاً من أحكام الطب، فالمخبر لا يُدَّ أن يكون له إمام بذلك المجال، ولا بد أن يكون هناك اطراد وتناسخ بين علم المخبر بالمجال المخبر به والخبر الذى يخبر به، وإلا - لما كان له القدره على الصدق ولا القدره على الضبط والدقه.

ومن هنا نتعرف على معنى وحقيقه الصدق والأمانه فى نبوه سيد الأنبياء(صلى الله عليه و آله) بإخباره عن القرآن، وقد مر فى البحوث السابقه أن للقرآن نزولين، وبعباره أخرى أن للقرآن الكريم منازل ومقامات وليس نزولين فقط، وهذه القاعده لو ضممناها ولو بشكل فهرسى مختصر إلى ما نحن فيه من صدق النبي(صلى الله عليه و آله) فيما يبلغه عن الله عزَّ وَجَلَّ فيتقرر:

إن صدق النبي(صلى الله عليه و آله)فى الذى يبلغه عن الله عزَّ وَجَلَّ ليس هو القرآن المقروء والمتلو فقط لأن القرآن المتلو هو القرآن الذى نزل نجوماً طوال عشرين عاماً سُنُقِرُوكَ فَلَا تَنسَى (١) وقوله تعالى إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ (٢).

فهذا النزول النجومى يقرأ ويتلى وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً (٣). وقد بدأ هذا النزول منذ اليوم السابع والعشرين من شهر رجب، وقد نزل قسم منه فى مكه والقسم الآخر فى المدينه ولهذا يسمى مكى ومدنى.

ولكن ماذا عن صدقه وأمانته(صلى الله عليه و آله) فى النزول الآخر للقرآن غير المتلو وغير المقروء والذى هو عبارة عن الروح الأمرى الموصوف بالكتاب المبين الذى يستطرفيه كل شىء فى السماء والأرض.

ص: ١٩٤

١- (١) سوره الأعلى: الآيه ٦.

٢- (٢) سوره القيامه: الآيه ١٧ - ١٨.

٣- (٣) سوره المزمّل: الآيه ٤.

ولكن ماذا عن صدقه (صلى الله عليه وآله) في نزول آخر للقرآن الكريم وهو نزوله جملة واحده، وهذه القاعده التفسيريه يفتح منها بحوث كثيره وتنحل بها معضلات كثيره في مباحث التفسير، وإذا أغفلها المفسر فسوف يرتطم بعقبات وبإشكاليات وبمبهمات لا يستطيع حلها إطلاقاً، وهناك جملة من مفسرى العامه يقرون بهذه الحقيقه أو القاعده من النزول الثانى للقرآن مثل الطبرى فى تفسيره الكبير، والسيوطى وغيرهما، وقد رووا روايات شبيهه بروايات أهل البيت (عليهم السلام) من أن نزول القرآن جملة واحده كان فى شهر رمضان، وهذا ما أشارت إليه الآية الكريمة وهى قوله تعالى شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ (١) وكذلك قوله تعالى إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (٢) وقوله تعالى حم وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ (٣) يعنى فى ليله القدر من شهر رمضان.

فقد روى الكلينى بسنده إلى أبى عبدالله (عليه السلام) قال: نزل القرآن جملة واحده فى شهر رمضان إلى البيت المعمور، ثم نزل فى طول عشرين سنه. ثم قال: قال النبى (صلى الله عليه وآله) أنزل القرآن فى ثلاث وعشرين من شهر رمضان (٤).

وقد ورد فى روايات أهل البيت (عليهم السلام) أن البيت المعمور هو قلب

ص: ١٩٥

١- (١) سورة البقره: الآية ١٨٦.

٢- (٢) سورة القدر: الآية ١.

٣- (٣) سورة الدخان: الآية ١ - ٣.

٤- (٤) الكافى ج ٦٢٩: ٢.

برای ادامه مشاهده محتوای کتاب لطفا عبارت امنیتی زیر را وارد نمایید.

ص:

برای ادامه مشاهده محتوای کتاب لطفا عبارت امنیتی زیر را وارد نمایید.

ص:

برای ادامه مشاهده محتوای کتاب لطفا عبارت امنیتی زیر را وارد نمایید.

ص:

برای ادامه مشاهده محتوای کتاب لطفا عبارت امنیتی زیر را وارد نمایید.

ص:

وقد يسأل سائل - وهذا ما يثار الآن - أنه إذا كانت ولايه على بن أبي طالب (عليه السلام) بوصيه من الله تعالى ونص من السماء - كما نعتقد نحن الإماميه - فلماذا يعرضها رسول الله (صلى الله عليه وآله) على القوم أى على غير الوصى المنصوص عليه من السماء من بنى هاشم؟.

والجواب:

أولاً: أن مقام الإمامه كمقام النبوه ليس جبرياً ولا إيجابياً وإن كان إصطفائياً وهيباً منه تعالى فهذه المقامات الإلهيه وإن لم تكن إكتسابيه بل إصطفائيه عطائيه من الله تعالى إلا أنها أيضاً ليست جبريه ولا غير اختياريه بل هى إصطفاء مستمر ونتيجه متقدمه على عمل وطاعه لاحقه كما يشير إلى هذه الحقيقه فى المقام الإصطفائى قوله تعالى (وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا) (١).

وكذلك ما ورد فى دعاء الندبه «وشرط عليهم الزهد فى درجات هذه الدنيا الدنيه فشرطوا لك ذلك وعلمت منه الوفاء فقبلتهم وقربتهم وقدمت لهم الذكر العلى والثناء الجلى واهبطت عليهم ملائكتك وكرمتهم بوحيك ورفدتهم بعلمك وجعلتهم الذريعه إليك والوسيله إلى رضوانك....» (٢).

فليس المقام الإصطفائى هبه مجانيه وعطيه ربانيه جزافاً بل نتيجه العلم

ص: ٢٠٠

١- (١) سورة البقره: الآيه ١٢٤ .

٢- (٢) دعاء الندبه.

الإلهى بنجاح ذلك الشخص الذى يتعلق به الإصطفاء فى الإمتحانات الإلهيه.

ثانياً: لأن بنى عبد المطلب كانت لهم درجه من الأهليه بما فيهم أبو لهب فقد كانت له درجه من الأهليه كما فى مثل بلعم بن باعوره، إلا- أنه خساً وأخلد إلى الأرض فسفل، فقد أعطى لبلعم بن باعوره شىء من الأسم الأعظم، فى حين نرى كثير من المؤمنين الصالحين لم يعص الله ويدخل الجنه مع أنه لم يعط هذا الاسم الأعظم، فمثل هذه الحالات والمعادن موجوده فى طباع البشر والمخلوقات من أن الإنسان قد تكون له قابليه فى أن يعطى شىء من الأسم الأعظم ثم يفرط فيها ويرمى بنفسه إلى أسفل السافلين فيحرم عليه هذا الفيض.

أهليه بنى عبد المطلب:

ومن خلال الروايات الوارده فى تفسير الآيه وَ أَنْذِرْ عَشِيْرَتَكَ الْأَقْرَبِيْنَ تبين مدى أهليه بنى عبد المطلب، بل نستطيع أن نقول أن هذه الأهليه لم تكن موجوده فى أولى العزم (عليهم السلام) بل كانت فى بنى عبد المطلب، فإن جهات الكمال مختلفه جداً كما أن تلك الأهليه لم تكن بدرجه واحده فى بنى عبد المطلب، كما أنه لم يستثمرها ويفعلها جعفر الطيار (عليه السلام) كما كانت درجتها واستثمارها وتفعيلها عند الإمام على (عليه السلام)، وكذلك حمزه سيد الشهداء (عليه السلام)، وكذلك أبو طالب (عليه السلام) رغم عظمتهم لم يبادر وإنما الذى استأهلها بالفعل هو على بن أبى طالب (عليه السلام)، فعندما يعطى البارى تعالى النبوه لنبى أو الإمامه لإمام لانظن أنه من باب الجبر، وهذا بحث لم يبلور

فى كتب الكلام ولا فى كتب التفسير كمسأله مستقلة، مع أن هذا بحث فى نفسه مستقل فإن الرساله والإمامه والاصطفاء ليست أموراً إلهائيه بل بالاختيار والاصطفاء.

ثقل بعثه الأقرين

القوانين الإلهيه والوضعيه:

والمهم أن النبى (صلى الله عليه و آله) بعث إلى بنى عبد المطلب خاصه بأحكام وقوانين وشريعته خاصه ترتبط بطاقتي القياده، ففى كل دوله توجد هناك قوانين مرتبطه بالوزارات ووكلاء الوزراء وبرئيس الحكومه وبالحكومه نفسها، والتي تسمى بالقوانين الرئاسيه، بحسب الاصطلاح الحديث وهذه القوانين ليست شامله لكل الشعب وسائر الناس، هذا بالنسبه إلى القوانين الوضعيه البشريه، أما بالنسبه للقانون الإلهى أيضاً فهناك أوامر ونواهي خاصه بطاقتي القياده الإلهيه ولذلك فإن الله تعالى أول ما بعث به النبى (صلى الله عليه و آله) بعثه إلى عشيرته الأقرين حتى قال لهم: «يا بنى عبد المطلب أنى والله ما أعلم شاباً فى العرب جاء قومه بأفضل مما جئتكم به إنى قد جئتكم بخير الدنيا والآخره وقد أمرنى الله أن أدعوكم إليه»^(١).

ولأهميه هذه البعثه وبعد ما تريت النبى (صلى الله عليه و آله) فى الإبلاغ جاءه جبريل فقاله (صلى الله عليه و آله) يا محمد إنك إن لم تفعل ما أمرت به عذبتك ربكوهذا نفس التعبير

ص: ٢٠٢

١- (١) بحار الأنوار ج ١٩٣: ١٨، تاريخ الطبرى ج ٦٢: ٢، سنن البيهقى ج ٧: ٩.

واللحن والنبه الذى ورد فى يوم الغدير وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ (١).

فعن ابن عباس، عن على بن أبى طالب (عليه السلام) قال: لما نزلت هذه الآية على رسول الله (صلى الله عليه وآله) وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ دعانى رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال لى يا على إن الله تعالى أمرنى أن أنذر عشيرتك الأقربين قال: فضقت بذلك ذرعاً، وعرفت أنى متى أباديهم بهذا الأمر أرى منهم ما أكره، فصمت على ذلك وجائنى جبريل فقال: يا محمد أنك إن لم تفعل ما أمرت به عذبك ربك، فأصنع لنا يا على صاعاً من طعام (٢).

الأمانه الغيبية:

وعندما نقول أن النبى (صلى الله عليه وآله) صادق أمين ليس بخصوص المصحف الشريف ولكن صادق أمين عن تلك المنازل والمقامات الغيبية، فعندما نصف النبى (صلى الله عليه وآله) بهذا الوصف ولديه القدره على الأنباء العلمى والأمانه العلميه ليس فى المصحف الشريف المتلو والمقروء فحسب سَنُقَرِّئُكَ فَلَا تَنْسَى ٣ أو لا- تُحَرِّكُ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ (٣)،

وإنما الصدق والأمانه بلحاظ تلك المنازل الغيبية الأخرى وبلحاظ كل الغيب، فكيف شاهدتها (صلى الله عليه وآله)

ص: ٢٠٣

١- (١) سورة المائدة: الآية ٦٧.

٢- (٢) المصدر السابق.

٣- (٤) سورة القيامة: الآية ١٦ - ١٩.

وكيف أحاط بها كى يبلغ وينبأ عنها، فما معنى الأمانة فى تلك الأمور كلوح المحو والإثبات، والقضاء والقدر، واللوح والقلم، وخزائن الله أمين لله عليها، يعنى لا- يتصرف إلا- بإذن الله تعالى، ومن أوصاف الكتاب المبين أنه ظرف لخزائن الله كما يقول البارى تعالى وَ عِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَ يَعْلَمُ مَا فِي الْبُرِّ وَ الْبَحْرِ وَ مَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقِهِ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَ لَا حَافِيَ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَ لَا رَطْبٍ وَ لَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (١).

فإن كل ما ذكرته الآيه هو فى الكتاب المبين، فأمانه النبى (صلى الله عليه و آله) فى هذه العوالم لها معنى آخر وطابع آخر، كما يذكر ذلك القرآن فى المحاوره التى بين البارى تعالى والملائكه حول خلافة آدم و إذ قال رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَ تَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَ يَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَ نَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَ نُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّى أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ وَ عَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِى بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّى أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ أَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ (٢).

فإن هذه المداوله التى جرت تبين أن خليفه الله تعالى سواء كان آدم أو غير آدم هو أكثر أهليه فى الإحاطه العلميه والأمانه من الملائكه، فإن له قدره علميه جامع للآسماء وقدره على الأمانه والحفظ فى جهات عديده.

ص: ٢٠٤

١- (١) سورة الأنعام: الآيه ٥٩.

٢- (٢) سورة البقره: الآيه ٣٠ - ٣٣.

وقد وصف الله تعالى جبرئيل (عليه السلام) بأنه: إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ (١). وصف بالمطاع والأمين لأنه لا يزيغ كما تزيغ الشياطين، فالأمانة هنا لها سعة أكبر فليس للنزعات الذاتية والميول مجال في هذه الأمانة الإلهية.

ونظير ذلك أمانه خزنه الجنة والنار وهم أمناء عليها من قبيل قوله تعالى وَ قَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا (٢).

وقوله تعالى: وَ قَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ (٣).

وقوله تعالى: وَ نَادُوا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ (٤).

وقوله تعالى: مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ (٥).

فإستئمان هذه الأمور التي توكل في العوالم الأخرى فيها نمط من الصدق ونمط من الأمانة وهم مستأمنون من قبل الله عَزَّ وَجَلَّ، وهؤلاء الملائكة أمانتهم في كفه وفي جانب وأمانه سيد الأنبياء وبلحاظ تلك العوالم في جانب آخر.

ص: ٢٠٥

١- (١) سورة التكوير: الآيه ١٩ - ٢١.

٢- (٢) سورة غافر: الآيه ٤٩.

٣- (٣) سورة الزمر: الآيه ٧٣.

٤- (٤) سورة الزخرف: الآيه ٧٧.

٥- (٥) سورة ق: الآيه ١٨.

وهذا ما بينته سورة البقره من أن كفاءه خليفه الله أعظم من الملائكه بل وأعظم حتى من رضوان خازن الجنان ومن مالك خازن النيران، فإذا كانوا هؤلاء الملائكه مأمونون على تدوين أعمال الخلائق فرسول الله (صلى الله عليه وآله) هو الشاهد على الأئمه (عليهم السلام) والأئمه هم الأشهاد عليهم، وهذا بحث آخر سوف نتطرق إليه فيما بعد إنشاء الله تعالى.

النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَمِينٌ عَلَى كُلِّ الْأَدْيَانِ:

وهناك صدق وأمانه لكل دين الله عَزَّ وَجَلَّ والقرآن مهيمن على بقية الكتب السماويه وهذه الكتب السماويه كالتوراه والإنجيل والزبور وصحف إبراهيم وصحف موسى كلها من دين الله عَزَّ وَجَلَّ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (١).

إذن الصادق الأمين (صلى الله عليه وآله) استأمن من قبل الله عَزَّ وَجَلَّ في كل دينه، ودين البارى تعالى لا ينحصر بالنشأه الأرضيه ولا بالمصحف الشريف فى النشأه الأرضيه بل بعوالم سبقت وعوالم تتلو تلك العوالم. ومن يوكل له مثل هذه المسؤوليه فهو على صدق وأمانه تختلف عن باقى الأمانات التى أعطيت للرسل والأنبياء والملائكه، ومن الواضح أن هذه المسؤوليه متراميه الأطراف وليست هى مسؤوليه تختتم الوظيفه فيها بدار الدنيا، وهذا ما

ص: ٢٠٦

سوف يفتح لنا الحديث عن مقامات أخرى للنبي (صلى الله عليه و آله) سوف نتعرض إليها فيما بعد إن شاء الله تعالى كمقام الشاهد على الأشهاد على الأمم وزعيم الأعراف والقائد والباب لرحمه للعالمين وغيرها.

من أوصاف وشؤون القرآن ليله القدر:

إن من أوصاف القرآن الكريم هو هذا الوصف المستمر وهو (ليله القدر)، يعنى الأمور التى تنزل فى ليله القدر لا-تنتهى ولا تنقطع، بل أمر متسلسل متعاقب منذ أكثر من ألف وأربعمائة سنة، ويتنزل من القرآن بنود وفصول نعم هى قرآن ولكن ليست هى تنزيل القرآن وإنما هى - كما فى لفظ القرآن الكريم - تأويل القرآن، وهذا أحد الأمور والقواعد التى يؤكد عليها أهل البيت (عليهم السلام) ألا- وهى أن للقرآن تنزيل وتأويل وظاهر وباطن هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ (١) وَأُمُّ الْكِتَابِ وَصَفِيْمُحُوا اللّٰهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَ عِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ (٢).

فهناك ربط بين المحكمات وأم الكتاب ولوح المحو والإثبات هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَ أُخْرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَ ابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَ مَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللّٰهُ وَ الرّٰسِـخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَ مَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ (٣).

ص: ٢٠٧

١- (١) سور آل عمران: الآية ٧.

٢- (٢) سورة الرعد: الآية ٣٩.

٣- (٣) سورة آل عمران: الآية ٧.

والقرآن الكريم وبشكل واضح وصريح يبين أنه كما للقرآن تنزيل تَنْزِيلُ الْكِتَابِ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ كَذَلِكَ للقرآن الكريم تأويل، ولكن تأويل حق وهو عند الراسخين، وتأويل باطل عند غير الراسخين فى العلم وهم الزائغون قلوبهم والمتشابه عليهم، وهذه الحقيقة لا يمكن لأى مفسر أن ينكرها، نعم هناك عدة من المفسرين نراه يتحامل على تأويل القرآن الكريم، وأن هذه نزعه باطنية وأنها نزعه الفرق الباطنية وأن هذا إنحراف واضح، وبقي هذا الأمر إلى أن أتت الفلسفة الغربية ببراهين الهيرمونطيقيا أو الهيرمونتيك وما يسمى بالفلسفات اللسانية أو الألسنيات، والقراءات الدينية والتعددية، وهذه البحوث الفلسفية وإن كان فيها الغث والسمين وليس كلها على صواب، ولكنها برهنت على أن النص يقرأ بقراءات لا محدوده على طبق ضوابط، والمفروض

هكذا إلا أنها تجند للسفسطه والتشكيك، وهذا أمر آخر ونوع من التوظيف الشيطاني لهذه البحوث، فالذى ينكر التأويل الحق للقرآن فإنه ينكر الجزء الأ-كبر والأوفر من القرآن وكأنما ينكر مدرسه أهل البيت (عليهم السلام) وينكر أسس وآفاق تلك المدرسه لأن أساسها قائم على أن للقرآن جنات غيبية لا يحيط بها إلا المعصوم من الراسخين فى العلم. وإذا أنكر هذه الجنات الغيبية فإنه بعبارته أخرى ننكر ضروره الحبل الممدود بين السماء والأرض من حيث يشعر أو لا. وهناك الكثير من تفاسير أهل سنه الجماعه هاجموا مسأله التأويل لأنه يصعب عليهم الإقرار بأن هناك قول حق عند الراسخين فى العلم، ولذا

يجب أن نلتفت إلى أن هناك مباني وقواعد تتفق مع منهاج أهل البيت (عليهم السلام) الواسع والحقيقى والذى هو الصراط المستقيم، وهناك أيضاً قواعد ومباني تتنافى وتصطدم مع منهاج أهل البيت (عليهم السلام) وهذا أمر مهم للباحث فى التفسير وفى العقائد وفى الكلام وفى أمور كثيره من العلوم الإسلاميه، فإن هناك تفسيراً وتأويلاً - زائفاً لأنه مبنى على رأى وعلى الهلوسه وبلا- ميزان وبراهين ولكن فى المقابل هناك تفاسير مبنيه على براهين وبيانات علميه عند المعصوم أو حتى عند غير المعصوم، فإن هناك آيات عديده - لسنا بصدها الآن - تبين أن القرآن الكريم له تأويل حق وتأويل باطل عند الزائغهم قلوبهم.

تحريف الكتاب الكريم:

إنَّ إجماع المسلمين اتفقوا على عدم تحريف القرآن الكريم، يعنى ألفاظ تنزيل القرآن المقروءه لا- يزداد فيها ولا ينقص فإن تنزيل القرآن مقام له وتأويل القرآن مقام آخر له، نعم تأويل القرآن قوام حقيقه وجزء مقامات ومنازل القرآن ولكنه ليس جزءاً من التنزيل، يقول الشيخ جعفر كاشف الغطاء إن الموجود فى الروايات التى توهم منها التحريف هو فى الحقيقه من وحي الله، ولو فرضنا أنه من القرآن ولكنه ليس من تنزيل القرآن وإنما هو من تأويل القرآن، ومن الواضح أن تأويل القرآن من القرآن ولكنه ليس من تنزيل القرآن، فإنه أوحيت للنبي (صلى الله عليه و آله) معانى القرآن مع تنزيله ولكن هى تأويل القرآن. فإنه كما مر أن للقرآن منازل ومقامات، ولا يوجد هناك من ينكر أن الكتاب المبين من القرآن، والطور والرق المنشور

والبحر المسجور واللوح المحفوظ من القرآن، وأم الكتاب من القرآن، فكل ذلك من طبقات القرآن ولكن كل مقام وكل درجه ومنزله من مقامات القرآن لها أحكام وأوصاف خاصه.

ومن أرد أن يحصر ويحبس أوصاف القرآن الكريم على تنزيل القرآن فقط فقد أنكر وكفر بتنزيل القرآن، لأن الإيمان بتنزيل ونزول القرآن يستلزم وينبأ عن وجود منازل سابقه علويه غيبه للقرآن، فكيف يمكن أن يغض الطرف عنها أو ينكر وجودها أو أوصافها أو شؤونها.

نظير قوله تعالى: بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ (١)، وهذا يعنى أنه ليس فيه متشابه، بينما فى موضع آخر قال تعالى هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ (٢).

فكيف يمكن التوافق بين آيات بَيِّنَاتٍ وبين المحكم والمتشابه ؟

القرآن الكريم أجاب عن ذلك وأن الآيات البينات هى أو وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ وهم أهل البيت (عليهم السلام)، وجعل الكافر بها أى بذلك من الفاسقين وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ .

ص: ٢١٠

١- (١) سورة العنكبوت: الآية ٤٩.

٢- (٢) سورة آل عمران: الآية ٧.

ولا- يخفى أن معنى المحكم والبين متقارب، ولكن المتشابه يشتهر علينا فى المعنى، بل أحد معانى المحكم - كما فسروه - هو البين، وكما أن البين له معانى أخرى أيضاً.

إذن هذه قاعده مهمه وهى أن القرآن كما أن له تنزيل فله تأويل وهذا التأويل ليس أجنبياً عن القرآن ولكن ليس من تنزيل القرآن - كما مرّ سابقاً - فكما يجب الإيمان بالتنزيل كذلك يجب الإيمان بالتأويل. ولا يسوغ لأى شخص من علماء الأمة وفقهائها ومفسريها أن يدعى أنه ورث عن النبى (صلى الله عليه و آله) إلا-التنزيل فقط، أما المقامات عن القرآن فلا يمكن أن يدعى وراثتها أحد غير أهل البيت (عليهم السلام).

فعن شعيب بن أنس، عن أبى عبدالله (عليه السلام) أنه قال لأبى حنيفه:

أنت فقيه أهل العراق، قال: نعم. قال (عليه السلام): فبأى شىء تفتيهم؟ قال: بكتاب الله وسنه نبيه. قال (عليه السلام): يا أبا حنيفه تعرف كتاب الله حق معرفته، وتعرف الناسخ من المنسوخ؟ قال: نعم. قال (عليه السلام): يا أبا حنيفه لقد أدعيت علماً - ويلك - ما جعل الله ذلك إلا عند أهل الكتاب الذين أنزل عليهم، ويلك ما هو إلا عند الخاص من ذريه نبينا (صلى الله عليه و آله) وما ورثك الله تعالى من كتابه حرفاً (١).

وفى روايه أخرى عن زيد الشحام قال:

ص: ٢١١

١- (١) الوسائل: ٢٧/٤٧، باب ٦، الحديث: ٧٧١٣٣.

دخل قتاده على أبي جعفر (عليه السلام) فقال له: أنت فقيه أهل البصره؟ فقال: هكذا يزعمون. فقال (عليه السلام) بلغني أنك تفسر القرآن؟ قال: نعم إلى أن قال يا قتاده إن كنت فسرت القرآن تلقاء نفسك فقد هلكت وأهلكت، وإن كنت قد فسرتة من الرجال فقد هلكت وأهلكت، يا قتاده - ويحك - إنما يعرف القرآن من خوطب به» (١).

ومن خلال هاتين الروايتين يتضح أن المقصود ليس هو تنزيل القرآن بل تأويله، فلا يستطيع أحد من علماء الأمة أو عرفائها أو فلاسفتها أن يدعى أن النبي (صلى الله عليه و آله) أورثهم آيه من بواطن الآيات أو من المقامات الغيبية في الآيات بل تلك الأمور أورثها الله عزَّ وَّجَلَّ إلى ثلثه مصطفاه وهم محمد وآل محمد (صلوات الله عليهم أجمعين) (ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ) (٢) و(إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ) (٣) أهل آيه التطهير.

ص: ٢١٢

١- (١) الوسائل: ١٨٥/٢٧، باب ١٣، الحديث: ٣٣٥٥٦.

٢- (٢) سورة فاطر: الآية ٣٢ .

٣- (٣) سورة الواقعة: الآية ٧٧-٧٩ .

الفصل الثاني: أوصاف النبي (صلى الله عليه وآله)

إشاره

ص: ٢١٣

من ألقاب النبي (صلى الله عليه و آله) وأوصافه هو سيد الأنبياء، وهذا ما نجده عند عامه المسلمين ولكن هناك قلائل إن لم نسهم شذاذ لم يتبنوا ذلك، وهذا نتيجة ركونهم إلى روايات واهيه تذكر في مصادر الحديث عند بعض أهل سنه الجماعه من قبيل قوله (صلى الله عليه و آله): من قال أنا خير من يونس بن متى فقد كذب(١).

وقوله (صلى الله عليه و آله): لا تخيروني على موسى(٢).

وهذه روايات ملامحها واضحه فى الدس والتدليس فيها لمناقضتها مع القرآن الكريم والقطعى من السنه، فقد ورد أن الله تعالى قال لموسى (عليه السلام):

يا موسى من لقينى وهو جاحد لمحمد أدخلته النار ولو كان إبراهيم خليلى وموسى كليمى.

قال - موسى - إلهى ومن محمد. قال: ما خلقت خلقاً أكرم علىّ منه

ص: ٢١٥

١- (١) صحيح البخارى ج ١٨٥: ٥، صحيح مسلم ج ١٠٣: ٧، ميزان الاعتدال للذهبي ج ١٦: ٢.

٢- (٢) صحيح البخارى ج ٨٨: ٣.

كتبت اسمه في العرش قبل أن أخلق السماوات بألفى ألف سنة (١).

ومن الطبيعي أن قاعده سؤدد وسياده النبي (صلى الله عليه و آله) على باقي الأنبياء لا ننظر إليها كمديح وثناء بل هذه القاعده تفتح لنا باباً وحقائق على قواعد وبحوث عديده في مباحث النبوه وبالذات مباحث نبوه خاتم النبيين.

المديح الوحياني:

وبعبارة أخرى أدق وأعمق نستطيع أن نقول إن لغة الفضائل والمديح في القرآن الكريم أو السنه القطعيه ليست هي عباره عن أدب مديحي جميل في لغة الوحي بل مفاده ومؤداه أن هناك مقاماً ومنصباً إعتقادياً وله آثار وحجيه.

فالقرآن الكريم في أكثر من موضع عظم أهل البيت (عليهم السلام) وهذا التعظيم ليس نوعاً من المجاملات الوحيانيه من السماء مع أهل البيت (عليهم السلام) فلا- توجد هناك أى قرابه أو نسبه ولاده بين الله تعالى وخلقه، بل هذا التعظيم وهذا المديح له مغزى عقائدي في مقام الحجيه، بدل أن يستعمل القرآن الكريم لغة كلاميه أو لغة فقهيه أو لغة قانونيه فهو يستخدم لغة فضيليه، فالفضيله أو الأدب في لغة الوحي لا بد أن نترجمه في علم العقائد وفي علم المعرفه بأنه مقامات وقوالب حجيه في المعارف، وكذلك نترجمه في اللغة الفقهيه إلى إلزام وطاعه وقانون وإنضباط.

ص: ٢١٦

فعندما نرى ذلك الأدب الذى بين موسى والخضر (عليه السلام) فهو ليس مجرد تعارف أو مجامله محضه، بل هذا الأدب الذى بينهما يعكس لنا موقعيه ومقام النبى موسى (عليه السلام) من موقعيه الخضر (عليه السلام) فعندما يقول النبى موسى (عليه السلام) للخضر قال له موسى هل أتبعك على أن تُعلِّمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا (١). فهو لم يفرض عليه أنى سأتبعك فيكون موسى (عليه السلام) تابع والخضر (عليه السلام) متبوعاً، وهكذا بالنسبه إلى الخضر (عليه السلام) عندما قال لموسى (عليه السلام) قال فإن اتبعتني فلا تشيئني عن شئٍ حتى أُحدثَ لك منه ذكراً (٢) فهو أيضاً لا يفرض عليه، وهذه الحدود فى معانى كلامهما ليست من باب المجامله التى يتعاطاها بقيه البشر عبثاً وإنما هذه حقائق تعكس النسبه بين صلاحيات مقامهما ونسبه العلاقه بينهما كما هو مفاد قول الخضر قال إنك لن تستطيعَ معي صبراً (٣).

إذن هناك نسق من الآداب للتعامل بينهما لا أنه مجرد باب أخلاقى مجاملى آدابى.

فضائل ومديح فاطمه عليها السلام:

ومن الأزمه الفكرية التى ربما أبتلى بها كثير من المسلمين والمؤمنين أنهم عندما يذكرون لغه الفضائل لسيدة النساء يقولون إن هذا مجرد مديح

ص: ٢١٧

١- (١) سورة الكهف: الآيه ٦٦.

٢- (٢) سورة الكهف: الآيه ٧٠.

٣- (٣) سورة الكهف: الآيه ٧٢.

من النبي (صلى الله عليه وآله) أو مديح إلهي لفاطمه (عليها السلام)، وكأنه يوجد بين الله وبين خلقه محاباه أو نوع من المجاملات، كلا ليس الأمر كذلك بل هذا المديح يعطى بعداً عقائدياً بلغه فضيله، فهو عقدي وحججي وقانوني، كما يقولون في الجرح والتعديل هذا عدل لأجل حججه روايته وإخباره الحسى، فهل التوصيف فى كلام الله تعالى لا حجيه فيه؟!

ومن ثم ترى كتب الصحاح الستة عند جمهور العامه فيها أبواب خاصه لفضايا الإمام على (عليه السلام) أو للحسين أو لفاطمه (عليها السلام) وفضاياهم هذه تغاير فضايا الصحابه المزعومه فى المحتوى والماهيه، وهكذا الأمر بالنسبه إلى فاطمه (عليها السلام) من أنها سيده النساء أو سيده نساء أهل الجنه، فإذا كانت فاطمه (عليها السلام) لها سؤدد على مريم فهذا مقتضاه أن كل فضايا فاطمه فوق فضايا مريم، وإذا كانت لمريم (عليها السلام) حجيه أو تتكلم مع جبرئيل مع أن مريم ليست بنبيه، كما أن لمريم إصطفاء وعصمه وطهاره فكيف بالذى لفاطمه (عليها السلام).

إذن هذه ليست لغه مجرد فضايا ومديح وشعر وأدب كما يقوله الشعراء والمداحون والأدباء من بحر الخيال بل هو من معدن الحقايق وإنما هذا نص إلهي فى المعرفه والقرآن الكريم والوحى السماوى وله لغات متعدده، فثالثه بلغه القصص وأيضاً لها مغازى حججى وعقائدى وقانونى، ورابعه بلغه الحكم، وخامسه بلغه الجدل التى هى أحسن، وحاشا للقرآن أن يكون للمراثى أو للمعايات والأبكات وإنما هو لأجل إيصال مغزى معرفى لحقيقه ومفاد تشريعى وأديانى.

وهذه وقفه مهمه فى منهجيه المعرفه يجب أن نلتفت إليها وهى أن الفضيله كمال والكمال اصطفاء لمقام ومنصب إلهى.

عود على بدء:

حيثند نأتى إلى معرفه سؤدد سيد الأنبياء (صلى الله عليه و آله) تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ (١) و لَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ (٢)، والقرآن الكريم أو السنه النبويه تبين وتوضح أن للنبي (صلى الله عليه و آله) موقعيه وفضيله خاصه يفوق فيها سائر الأنبياء وهذا ليس من باب المديح الأدبى وإنما هو مؤدى عقائدى ومعرفى وقانونى، وليس لأى أحد من البشر أن يقول لنا الخيار ونتخير فى أن نتبع النبي موسى أو عيسى (عليه السلام) أو سيد الأنبياء (صلى الله عليه و آله) بل إن نفس وشخص عيسى (عليه السلام) يلزم أن يتبع سيد الأنبياء (صلى الله عليه و آله)، ومن ثم عند نزول النبي عيسى (عليه السلام) فى دوله المهدي (عج) سوف يتبع شريعه سيد الأنبياء وليس شريعته ولا يبقى على رهبانيته بل سوف يتزوج على سنه وشريعه سيد الأنبياء إلى غير ذلك فى كيفيه الصلاه وبقية العبادات وحيثند يخاطب القرآن النبي عيسى ب (أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرُّسُولَ) (٣).

ومعنى سياده سيد الأنبياء هو أن الوحي الذى نزل على سيد الأنبياء لم ينزل على النبي نوح ولا على النبي موسى ولا عيسى (عليه السلام) ولا غيرهم

ص: ٢١٩

١- (١) سوره البقره: الآيه ٢٥٣.

٢- (٢) سوره الإسراء: الآيه ٥٥.

٣- (٣) سوره النساء: الآيه ٥٩.

وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ (١) ومن ثم يخاطب جميع النبيين (عليهم السلام) بقوله تعالى فى القرآن (أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ) ، كيف لا- ولم يعطى نبي من الأنبياء النبوه أو الرساله أو الإمامه إلا بإقراره بولايه خاتم الأنبياء وولايه آله كما فى قوله تعالى (وَ إِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَ حَكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَ لَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَ أَقْرَضْتُمْ وَ أَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَضْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَ أَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ) (٢).

وفى الآيه ناموس هيمنه مقام خاتم الانبياء على جميع الانبياء والرسل، والدلاله على ذلك فى الآيه من جهات عديده كثيره وأن نبوتهم فروع لنبوته، وكتبهم وحكمتهم شعب لكتابه وحكمته، وهو الأمر والنهى لهم وسيأتى بيان وجوه دلالتها، وقد جعل الله تعالى شريعته ناسخه لكل الشرايع السابقه مما يفيد أن شريعته أكملهن وأعظمهن.

ومن ثمار هذه القاعده الشريفه أيضاً هو أنه ما أسند إلى الأنبياء فى القرآن الكريم من المقامات والأفعال والصفات الكثيره بل والمناصب العظيمه سواء كانت للأنبياء أو الملائكه هى فى الحقيقه تبيان لحقيقه وهويه سيد الأنبياء، فما يسند إليهم فى الواقع يسند إليه (صلى الله عليه وآله)، لأنه هو المهيمن وهو المسيطر وهو السيد والإمام لهم.

ص: ٢٢٠

١- (١) سورة المائده: الآيه ٤٨.

٢- (٢) سورة ال عمران: الآيه ٨١.

وبالتالى فهذه بنود لتعريف حقيقه شخص سيد الأنبياء (عليهم السلام) وليست فى الحقيقه فى الدرجه الأولى تعريفاً بالنبي نوح أو يوسف أو موسى أو عيسى وغيرهم، كما هو الحال فى المخلوقات والخالق فإن عظمه التكوين فى المخلوق هى شأن للخالق أولاً وتجلى له تعالى وعاريه للمخلوق وإن لم يكن هناك قياس مثليه بين المثالين. وهذه نكته مهمه للمعرفه فى كل خوض فى آى سوره أو آيه لأى نبي من الأنبياء، وهو بحث فى جانب الكمالات، وتنقيب فى شخصيه سيد الأنبياء والرسول (صلى الله عليه وآله) فإن هناك آثاراً معرفيه خطيره للإعتقاد بأن سيد الأنبياء له السؤدد وله السيادة وله الإمامه على الأنبياء، وعلى ضوء ذلك فإذا وجدنا أى فضيله أو فعل أو كمال قد أسند إلى أحد من الأنبياء فتلقائياً نعلم أن هذا قد أسند إلى النبي محمد (صلى الله عليه وآله) و بعد قول البارى تعاليتك الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ (١).

إذ خاتم الرسول الله (صلى الله عليه وآله) هو مجمع الفضائل والكمالات التى يتصف بها جميع الأنبياء والمرسلين وهذا ما بينه أمير المؤمنين (عليه السلام) من قاعده فى معرفه خاتم الأنبياء عند محاججته مع اليهود والنصارى. حتى قال لهم: ومحمد كان أكثر من هذا (٢).

فالحديث عن سيد الأنبياء وعن جميع مجموع الأنبياء سواء سيان ولا

ص: ٢٢١

١- (١) سوره البقره: الآيه ٢٥٣.

٢- (٢) الاحتجاج ج ٢٥٧: ١.

يغفل ولا ينسى فيه ذكر سيد الأنبياء، فذكرهم ذكر له (صلى الله عليه وآله)، ومدحهم مدح له (صلى الله عليه وآله)، وإجلالهم إجلال له (صلى الله عليه وآله)، وتعظيمهم تعظيم له (صلى الله عليه وآله).

هيمنه النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ:

إشاره

وهناك أدله كثيره على ما بيناه نذكر منها:

الدليل الأول: هيمنه القرآن:

إشاره

أستدل بها كثير من علماء المسلمين أن الله عَزَّ وَجَلَّ وصف القرآن الكريم بأنه مهيمن على الكتب وَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَ مُهَيِّمًا عَلَيْهِ (١).

وعندما يكون هذا الكتاب مهيمناً على باقى الكتب فبطبيعته الحال أن صاحبه مهيمن على سائر الأنبياء، لأنه بعث بأعظم كتاب، فإن كتاب كل نبي يمثل الدرجة التى يصل إليها ذلك النبي عند الله عَزَّ وَجَلَّ، ولكن الأمر فى سيد الأنبياء (صلى الله عليه وآله) أعظم من هذا بكثير. فإن القرآن الكريم إذا كان مهيمناً على كتب الأنبياء فصاحبه مهيمن على أصحاب الكتب، كيف والقرآن يصرح بأن النبي أعظم من القرآن وفى سور عديده - كما بينا ذلك سابقاً - وهو قوله تعالى يس وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ فقد قسم الله تعالى بالنبي (صلى الله عليه وآله) ثم أعقبه بالقرآن الحكيم والتقديم الذكري دال على التقديم الرتبى فى المقام والكمال.

ص: ٢٢٢

وليس فى القرآن خيال شعرى أدبى ولا محاباه من القرآن للنبى (صلى الله عليه وآله)، بل بيان حقائق، وما هو الهدف من بيان هذه الحقائق؟.

ولماذا يعلى ويصعد القرآن من شأن النبى (صلى الله عليه وآله) إلى هذه المقامات بل يكشف عن صعوده وعلوه؟!.

والجواب عن ذلك واضح، فإن الغايه والحكمه من بيان ذلك بيان أن سنته خالده ومنهاج هو شريعته خالده ولا يمكن لأحد أن يتناول عليه (صلى الله عليه وآله) ولا يقدم بين يديه سواء كان هذا تناول فى القرن العشرين أو الخامس عشر أو فى القرن الأول، فلا مجال أن يقدم بين يدي الله ورسوله ولا- يشرع فى قبال تشريع النبى (صلى الله عليه وآله) أو ينهى فى قبال نهى النبى (صلى الله عليه وآله).

شبهه كلاميه:

إن جملة من المفسرين ربما يصور أن حجيه القرآن فوق حجيه النبى (صلى الله عليه وآله)، وهذه غفله، فإن حجيه النبى (صلى الله عليه وآله) فوق حجيه القرآن، وكما أن القرآن كلام الله فالنبى (صلى الله عليه وآله) أيضاً بذاته كلام الله، وإذا كان النبى عيسى (عليه السلام) كلمه الله فالنبى (صلى الله عليه وآله) كلمه الله التامه بل هو (عليه السلام) مجمع الكلام، وكما قال النبى (صلى الله عليه وآله) - كما رواه الفريقان - «أعطيت جوامع الكلم»^(١). ومقام جوامع الكلم يشير إلى أن علم سيد الأنبياء فوق علم بقيه النبيين. وغير خفى أن أعظم فضيله من فضائل الكائن البشرى هو العلم.

ص: ٢٢٣

١- (١) الأمالى للصدوق: ٢٨٥. صحيح مسلم ج ٦٤: ٢.

الدليل الثاني: أخذ الميثاق:

قوله تعالى: وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَضُكُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَضْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ فَمَنْ تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (١).

وفى الآيه مواضع دلالة هامه:

١ - البيان لعظمه العهد والميثاق المعقود والمأخوذ على الأنبياء قبل إعطائهم النبوه حيث جعل ما بعد اللام (لتؤمنن) جزاء وشرط و عوض ما قبل من إيتائهم النبوه من الكتاب والحكمه.

١ - أن الإيمان بالنبي والإقرار بولايته والتعهد بنصرته استأهل وتأهل وتكونت القابليه والاستحقاق من الأنبياء للنبوه.

٢ - إنَّ مقام سيد الأنبياء غيبي بالنسبه لسائر الأنبياء ومن ثم الوصف فى الآيه (لتؤمنن به) بينما مقام سيد الأنبياء حيث أنه مهيمن ومتعالى عليهم ومشرف على ما دونه من مقاماتهم، ومن ثم التوصيف فى الآيه (مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ) أى أنه مشهود له يصادق ويقررهم على ما معهم ويمضى لهم ذلك.

٣ - الوصف عن الأنبياء ب (النبين) بينما الوصف عنه ب (رسول) مما يدل على أنه (صلى الله عليه و آله) هو الواسطه بين الله وبين الأنبياء، فإن مجرد النبوه هى مقام التلقى بينما الرساله مقام الواسطه بين الخالق والخلق.

ص: ٢٢٤

١- (١) سورة آل عمران: الآيه ٨١ - ٨٢.

٤ - أن الأنبياء جميعهم تابعون لناصرين لسيد الأنبياء وتحت ولايته وإمامته (لتنصرنه).

٥ - تأكيداً تعالى بعد قوله (أخذ الله ميثاق) (قال أقررتهم)، أخذ الإقرار منهم ثم غلظ عليهم (وأخذتم على ذلكم إصرى) ولإصر الشده ثم إجابته الأنبياء إلى ما دعاهم الله إليه (قالوا أقررنا) ثم تغليظه تعالى وتوكيده الأمر مره أخرى (قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين).

فمن خلال هذه الآيه يتضح أن هناك مشهداً قد حصل فيه أخذ توافق من الله على النبيين وكما هو معروف أن الميثاق أغلظ وأعظم وعهد مؤكد من الأنبياء إلى الله تعالى، وطرف التعاقد هو الله عزَّ وجلَّ على أن يعطيهم الكتاب والحكمه أى النبوه ولوازم النبوه من الكتاب والحكمه والمناصب الإلهيه أخرى، وقد تعطى هذه الحكمه ولوازمها لغير النسي (صلى الله عليه وآله) كما كانت للقمان الحكيم وَمَنْ يُؤْتِ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا (١).

إذن هناك ميثاق وتعاقد إلهى للنبيين قد أعطاهم النبوه قبل إعطائهم أى منصب غيبى لدنى، فقبل إعطاء الأنبياء الكتب من التوراه والإنجيل والزبور والصحف والنبوه ولوازمها وكل العطاءات الإلهيه العظيمه والتي هى أمانات عظيمه وخطيره فى مسير رسالات السماء جعل البارى تعالى عهداً وشرطاً وميثاقاً.

وهذا الشرط والميثاق هو (لتؤمنن به ولتنصرنه) وهذا معناه إنكم أيها

ص: ٢٢٥

١- (١) سورة البقره: الآيه ٢٦٩.

الأنبياء لا تصلون إلى مقام النبوه إلا بالإيمان بنبوه محمد (صلى الله عليه وآله) ونصرته (صلى الله عليه وآله)، فالذى يؤهل الأنبياء هو الخاتم (صلى الله عليه وآله) (١).

وفى صحيح عبد الله بن سنان - وهو صحيح إعلاني - قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام) - فى حديث - كان الميثاق مأخوذاً عليهم الله بالربوبية ولرسوله بالنبوه ولأمير المؤمنين والأئمة بالإمامه، فقال: ألت بربكم، ومحمد نبيكم، ولى إمامكم، والأئمة الهادون أئمتكم، فقالوا: بلى، فقال الله: شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَيْ لثَلَا تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ فَأُولَ مَا أَخَذَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْمِيثَاقَ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بِالرَّبُوبِيَةِ وَهُوَ قَوْلُهُ: وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ فذَكَرَ جَمَلَهُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ «الْحَدِيثُ (٢).

النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إِمَامُ الْأَنْبِيَاءِ

الأنبياء تابعون للنبي:

فالنبي (صلى الله عليه وآله) إمام الأنبياء وهم مأمومون به وناصرون له، فالنصره تعنى أنهم تابعون له (صلى الله عليه وآله) فلا تصح نبوتهم إلا بالطاعه منهم له (صلى الله عليه وآله)، فالذى يقوم به (صلى الله عليه وآله) أعظم من نبوه الأنبياء، لأن إيمانهم (عليهم السلام) بسيد الأنبياء ولد لهم ثمره هى نبوتهم وإعطائهم الكتاب والحكمه، وهذا الأمر نظير ما مر علينا سابقاً حول تقديم أسم النبي (صلى الله عليه وآله) على الكتاب فى قوله تعالى يس وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ وقوله تعالى طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ

ص: ٢٢٦

١- (١) راجع الإمامه الإلهيه وعماره القبور لسماحه الشيخ الأستاذ (دام ظله).

٢- (٢) تفسير القمى فى ذيل سوره الاعراف الآيه ١٧٢.

وَكِتَابٍ مُبِينٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ آيَاتِ الْكَرِيمِ، فَإِذَا كَانَ مَقَامَ النَّبِيِّ الْغَيْبِيِّ مُقَدِّمًا عَلَى الْقُرْآنِ الَّذِي هُوَ مِيهَمُنَ عَلَى جَمِيعِ كُتُبِ الْأَنْبِيَاءِ السَّابِقِينَ وَكُتُبِهِمْ تَمَثَّلُ دَرَجَةً عُلُومِهِمْ، فَكَيْفَ لَا يُقَدِّمُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ وَكُتُبِهِمْ؟!.

فَالْإِيمَانُ بِالنَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) مِنْ قَبْلِ الْأَنْبِيَاءِ يُوجِبُ تَكَامُلَهُمْ وَتَأَهُّلَهُمْ لِبُلُوغِ مَقَامَاتِ غَيْبِيهِ فَيَكُونُ سَيِّدَ الْأَنْبِيَاءِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) هُوَ مُصَدِّرُ الْفَيْضِ وَمَمْرُ الْوَحْيِ إِلَى الْأَنْبِيَاءِ، بَلْ هُوَ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) أَمِينُ اللَّهِ عَلَى أَنْبِيَائِهِ وَرَسُولُهُ كَمَا مَرَّ ذَلِكَ فِي مَبْحَثِ (النَّبِيِّ أَمِينُ اللَّهِ عَلَى وَحْيِهِ).

وَلَوْ نَلَّحِظُ لَطَائِفَ وَإِشَارَاتِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ كَمَا فِي آيَةِ الْمِيثَاقِ حَيْثُ تَقُولُ (مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ) نَرَى أَنَّ سَيِّدَ الْأَنْبِيَاءِ وَخَاتَمَهُمْ هُوَ الَّذِي يَصَدِّقُ وَيُصَادِّقُ عَلَى نُبُوَّتِهِمْ بِمَعْنَى يَكُونُ هُوَ الْمَشْرُفُ وَهُوَ الَّذِي يُعْطِيهِمُ الْعِتْبَارَ وَالْحُجِّيَّةَ.

وَالْأَمْرُ الْآخِرُ هُوَ أَنَّ النَّبِيَّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) هُوَ الْمَشْرُفُ وَالشَّاهِدُ عَلَيْهِمْ بَيْنَمَا مَقَامُهُ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) بِالنِّسْبَةِ لِبَاقِي الْأَنْبِيَاءِ غَائِبٌ عَنْهُمْ، أَيْ أَنَّ مَقَامَ سَيِّدِ الْأَنْبِيَاءِ الْغَيْبِيِّ النُّورِيِّ هُوَ فِي خَفَاءٍ عَنِ الْمَقَامَاتِ النُّورِيَّةِ لِلْأَنْبِيَاءِ الْبَاقِينَ، وَإِلَّا لَكَانُوا هُمْ مُشْرَفِينَ وَشَاهِدِينَ عَلَيْهِ، وَلَكِنْ الْأَمْرُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) مِنْ نَاحِيَةِ مَقَامَاتِ الْأَنْبِيَاءِ لَيْسَ بِخَافٍ عَنْهُ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ثُمَّ إِنَّهُ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَلَيْسَ مُصَدِّقًا بِهِمْ وَهَذَا تَبْيَانٌ لَعُلُوِّ مَقَامِهِ عَنِ التَّصَدِيقِ لِأَشْخَاصِهِمْ بَلِ التَّصَدِيقِ لَوْحَى اللَّهِ إِلَيْهِمْ.

كُلُّ هَذَا وَالْبَارِي تَعَالَى يَشْهَدُهُمْ عَلَى ذَلِكَ (قَالَ أَوْفَرَزْتُمْ وَأَخَذْتُمْ

عَلَى ذَلِكُمْ إِضْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَ أَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ) فنلاحظ هنا الميثاق ثم الإقرار ثم تغليظهما ثم الإشهاد على ذلك وهو سبحانه وتعالى معهم فى الاشهاد، فهذه خمسة تغليظات عند الله، وهو إعظام لشأن سيد الأنبياء (صلى الله عليه وآله) بيان لمحوريته ومركزيته (صلى الله عليه وآله) دون باقى الأنبياء (عليهم السلام)، وهناك روايات لدى الفريقين تؤكد على هذه المحوريه والمركزيه.

فعن عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): لما أكل آدم من الشجره رفع رأسه إلى السماء فقال: أسألك بحق محمد إلا-رحمتى، فأوحى الله إليه: ومن محمد؟ فقال: تبارك أسمك لما خلقتنى رفعت رأسى إلى عرشك فإذا فيه مكتوب: (لا إله إلا الله محمد رسول الله) فعلمت أنه ليس أحداً أعظم عندك قدراً ممن جعلت اسمه مع اسمك، فأوحى الله إليه:

يا آدم إنه لآخر النبيين من ذريتك فلولا محمد ما خلقتك(١).

وعن عبد الله بن عباس قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) لما أعطى الله تعالى الألواح فنظر فيه قال: يا رب لقد أكرمتنى بكرامه لم تكرمها أحداً من قبلى قال: يا موسى إنى اصطفتك على الناس برسالاتى وبكلامى فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين، بجد ومحافظه وموت على حب محمد (صلى الله عليه وآله).

قال موسى: يا رب ومن محمد؟ قال: أحمد الذى أثبت أسمه على عرشى من قبل أن أخلق السماوات والأرض بألفى عام. إنه نبيى وصفيى وحييى

ص: ٢٢٨

١- (١) بحار النوار ج ١١٦: ١١، معجم الأوسط للطبرانى ج ٣١٣: ٦، السيره الحليه ج ٣٥٤: ١.

وخيرتى من خلقى وهو أحب إليّ من جميع خلقى وجميع ملائكتى.

قال موسى: يا رب إن كان محمد أحب إليك من جميع خلقك فهل خلقت أمته أكرم عليك من أمتى؟ قال: يا موسى إن فضل أمه محمد على سائر الخلق كفضلى على جميع خلقى (١).

النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ رَحِمَهُ لِكُلِّ الْعَوَالِمِ:

فيايمان الأنبياء بالنبي محمد (صلى الله عليه وآله) استحقوا الحصول على مقامات فوق الجنة، فإن الوحي والكتب التى أنزلت عليهم فوق الجنة، لأن الجنة جسمانية والمعارف والأنوار وعالم الغيب الملكوتى عند الأنبياء أعظم من الجنة وما فيها من الحور العين، يقول البارئ تعالى وَ مَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ

(٢). فإنه باب رحمة الله للعالمين فمن يصد عن باب رحمة الله فَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ طَرِيقَهُ إِلَى نِقْمَةِ اللَّهِ وَسَخَطِهِ، وَالْبَارِئُ يَقُولُ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ فَلَيْسَ لِعَالَمٍ وَاحِدٍ بَلْ لِكُلِّ الْعَوَالِمِ، وَهَذَا يَتَضَحُّ أَنَّهُ إِذَا كَانَتِ الْكُتُبُ السَّمَاوِيَّةُ الَّتِي أَنْزَلَتْ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ أَعْظَمَ مِنَ السَّمَاءِ، وَأَعْظَمَ مِنَ الْجَنَّةِ، وَأَعْظَمَ مِنَ النَّارِ بَلْ وَأَعْظَمَ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَإِنَّ كُلَّ الْكُتُبِ السَّمَاوِيَّةِ كُتُبٌ وَحْيَانِيَّةٌ وَفِيهَا غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَمْ يَنْلِهَا الْأَنْبِيَاءُ إِلَّا بِالتَّوَجُّهِ إِلَى الْخَاتَمِ (صلى الله عليه وآله)، وَهَذَا يَقْتَضِي أَنَّهُ (صلى الله عليه وآله) هُوَ مَمَرُ رَحْمَةِ اللَّهِ

ص: ٢٢٩

١- (١) تفسير الثعلبى ج ٢٨: ٤.

٢- (٢) سورة الأنبياء: الآية ١٠٧.

لكل عالم الوجود والخلق، فهو عميد الأنبياء والأمين العام على الأنبياء وخاتمهم والشاهد عليهم، والقرآن يفصح بذلك لكن بالتدبر، أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا (١).

إذن لابد من التدبر والتفكير بموازين الدلالة وبهداياه أئمه الهدى من أهل البيت (عليهم السلام) نلتفت إلى البيانات العلميه فى القرآن الكريم.

النبي وعترته وعالم النور:

ربما يتحسس الكثير من القول بعالم النور ممن يجعل من عالم الحس أو إصالة الحس هى المبدأ والمنتهى وهى كل شىء، ولكن هناك وجود لعالم النور وعالم الذر وعالم الميثاق، وهذه ليست مجرد أحاديث كما يدعى البعض، أنها تعشعش وتدغدغ المشاعر الخياليه ولهذا السبب تولدت عده أسئله حول هذه العوالم وإن كانت هذه الأسئله قد أثيرت قديماً، بل حسب منهاج أهل البيت (عليهم السلام) هذه القواعد مستمده من كتاب الله تعالى وأن هناك نشأه نوريه لأولياء الله وحججه لا سيما خاتم النبيين، وإن لم يسلط الضوء على هذه النشأه النوريه ومعرفه آثارها وأحكامها التكوينييه فى قبال من يقول بالأحكام الفيزيائيه المادييه فلا يتمكن من معرفه الكثير من المشاهد المعرفيه فى القرآن الكريم، وهذا ما يشير إليه فى أول قصه يستعرضها لنا القرآن الكريم.

ص: ٢٣٠

ذكر في سورة البقره قصه استخلاف الله عَزَّ وَجَلَّ لآدم، وفي الحقيقه يعتبر هذا المقام ملحمه قرآنيه عظيمه وأن نموذجه الأول زمناً وليس حصرياً بآدم (عليه السلام)، فقد صدر المرسوم والأمر الإلهي الرئاسي إلى ملائكته وجنوده في الملكوت وهو: **إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ (١).**

والتعبير بخليفه الله توصيف عظيم وهو يغير التعبير برسول الله، ولسنا في صدد إستعراض كل صفحات هذا المشهد العظيم إلا أنه فاتحه العقائد القرآنيه التي يستعرضها للإيمان ودين الإسلام والمشهد العقائدي العظيم في طليعه الخليفه، والقرآن ليس كتاباً يداعب الخيال أو النزوات التي في آفاق تصورات البشر، بل هو كتاب حقائق ومعرفه.

الأسماء وجودات كائنات حيه عاقله شاعره:

هناك أسماء علمت لآدم دون غيره من الملائكه، ومع مكانه هؤلاء الملائكه العظام كجبرئيل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل ومالك خازن النيران ورضوان خازن الجنان وغيرهم من الملائكه الذين محل سكنهم السموات السبع والآخره وبطبيعته الحال هؤلاء الملائكه يعلمون ما لا نعلمه من هذه السموات من غيب، فإن كل سماء فوقانيه غيب عن السماء الأدون منها، وكل سماء هي عالم ذو طبقات إلى أن تصل إلى السماء السابعه، وهذه العوالم يقال عما ورائها غيب السموات مع أن السماوات

ص: ٢٣١

هى غيب بالنسبه لنا، ولكن هناك غيب الغيب، هذا الغيب لا تعلمه حتى الملائكه ولكن آدم (عليه السلام) علم مما فيه، وأحد هذه المغيبات هى تلك الأسماء الشاعره العاقله الحيه التى أشير إليها فى الآيات بضمير (هم) وبأسم الأشاره (هؤلاء) وكل من اللفظين يستعمل للكائن الحى الشاعر العاقل وَ عَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ (١).

فهناك غيب للسموات والأرض لا تطلع عليه الملائكه وهذا الغيب فيه أسماء إلهيه ووجودات حيه شاعره عاقله ولا أحد يعرف هذه الأسماء الإلهيه إلا الله تعالى وخليفته، وهذه الأسماء أفصح عنها فى روايات الفريقين أنها محمد وآل محمد (صلوات الله عليهم أجمعين) (٢).

وبعباره أخرى إن هذه الموجودات العظيمة الخلقه المحيطة بالسموات والأرض - الأسماء الإلهيه - أعظم من السموات السبع وما فيها لأنها غيب السموات، والدليل على ذلك أن الملائكه مع ما يصفهم القرآن الكريم من قوه ومكنه كما فى جبرئيل وَمَا تَشَاوُنَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٣).

ص: ٢٣٢

١- (١) سورة البقره: الآيه ٣١ - ٣٣.

٢- (٢) للتوسع فى هذا الموضوع يراجع الإمامه الإلهيه وعماره قبور النبى وآله للشيخ الأستاذ (دام ظله).

٣- (٣) سورة التكوير: الآيه ٣٠ - ٣١.

وكذلك عزرائيل بما له من قوه متعاضمه فى قبض روح البشر والنباتات والحيوانات والجن وبما له من هذه القدره فى حيطه الأرض والسّموات أو الكواكب.

وكذلك فى ميكائيل وإسرافيل الذى وكل بنفخ الصور، رغم كل هذه الشؤون العظيمه التى بينها القرآن الكريم للملائكه الأربعة المقربين فقد كانوا مأمورين بالسجود والخضوع والطاعه لخليفه الله وكذا بقيه الملائكه جهلوا بهذه الأسماء الإلهيه العظيمه، حتى قالوا لا علم لنا إلا ما علمتنا .

فلا بدّ أن نضع هذه الفقرات القرآنيه فى إتساق ونسق كى ترسم لنا الصوره واضحه، لاسيما وأن هذه حقائق وأصول أمهات معارف القرآن الكريم فلا بد لنا ان نقف عندها ملياً، ولا نحمل أهوائنا على القرآن الكريم، ولا ننفر مما يرسمه لنا من حقائق، بل يجب أن نسلم قلوبنا وأفكارنا وعقائدنا وعقولنا لتلك الحقائق القرآنيه الملكوتيه فسبحان الذى بيده ملكوت كل شئ و إليه تُرجعون (١)، فملكوت السموات والأرض بيد الله تعالى وتحت سيطرته تعالى، وفى آيه أخرى يقول تعالى: وَ السَّمَاءَ بَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ (٢)، يعنى أوجدتها بتوسيط هذه

ص: ٢٣٣

١- (١) سورة يس: الآيه ٨٣.

٢- (٢) سورة الذاريات: الآيه ٤٧.

الأيدى، فإن الله ليس بجسم، ولكن هناك مخلوقات أجرى الله فيضه على يدها، وهي ممر فيض الله للسموات والأرض وهي نور السموات والأرض **اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَ يُضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١)** فهنا التعريف للنور المخلوق المضاف تشریفاً إليه تعالى وليس الآية في مقام بيان الذات الأزلية السرمديه بل النور المخلوق الذي نور السموات والأرض بالظهور للوجود من العدم، فهذه خمسة أنوار بينها الآية الكريمة لأنه ذكر فيها تشبيه جنس النور بخمسة تشبيهات إشاره للعدد خمسة في الأنوار وهذا تنصيص من سوره النور بهذا العدد والذين هم أنوار أصحاب الكساء وقد بينا ذلك مفصلاً في بعض الأبحاث (٢)، نعم في الآيات تشبيهات أخرى تضمنيه تبلغ مع الخمس المطابقه أربعه عشر عدد المعصومين (عليهم السلام) وقد بينت ذلك الروايات في التحليل التركيبي للآيات.

تشاهد الآيات والسور حول النشأ النوريه:

ففي سوره البقره كائنات حيه شاعره موجوده في (غَيْبَ السَّمَاوَاتِ

ص: ٢٣٤

١- (١) سوره النور: الآيه ٣٥ - ٣٧.

٢- (٢) الإمامه الإلهيه، عماره قبور النبي وأهل بيته.

وفى سورة النور كائنات نوريه خمس أو أربعه عشر هى المنوره المظهره لوجود السموات والأرض (نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) .

وفى سورة الأنبياء وَ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ (١)

ففى هذه الآيه هناك ثلاث تقسيمات سموات وأرض والثالث من كينونتهم فى مقام العنديه عند الله بل عند اسم هو (عنده).

ففى الآيه الأولى ذكر البارى تعالى (الغيب) وفى الثانيه ذكر تعالى (النور) وفى الثالثه ذكر تعالى (عنده) أى مقام العنديه، فالذى عند الله هو أقرب العوالم المخلوقه إليه تعالى، ولا- يمكن أن تكون للبارى تعالى منطقه جغرافيه خاصه به بل وَ هُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ (٢)، ولكن هناك نشأه من النشئات خارجه عن السموات وعن الأرض، نعم مخلوقه هى ولكنها خارجه عن الزمان والمكان والتكوين، وإنما هى فى ظل العرش الإلهى.

إذن هناك ثلاث أقسام فى تقسيم المخلوقات:

القسم الأول: المخلوقات التى فى السموات وهى الملائكه بما فيهم جبرائيل وإسرافيل وميكائيل وعزرائيل ومالك ورضوان وغيرهم من

ص: ٢٣٥

١- (١) سورة الأنبياء: الآيه ١٩.

٢- (٢) سورة الحديد: الآيه ٤.

الملائكة الذين لهم شؤون عظيمه.

القسم الثاني: المخلوقات التي فى الأرض وهى الجن والإنس وغيرهم.

القسم الثالث: ومن عنده. وهذا القسم خارج السموات والأرض، وهو مقام غيب السموات والأرض والذى هو مقام العنديه للساحه الربويه.

وبعبارة أخرى هو أول المخلوقات صدوراً منه تعالى وهو أقرب المقربين الذين قال تعالى فى مدحهم وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ (١).

وكذا فى قوله تعالى فَإِنْ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ (٢).

ولم يكتفى البارى تعالى بذلك بل وصفهم بأنهم عباد ومكرمون وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ (٣).

فليس صفه العبوديه فقط وإنما هنالك صفه أخرى أكد عليها البارى تعالى وهى (مكرمون)، يعنى لديهم الكرامات التكوينية من قبل الله تعالى.

ص: ٢٣٦

١- (١) سورة الأنبياء: الآيه ١٩ - ٢٠.

٢- (٢) سورة فصلت: الآيه ٣٨.

٣- (٣) سورة الأنبياء: الآيه ٢٦ - ٢٧.

إذن هذه المقامات الغيبية فيها مجد تكويني وهذا ليس ثناء أدبي، شعري، أو من الخيال.

معرفة الخلقه النوريه هي أم المعارف:

إن معرفه النبي (صلى الله عليه و آله) وأهل بيته هي بالنشأه النوريه أو الخلقه النوريه هي أم المعارف، وهذه الظاهره الكونيه هي من فواتح خلق الله، فإن الإنسان يتميز عن الموجودات بأكمل كمال، كما أن النبات ميز عن الجماد بالنمو فنلاحظ هذا النمو والتنامي في جسم النبات هو الذي ميزه عن الجماد كالحجر والمدر لأنه أكمل كمال في النبات.

ومن باب المثال، الهواء ليس فيه حياه ونمو، وكذلك الأرض ليس فيها حياه ونمو بينما النبات فيه حياه ونمو مع أن الأرض أكبر كتله من الشجره المعمره ولكن هذه الشجره فيها حياه ما ليس في الأرض.

أيضاً هناك تمايز بين الحيوان والنبات، فربما هناك شجره عملاقه تظل آلاف السنين معمره وذات قطر وحجم كبير جداً ولكن نجد الحيوان الصغير فيه كمال لا يوجد في هذه الشجره الكبيره، فنرى لدى الحيوان الصغير الحركه والحس والشعور والخيال والخوف واللذه، بمعنى أنه يستشعر إدراكات حسيه حيوانيه ليست موجوده في تلك الشجره.

أيضاً لو أردنا أن نقارن أو نقايس بين الحيوان والإنسان نجد هناك فوارق بينهما، فهناك حيوانات تبصر ما لا يبصره الإنسان، وتسمع ما لا يسمعه الإنسان، وهذا ما حدث مثلاً في زلزال توسونامي حيث كانت

بعض الحيوانات كالكلاب قد استشعرت بالزلازل قبل البشر، فإن إدراكاتها الحسية أقوى من الإنسان ورغم ذلك الإنسان فيه كمال أعظم لا- يوجد عند هذه الحيوانات ألا- وهو العقل، فرغم هذه المدارك الحسية الضعيفة التي لدى الإنسان قياساً بالإدراكات التي تمتلكها تلك الحيوانات كالشم والسمع والبصر إلا أن هناك كمالاً أعظم من هذه الحيوانات يمتلكه الإنسان الذي هو العقل.

فلو أردنا أن نشبه ذلك بمخروط هندسى لهذه الكائنات، فقاعدته السفلية أوسع بكثير من القمه، أما عند الإنسان فيكون مثلث مقلوب القاعده، حيث تكون قاعدته فوقه والتي هي العقل.

ففى النشأ الكونيه هناك مثلثان وجوديان متعاكسان، والقرآن الكريم يصف الإنسان أنه سخر له كل شىء فى السماوات والأرض.

قال تعالى: أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَافِى السَّمَاوَاتِ وَمَافِى ١.

وقوله تعالى: وَ سَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ٢.

وقوله تعالى: اللَّهُ الَّذِى سَخَّرَ لَكُمْ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ ٣.

كل هذا سخره البارى تعالى للإنسان ولقد كرّمنا بنى آدم وحملناهم فى

الْبُرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا (١).

ربما الماديون أو الحسيون يتعاضم لديهم الحس ويكبر ولكن القرآن الكريم ينفي ذلك ويقول أن الحس درجه وجوديه ضعيفه، لأن كرامه الإنسان تعل على السماء أو على الأرض أو على الحيوانات والنباتات ليست ببدنه أو جثته بل بعقله، لأن العقل قاعدته وسيعه وأوسع من السماء والأرض «ففى الحديث القدسى يقول الله عَزَّ وَجَلَّ: لا يسعنى أرضى ولا سمائى ولكن يسعنى قلب عبدى المؤمن» (٢). نعم لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ * ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ .

وقال تَعَالَى: قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا . فالإنسان كريم إن لم يتسافل ويدس نفسه فى وحل وبرائن الهوى والشهوات.

لأن السماء مهما اتسعت حدودها الجغرافيه - وكما نعلم أن الله عَزَّ وَجَلَّ لا تحده حدود جغرافيه - ولكن نور عقل الإنسان ليس فيه حد جغرافى، فتجلى الظهور الإلهى فى قلب المؤمن يعنى فى نوره وعقله، فالعقل يتجلى فيه مرآه الأنوار الربوبيه، ولكن السماء مع أنها آيه ولكن لا يتجلى فيها ما يتجلى فى تلك المرآه.

فالإنسان فى خلقته مثلث ضعفه فى أسافله ولكن قاعدته الوسيعة فى

ص: ٢٣٩

١- (١) سورة الإسراء: الآية ٧٠.

٢- (٢) عوالى اللئالى لابن جمهور الاحسائى ج ٧: ٧.

أعاليه، وهذا عكس الموجودات الأخرى كالأرض والسماء والحيوان والنبات فإن قاعدته فى أسافله وأعاليه ضعيفه.

ففى الموجودات مثلثان متعاكسان فى بيان المقارنه بين الإنسان والموجودات الأرضيه الأخرى.

الإنسان الكامل والملائكه:

والآن نقارن بين الإنسان الكامل من الأنبياء والملائكه، فلو لاحظنا قدره الهائله لجبرائيل (عليه السلام) بحيث يقول البارى تعالى ذى قُوِّهِ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ (١) فهو أمين وحى وله قدره يقلب قرى بكاملها كما فعل ذلك فى قوم لوط فلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ (٢).

وكذلك قدره عزرائيل (عليه السلام) بحيث يتوفى كل الأنفس من الجن والإنس والنبات والحيوان قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَلَكُ الْمَوْتِ (٣).

وكم هى قدره ميكائيل فى تدبير أرزاق السموات والأرض، وكم هى قدره اسرافيل فى نفخ الحياه فى كل شىء من الموجودات الأرضيه والسماويه.

والقدره الجسمانيه السماويه للملائكه الأربعة المقربين مع عظمتها وقوتها ولكن نورهم لم يصل إلى نور آدم بل غابت عنهم حقائق ولكن هذه الحقائق موجوده لدى آدم (عليه السلام)،

ص: ٢٤٠

١- (١) سورة التكوير: الآيه ٢٠ - ٢١.

٢- (٢) سورة هود: الآيه ٨٢.

٣- (٣) سورة السجده: الآيه ١١.

فرغم وجودهم السماوى العظيم ولهم ما لهم من نور إلا أنهم لم يصلوا لتلك الحقائق التى لدى آدم (عليه السلام) كنموذج أولى لحجج الله، ولذلك أمرهم البارى تعالى أن يسجدوا لآدم وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا (١)، وهذا السجود بمعنى الطاعة لآدم (عليه السلام).

فالبشر قياساً إلى الأرض أو الجبال أو إلى السماء أو إلى القمر أو بالقياس إلى الفيل نراه صغير الجسم قياساً لهؤلاء ولكن المسيطر على هذه الجمادات وهذه الحيوانات هو هذا الإنسان الصغير الجسم بما أودع الله به من قوه العقل والعلم بحيث استطاع أن يطير إلى الكواكب ويسيطر هذه السيطره ببركه هذا العقل فأصبح حاكم ومسيطر على بقية الموجودات فأنفذوا لا تنفذون إلا بسُلطانٍ (٢).

فسلطان العقل أعظم من السماء الأولى والثانية إلى سبع سموات، وأعظم من الأرض ومن النباتات ومن الحيوانات لأن العقل قاعدته فوقيه.

وهذا كله بالنسبه إلى الإنسان الذى هو حجه من حجج الله تعالى، وهو أكمل فرد بشرى بل أعظم البشر، فحينئذ قاعدته النوريه تكون أوسع فأوسع، ومن ثم يكون آدم بماله من نور يطوع الله عزَّ وجلَّ له كل الملائكه رغم صغر جثته فإن آدم كائن أرضى والملائكه الأربعة - ميكائيل وإسرافيل وجبرائيل وعزرائيل - كائن سماوى ومن نشئات عظيمه جداً، لأن هذا

ص: ٢٤١

١- (١) سورة البقره: الآيه ٣٤.

٢- (٢) سورة الرحمن: الآيه ٣٣.

الموجود الأرضى رغم صغر جثته إلا أن قاعدته الوجوديه فى بنائه الوجودى وفى خلقه الوجودى عند الله عَزَّ وَجَلَّ أعظم ما خلق الله عَزَّ وَجَلَّ قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ (١).

ومن الواضح أن الذى يكون له قاعده وسيعه وجوديه فى غيب السموات أو فى نور السموات يكون مسيطر على الموجودات يعنى سخر الله له كل هذا تحت سيطرته وهذه السيطره ليست مستقله عن إرادته الله عَزَّ وَجَلَّ وإنما هى تمكين من الله عَزَّ وَجَلَّ.

فإذا كان كل هذا لآدم (عليه السلام) فحينئذ يكون ما هو أعظم من هذا لرسول الله (صلى الله عليه و آله)، وتكون لخاتم النبيين (صلى الله عليه و آله) تلك الشأنيه وتلك الصلاحيات بحيث يأمره جبرائيل وميكائيل واسرافيل وكل ملك فى السموات، وإذا كان رضوان خازن الجنان ومالك خازن النيران تحت إمره خليفه الله آدم فما بالك بسيد الأنبياء وخاتم النبيين، بل ومن هو كنفس رسول الله (صلى الله عليه و آله) بنص القرآن الكريم حتى أصبح قسيم الجنه والنار. فلا يمكن لنا أن نستغرب أو نستنكر بنزعات ماديه حسيه وكيف يكون كل هذا لبشر صغير الجثه، نعم هو بشر ولكن أودع ربه فيه فى طبقات وجود العليا علم الأسماء وطوع له أعظم ملائكته وجعلهم تبعاً له، ومن الواضح أن الله عَزَّ وَجَلَّ ليس لديه

ص: ٢٤٢

محاباه ومجاملات وإنما جعل الله عزَّ وَجَلَّ له ذلك لما يمتلكه هذا الموجود من علم وعقل وقدره يسيطر بها على السموات والأرض، وأليس القرآن الكريم نبأ عن جعل إلهي صلاحيات للملائكة في الأرض وفي السماء الأولى والثانية والثالثة إلى سبع سموات وفي الجنة وفي النار وَ نَادُوا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَا كُنْتُمْ (١).

كرامه الإنسان الكونية:

فالله عزَّ وَجَلَّ جعل للإنسان كرامه كونه وليست كرامه تشريفية وَ لَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي (٢). فهذه الكرامه كرامه كونه وقدره كونه تكوينيه بحيث يستطيع بهذه القدره أن يسيطر على الأرض وعلى السماء وعلى الهواء وعلى الجن والحيوان والنبات. وأمتلك وسيطر على هذه الأشياء ليس بجثته الصغيره ولا بإدراكاته الحسيه المتناهيه إلى مدى قليل، بل بالقدره الكونية وبالعقل والعلم يسيطر على ذلك إذ العقل عين مسلحه تنفذ وتثقب العوالم.

وهناك الكثير من الأشياء الماديه لا يسمعها الإنسان، وهناك أشعه ضوئيه لا تبصرها عين الإنسان، وروائح لا يشمها الإنسان بينما بعض الحيوانات لديها القابليه على ذلك، فلغه الكرامه في القرآن لغه حقائق وَ قَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ

(٣)

ص: ٢٤٣

١- (١) سورة الزخرف: الآيه ٧٧.

٢- (٢) سورة الإسراء: الآيه ٧٠.

٣- (٣) سورة الأنبياء: الآيه ٢٦.

وليس بحث شريعته وتشريع قانونى وإنما بحث فيض تكوينى من الله لأولئك الحجج.

فكرامه الإنسان تسخير أكثر المخلوقات له بواسطة ما أنشأ الله عزَّ وجلَّ فى الإنسان من رمز هويته الإنسان ومن مائز ميز الإنسان عن بقية الموجودات وهو العلم الذى فى العقل.

الكفار وقريش يستصغرون الأنبياء:

وعندما نرى الكفار وقريش يستصغرون شأن النبى (صلى الله عليه وآله) وَقَالُوا مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَشْوَاقِ (١) فهو ناشئ من صنميه الحس والماديه، وهل عظمه الإنسان فى بدنه، ونلاحظ هؤلاء الحسيون وهؤلاء الماديون لا زالت هذه النزعة المريضة فى فكر هؤلاء البشر، كالذى ينكر التوسل والشفاعة بسيد الأنبياء (صلى الله عليه وآله) ويقول أصبح تراب ويظن أن عظمه رسول الله (صلى الله عليه وآله) بمجرد البدن والطين والماء وما شابه ذلك. بينما عظمه الإنسان ليست ببدنه بل ولا بمجرد نفسه، ولا بمجرد الجانب الروحى بل فى ما هو أعظم من الجانب البدنى، والغريزى، والنفسى، والروحى، بل هو بالجانب النورى الذى هو العقل، فبالعقل أصبحت للإنسان قدره يسيطر بها على الموجودات.

فلهذا قدم تعالى الأنبياء على الملائكة المقربين لأن لديهم علم لدنى

ص: ٢٤٤

ليس بحوزه جبرائيل وإسرافيل وباقي الملائكة. فإن أبواب السماء تفتح أو تغلق وكذلك المقادير تتغير وتبرم بمفاتيح وخزائن ليست في السموات والأرض بل في عالم وراء السموات والأرض وفي غيب السموات والأرض وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ (١).

فالمشار إليهم في الآية ب (هؤلاء) هم في غيب السموات والأرض، ومن هنا يتضح أن قدره جبرائيل لا تشتمل على خزائن السموات بيده وكذلك اسرافيل وعزرائيل وميكائيل. وكذلك قدره مالك لا تشتمل على خزائن النيران، وهكذا رضوان خازن الجنان، بل هذه الخزائن هي في الغيب أيضاً، وهذه القدره فوق قدره الملائكة ولكن هي موجوده فسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ عند من أعطاه الله ذلك العلم الذي وصف بأنه يد الله كما في سورة فصلت فَإِنْ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ (٢).

ولذلك نرى القرآن الكريم يؤكد باستمرار إلى وجود مخلوقات عند الله تعالى وهي ليست في السموات ولا في الأرض بل في مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ

ص: ٢٤٥

١- (١) سورة البقره: الآيه ٣١ - ٣٣.

٢- (٢) سورة فصلت: الآيه ٣٨.

مُقْتَدِرًا وهذا هو مقام العنديه، وإذا سئل سائل من أين تقولون بذلك، من أن هناك موجودات لها مقام العنديه عند رب العالمين، نقول له القرآن يصدع في الآيات والسور السابقه بذلك وحينئذ إخراجهم أفتؤمنون ببعص الكتاب و تكفرون (١).

يقول تعالى (وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ) (٢)، أضف إلى ما مر في سورة البقره وسوره النور فضلاً عن سور عديده أخرى يضيق المقام عن استقصائها، فهناك قسم ثالث خاص غير السموات والأرض وغير الملائكه هؤلاء هم (بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ) كرمهم الله تعالى بخزائن غيبه وإذا كان الأمر هكذا فكيف لا يأمر الله تعالى جبرائيل وميكائيل وكل الملائكه بالسجود والطوعانيه لخليفه الله (سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ) (٣) وهذا هو عالم العنديه الذي سمي في سورة البقره بغيب السموات والأرض والذي أشير فيه إلى أسماء هؤلاء، وهو نفس عالم النور الذي أشير إليه في سورة النور بنور السموات والأرض، والذي فيه وجودات خمسه وهي حيه عالمه عاقله شاعره الذين هم أصحاب الكساء.

والذين هم في سورة القمر في مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ

ص: ٢٤٤

١- (٢) سورة البقره: الآيه ٨٥.

٢- (٣) سورة الأعراف: الآيه ٢٠٦.

٣- (٤) سورة الجاثيه: الآيه ١٣.

فالمقعد والمكان إذا كان جسمانياً فكيف يكون ويوصف بالصدق أو الكذب، فلا محاله هذا المقام مقام علمي فإن العلم هو الذي يتصف بالصدق أو الكذب أو أنه يصيب أو لا يصيب.

فهناك خزائن الغيب ومن خلال هذه الخزائن للغيب تنزل فيوضات كماله على أهل السموات وعلى أهل الأرض وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ (١).

مقام (فكان قاب قوسين):

ففي سورة النجم لم يصف الله عَزَّ وَجَلَّ أى مخلوق من مخلوقاته سواء كان من الملائكة أو من الأنبياء أنه أقرب المقربين إلا خاتم النبيين (صلى الله عليه و آله) حيث وصفه ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى (٢).

وهذا هو أدنى الدنو وأقرب القرب، وهذا هو أحد أدله سؤدد خاتم النبيين (صلى الله عليه و آله) على جميع الأنبياء (عليهم السلام)، وهناك وجوه قرآنيه كثيره جداً على ذلك وهو (صلى الله عليه و آله) أقرب الخلق - والمخلوقات والعباد كلهم كافه - إلى الله تعالى.

ومن الغريب نجد أن بعض المفسرين فسر هذه الآية بأنه قرب جبرئيل من رسول الله (صلى الله عليه و آله)، والحال أن بعد هذه الآية مباشرة قوله تعالى فَأَوْحَىٰ إِلَيَّ عَبْدِي مَا أَوْحَىٰ

(٣). وهذه الآية تدل على القرب من المقام الربوبى وأن الوحي ثمه ليست بوساطه جبرائيل.

ص: ٢٤٧

١- (١) سورة الحجر: الآية ٢١.

٢- (٢) سورة النجم: الآية ٨ - ٩.

٣- (٣) سورة النجم: الآية ١٠.

وكما يشير الإمام الحجة (عج) في دعاء الندبه:

من دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى دنواً واقترباً من العلى الأعلى.

وكما في روايات الفريقين أن اسم النبي (صلى الله عليه و آله) مقرون في العرش باسم الله عَزَّ وَجَلَّ ومقتضى نفس اقتران الأسمين أنه (صلى الله عليه و آله) أقرب الخلائق إلى الله عَزَّ وَجَلَّ، وهو مفاد قوله تعالى وَ رَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ أَي قرن اسمه باسمه تعالى.

فَقَدْ وَرَدَ فِي رِوَايَاتِ الْفَرِيقَيْنِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آله) قَالَ: «لَمَّا اقْتَرَفَ آدَمُ الْخَطِيئَةَ، قَالَ: يَا رَبِّ أَسْأَلُكَ بِحَقِّ مُحَمَّدٍ لَمَّا غَفَرْتَ لِي، فَقَالَ: يَا آدَمُ وَكَيْفَ عَرَفْتَ مُحَمَّدًا وَأَلَمْ أَخْلُقْهُ؟ قَالَ: يَا رَبِّ لِأَنَّكَ لَمَّا خَلَقْتَنِي بِيَدِكَ وَنَفَخْتَ فِيَّ مِنْ رُوحِكَ رَفَعْتَ رَأْسِي فَرَأَيْتَ عَلَيَّ قِوَامَ الْعَرْشِ مَكْتُوبًا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ، فَعَلِمْتُ أَنَّكَ لَمْ تَضِفْ إِلَيَّ اسْمَكَ إِلَّا أَحَبَّ الْخَلْقِ إِلَيْكَ، فَقَالَ: صَدَقْتَ يَا آدَمُ إِنَّهُ لِأَحَبِّ الْخَلْقِ إِلَيَّ، أَدْعُنِي بِحَقِّهِ فَقَدْ غَفَرْتَ لَكَ، وَلَوْلَا مُحَمَّدٌ مَا خَلَقْتَكَ» (١).

وفي روايه أُخْرَى عَنْ أَنَسٍ وَبُرَيْدِهِ، قَالَ: قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آله) هَذِهِ الْآيَةَ فِي بُيُوتِ أَذْنِ اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ... فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ فَقَالَ: أَيُّ بَيْوتِ

هَذِهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: بَيْوتِ الْأَنْبِيَاءِ، فَقَامَ إِلَيْهِ أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ: هَذَا الْبَيْتُ مِنْهَا؟ بَيْتِ عَلِيٍّ وَفَاطِمَةَ، فَقَالَ: نَعَمْ، وَمَنْ أَفْضَلُهَا (٢).

ص: ٢٤٨

١- (١) المستدرک علی الصحیحین / الحاکم النیسابوری: ج ٦١٥: ٢.

٢- (٢) الدر المنثور ج ١٨٦: ٦؛ روح المعانی ج ١٨: ٩؛ شواهد التنزیل ج ٤٠٩: ١؛ ح ٥٦٦، ٥٦٧، ٥٦٨.

فنجِد أنّ القرآن الكريم يفصح عن عالم وجودى وراء السموات والأرض، وهذا العالم الوجودى له حظوه. بحيث يسجد الله له ملائكته ويطوّع الله له ملائكته القدرات المقدره والتي هي خزائن الغيب بحيث تكون لهم سيطره على السموات وعلى النار وعلى الجنّه كما بيّنا سابقاً.

مقام التمكين:

وهذا العالم أو النشأه تظهر مدى سعه الكمالات والصفات المرتبطه بسيد الأنبياء (صلى الله عليه وآله)، فإذا كان ذو القرنين إنّنا مكّنا له فى الأرضِ وَ آتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَيِّباً (١) فكيف بسيد الأنبياء (صلى الله عليه وآله) فقد أعطاه الله عزّ وجلّ مقام التمكين الذى لم يعطه لأحد من الأنبياء، وهذا ما أشار إليه القرآن الكريم فى قصه آدم والأسماء كما مرّ بنا سابقاً ومن يكون لديه التمكين والمكانه فى ذلك العالم فهو أعظم تأثيراً وصلاحيه عند الله عزّ وجلّ.

ولو أردنا أن نتصور ذلك العالم وأردنا أن نقارن بين شعور العقل باعتبار أنّ العقل أعلى مرتبه وجوديه فى الإنسان، فالعقل ليس له حركه البدن، وليس له ذائقه اللسان، وليست له عين بيضاويه أو أذن لمفاويه، وكذلك ليست فيه غرائز كغريزه الشهوه أو غريزه الغضب أو غريزه اللهو أو الخيال كما فى النفس التى تحتوى على غرائز عديده، إلّا أنّه مع ذلك فإنّ حياه العقل وشعوره وإدراكه أشدّ وأقوى وأتمّ وأكمل من البدن ومن

ص: ٢٤٩

النفس، فإنَّ البدن لو فارقته الروح لأصبح جثَّه هامده، وكذلك الروح عندما تنام تسبت ويدغم إدراكها وهذا كله خلاف العقل فإنَّه لا سبات فيه ولا كلل ولا ملل ولا ينتابه أى جهد ولا جهيد وإن تكل آلتة وهو المخ البدنى.

العقل والنفس:

ومن ثم الذى يقال له مجنون أى مصاب بعقله فليس الخلل فى عقله وإنَّما الخلل هو فى ارتباط النفس بالبدن فى ذلك الشخص بلحاظ ما هو عضو وآله للعقل ولذلك لا- يلام على أفعاله، ولذلك حتَّى العذاب فى النار وما شابه ذلك هو للبدن وللنفس وليس للعقل نعم قد يقرر له عذاب من قبيل ظلمه الجهل ونحوها، ولذلك نرى بعض الآيات أو الروايات تصرِّح بذلك من قبيل قوله تعالى: **إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ (١)** وأما العقل فلا يتجافى عن مكانه الذى هو فى مقام أمين وعلى صراط مستقيم كما فى قول الصادق (عليه السلام): خلق الله العقل من أربعه أشياء من العلم، والقدر، والنور، والمشيه فى الأمر، فجعله قائماً بالعلم، دائماً فى الملكوت (٢).

وإنَّما النفس هى التى تسلك إما طريق الشر أو طريق الخير ولذلك هى

ص: ٢٥٠

١- (١) سورة التوبه: الآية ١١١.

٢- (٢) بحار الأنوار ج ٩٨: ١، الاختصاص: ٢٤٤.

التي تذوق الإيلام الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (١)، وقوله تعالى: إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ (٢).

وعن الإمام علي (عليه السلام): «كلما ازداد علم الرجل زادت عنايته بنفسه وبذل في رياضتها وصلاحتها جهده» (٣).

وقوله (عليه السلام): «من لم يهذب نفسه لم ينتفع بالعقل» (٤).

فالذي يخسر هو الإنسان بروحه وبنفسه، كما أن أخذ الله تعالى من البشر العهد والميثاق في عالم الذر والميثاق وأشهدهم على أنفسهم هو من خلال العقل وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ (٥).

وحيثما جاء الإنسان إلى هذه الدنيا فَإِنَّ الْعَقْلَ بَقِيَ لَدَيْهِ بِمَا يَفْطُرُ عَلَيْهِ مِنْ مَشَاهِدَاتٍ سَابِقَةٍ وَهُوَ الْحُجَّةُ الْبَاطِنَةُ وَالْأَنْبِيَاءُ وَالْأَوْصِيَاءُ هُمُ الْحُجَجُ الظَّاهِرَةُ.

فما الذي تغيّر في الإنسان ما دام عقله باقٍ على الصراط المستقيم، وما

ص: ٢٥١

١- (١) سورة الأنعام: الآية ١٤.

٢- (٢) سورة الشورى: الآية ٤٥.

٣- (٣) غرر الحكم: ١٣١٩، ٤٩٨٠؛ ميزان الحكمه ج ٣٣٢٧: ٨.

٤- (٤) المصدر السابق.

٥- (٥) سورة الأعراف: الآية ١٧٢.

الذى يجرى له حتى يخسر نفسه؟! وكيف يسلك طريق الشيطان حتى يصل إلى جنهم مع وجود الحجتين الظاهره والباطنه. ذلك لأنّ العقل نجد الخير ونجد الشر والهوى هي الغرائز، وبالتالي فالمرتبه النفسانيه التي فيها الإراده والعزم والتقدير قد لا تنصاع ولا ترعوى إلى العقل، بل تنساق إلى الهوى وبالتالي سوف تهوى النفس إلى الدركات السفلى، ولكن العقل لا يزال مناراً إلهياً في باطن الأفراد البشريه ينير ويضيء لهم الطريق، وكلما أحاطت الخطيئه بنفوس بنى آدم أو الجن أكثر فأكثر كلما أنسدل ستاراً كثيقاً أمام الاستشفاف من نور العقل.

ومعرفه المرتبه العقليه في ذواتنا طريق إلى أن نتلمس النشأه النوريه للنبي (صلى الله عليه و آله) لقاعده «من عرف نفسه عرف ربه» فمعرفه النفس طريق لمعرفه الرب فكيف لا تكون طريقاً لمعرفه النبي (صلى الله عليه و آله) التي هي دون معرفه الله عزَّ وَجَلَّ، ومن هنا نلاحظ في مراتب وجودنا بعض الحقائق التي نستطيع أن نتعرف من خلالها على بعض حقائق النبوه. فإنّ المرتبه العقليه أو العقل هو أكثر عنفوان حياتي من النفس وذلك لأنّ أخص خواص الحياه هي الشعور والإدراك، فكلما قوى الإدراك واتسع واشتدّ كلما اشتدت الحياه وقويت القدره والقوه، وهاتان الخاصيتان نشاهدها في العقل أكثر من النفس، فقد تلهو النفس، أو تنام، أو تسهو، أو تجهل بلحاظ المعلومات الموجوده في العقل، بينما معلومات الغرائز في النفس بالقياس إلى معلومات العقل في الإنسان قطره في بحر.

فعلم الإنسان بلحاظ جانب العقل متفجر إذا قيس وقورن بغرائزه، كما لا- كثره معلومات في العلم الذى فى غريزه الغضب أو الشهوه. ولذلك فإن الإنسان بعقله يسيطر على النباتات والبيئات المحيطه به كالحيوانيه والهوائيه والجماديه.

ولهذا يشير القرآن الكريم إلى الذين لا يعقلون أنهم أموات كقوله تعالى: **وَمَا يَشْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ (١)**.

وقوله تعالى: **(وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ) ٢**.

الجنبه البشريه للنبي وأهل بيته عليهم السلام:

من الأوصاف التى يتعرض لها القرآن الكريم للأنبياء أو لخاتم الأنبياء وأهل بيته (عليهم السلام) هى الجنبه البشريه أو الجنبه البدنيه أو النفسانيه، كما أن هناك إشارات وأوصاف لخاتم النبيين بلحاظ النشأه النوريه التى لها آثارها وأحكامها كما مرّ ذلك سابقاً. فمثلاً آدم (عليه السلام) الذى أسجد الله له ملائكته وأبى إبليس ذلك، كان هذا السجود لأجل نشأته أو مرتبه النوريه، فأدم (عليه السلام) فى مرتبه النوريه له أحكام وأوصاف غير آدم فى مرتبه النفسانيه وإن كان هو (عليه السلام) فى كل المراتب أسمى، ولكن الذى يترك الأولى ربما فى

ص: ٢٥٣

مرتبته النفس وليس في مرتبه النور والعقل، كما أن الذى يعطش، ويجوع، ويعرى، ويكسى، هو مرتبه البدن وليس مرتبه النفس أو مرتبه العقل.

فإنّ العقل لا يشعر بالحزن، أو بالفرح، أو بالجوع والعطش وإنّما الذى يشعر بذلك هو النفس مع أنّ النفس غير البدن، فهناك صفات متعدده يتصف بها الإنسان بلحاظ مراتب ذاته ومنها مرتبه النفس كالآلم والانقباض والانبساط وما شابه ذلك.

والإنسان كائن بشرى ذو مراتب وطبقات وجوديه ولا يمكن أن نخلط بين يأكل الطّعامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ (١) وبين يُوحى إِلَيَّ (٢). وإن كان مجموع ذاته وطبقاته، فكل مرتبه لها أحكامها وآثارها، ولهذا يجب علينا أن لا نخلط ولا نسرى بين أحكام وصفات هذه المرتبه لتلك المرتبه.

وهذه قاعده أخرى مغايره لقاعده النشأه النوريه فيه (صلى الله عليه و آله)، فإنّ الإنسان الكامل كالأنبياء وكذلك الفرد الكائن البشرى العادى هو ذو طبقات من الوجود من البدن والنفس والروح والعقل والنور، نعم المرتبه النوريه من أعلى من المراتب بما فى ذلك المرتبه العقليه وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَاراً (٣).

ص: ٢٥٤

١- (١) سورة الفرقان: الآية ٧.

٢- (٢) سورة الكهف: الآية ١١٠.

٣- (٣) سورة نوح: الآية ١٤.

فمثلاً- الإيمان ككمال للإنسان جعله القرآن اليومَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَ أَتَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي (١)، فقال تعالى: (أَكْمَلْتُ) ولم يقل أَتَمَّمْتُ، والكمال خروج من طور إلى طور كالخروج من الإسلام الظاهر إلى الإيمان، فالتبديل النوعي يسمى طوراً ويسمى كمالاً، أمَّا التبديل غير النوعي فهي أجزاء تأتلف وهذا يسمى بالإتمام.

فإتمام النعمة شيء والإكمال شيء آخر، ولذلك عبّر القرآن الكريم اليومَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ولم يقل أَتَمَّمْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ لأنَّ الدين يخرج من طور الإسلام الظاهري قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَ لَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا (٢) إلى الواقعي في القلوب.

فإنَّ الإيمان طور نوعي جديد أو عالي يختلف فوقيه عن نوع الإسلام، فإذا استطعنا أن نتقن معرفه هذه القاعده - مراتب وجوديه الإنسان واختلاف أحكامها وآثارها - بدقه فسوف لم ولن نستغرب من كون هذا البدن الصغير للإنسان كيف يتحكم في الأرض وفي الهواء وفي البيئه وفي كل شيء، بل حَتَّى فِي الْجِنِّ وَالْمَلَائِكَةِ، نعم إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً ٣ وَ خُلِقَ الْإِنْسَانُ

ص: ٢٥٥

١- (١) سورة المائدة: الآية ٣.

٢- (٢) سورة الحجرات: الآية ١٤.

ولكن هذه الآثار والحالات بلحاظ صفات النفس والبدن وكذلك في المقابل قوله تعالى: وَ لَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ٢ فلا يوجد هناك تناقض في التوصيف الإلهي إذا امتدح في جهه ودم في أخرى، فهذه مراتب النفس ولكن المرتبه النوريه لا تتأثر بشيء من ذلك، قال تعالى: لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ * ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ٣ .

فالإنسان ذو مراتب، وذو شئون، وذو طبقات فكيف بالإنسان الكامل وهم الأنبياء والأولياء، بل وكيف بك بخاتم النبيين (صلى الله عليه وآله)، فيجب أن لا يخلط بين هذه الشئون والمراتب، فقول الباري تعالى: وَ كُنْتُمْ أَهْوَاتًا فَأَخْيَاكُمْ ٤ هو بلحاظ مرتبه النفس والبدن وأما بلحاظ مرتبه العقل فهي مرتبه في نفسها حياه وليس فيها موت، فإن النفس هي التي تذوق الموت وليس العقل؛ لأن مرتبه العقل ليس فيها تعلق ولا تشبث بجسمانيات وبماديات وبدنيا كي يزاولها أو يفارقها بل هو في مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ٥، لا يحور ولا يبور.

فعندما يقول (صلى الله عليه و آله) أوّل ما خلق الله نور نبيك يا جابر، فإنّ هذا النور هو حى شاعر عاقل ذو مقام شامخ عظيم، بل يعظم على السموات والأرض حسب بيان سوره النور اللّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ... ١ .

فإنّ السموات والأرض ليس لها ظهور فى الوجود من دون هذا النور الإلهى، وأمّا حجم السموات والأرض وكبرها فى خلقها المقدارى الأمتدادى الكمى على الإنسان فهذا من جانب البعد الجسمى والجسمانى.

ولو غرضنا النظر عن ذلك ولاحظنا أنّ لكل سماء ملك من الملائكة العظام موكل ومتعلق بها - حسب مفاد بعض الروايات - فهذا من الجانب النفسانى، ولكن من الجانب العقلانى فى الإنسان فليس الأمر كذلك فإنّ هناك سنه تكوينيه مطرده - كما مرّ بنا سابقاً فى بعض المخلوقات - وهى كلما كانت جثه أو بدن الموجود أصغر كانت مراتبه العالیه أعظم، فعن الإمام الصادق (عليه السلام): خلق الله تعالى العقل من أربعة أشياء: من العلم، والقدره، والنور، والمشيه بالأمر، فجعله قائماً بالعلم، دائماً فى الملكوت (١).

مركز خليفه الله و خلفته:

وقد يسأل سائل - بل هناك الكثير يسأل هذا السؤال - وهو أنّه كيف يجعل الله له خليفه وهو تعالى لا تنحسر قدرته وعلمه وإحاطته عن شىء

ص: ٢٥٧

فكيف يستخلف غيره ويكون غيره خليفه له؟!.

وفى الحقيقة أنّ هذا الخليفه مركز خلافته ليست هى الأرض وإنما بيئه الأرض مركز تواجدته البدنى ولذلك قال تعالى: إني جاعلٌ في الأرضِ خليفَةً ١، ولم يقل إني جاعل خليفه فى الأرض، فقد قدم كلمه (فى الأرض) - الجار والمجرور - على خليفه لبيان أنّ متعلق الخلافه ليس خصوص الأرض بل يشمل السماء، وهذا إشاره للوجود الجسمانى المكانى والكينونى لهذا الخليفه وهو الأرض، وإلّا فدائره صلاحياته أن يطوّع له ملائكة السماء والأرض وينقادون إليه، ولو كانت منطقته صلاحيات آدم(عليه السلام) الأرض فقط لما سجد له جميع الملائكة، بل طوّع وسخّر له جميع الملائكة بما فيهم ملائكة الجنان وملائكة النيران وما شابه ذلك.

ومن خلال هذا كله يتّضح أنّ مركز الخلافه نشأه حياه وشعور وعلم وقدره، ومركز هذه القدره هو فى الآخره أو العوالم اللاحقه الأخرى التى هى دونها فى الحقيقة فمركزها هناك وليس فى الأرض فقط، فلا يصح ولا يستقيم أن نستصغر أنبياء الله ونستعظم ملائكة الله، وإذا قيل للمؤمنين أو المسلمين أنّ جبرائيل جناحاه بين المشرق والمغرب اعتبروا ذلك عظمه لخلق جبرائيل(عليه السلام) على النبي(صلى الله عليه وآله)، والحال أنّ هذا جانب جسمانى وليس جانباً روحياً ومعنوياً وعقلانياً، فإنّ العلم الذى هو علم أسمائى جامع أعطى لآدم(عليه السلام) ولم يعط لجبرائيل ولا ميكائيل ولا إسرافيل ولا للملائكة

ص: ٢٥٨

المقربين، فإنَّ العلمَ أعظمُ وعاءٌ من وعاءِ الجسدِ ومن وعاءِ النفسِ، وإلَّا لكانت بعض الحيوانات ذات الحجم الكبير - كالفييل أو الزرافه - أشرف من الإنسان؛ لأنَّ بدنها أكبر من بدن الإنسان.

فالجسمانيه والجثمانيه ليست هي المدار في الكبر والصغر وإنَّما المدار كما في الحديث القدسي حيث يقول تعالى: « لايسعني أرضي ولا سمائي ولكن يسعني قلب عبدى المؤمن»(١). وليس هذا القلب هو القلب الصنوبري بل هو تلك المرتبه الوجوديه النوريه العقليه في الإنسان، فإنَّ نور المؤمن أوسع من سبع سموات كما في الحديث القدسي، وهذا الأمر يحتاج إلى نوع من التفكير والتدبّر كي يدوقها الإنسان بوجدانه، فإنَّه من عرف نفسه عرف ربه ومن عرف نفسه عرف نبيه وعرف إمامه وعرف آخرته، فهذه المعرفة النفسانيه لمشاهده النفس علم عياني حضوري يتلمسه الإنسان بما يجده من نفسه، وهذا العلم يتفجر وينمو في الإنسان عندما يعاود الإنسان مشاهده نفسه مره بعد أُخرى، وحينئذٍ سوف يجد أنَّ عالم النور وعالم العقل لا يبدؤ أن يكون سابقاً لعالم الأجسام ولعالم سبع سموات وسبع أرضين وما شابه ذلك.

وهذا ما يشير إليه القرآن من نشأه غيب السموات أو نشأه نور السموات والأرض أنَّ تلك النشأه حيّه وشاعره وعاقله تتفجر القدره فيها بمقدار لا محدود من الله عزَّ وجلَّ، وتلك النشأه يتقرر فيها مفاتيح الغيب

ص: ٢٥٩

١- (١) المحجّه البيضاء ج ٢٦ : ٥، البحار ج ٦٠ : ٧٠، عوالي اللئالي لأبن جمهور ج ٧ : ٤.

وخزائنه وهي المهيمنة على مقدرات الأرض والسبع سماوات وما فيها.

عالم الذر:

هناك نشآت قبل نشأه البدن وقبل نشأه الولاده فى هذه الدنيا وهى كينونه للإنسان سابقه وذات الإنسان فيها ذات شعور وذات علم وذات حياه، ولها نوع من الاستقرار قبل الحياه الدنيا، فهناك حياه غير الحياه الأرضيه أو البدنيه مرّ بها الإنسان فى عوالم سابقه على عالم الدنيا الأرضيه، وربما تكون تلك الحياه مفعمه بالحياه أكثر من هذه الحياه الأرضيه، وإن كانت حياه دار الدنيا هى حله الامتحانات؛ لان كثير من الصلاحيات التى خصّصت بها شرائح من أفراد البشر هى وليده امتحانات من تلك العوالم، نعم الآن لا نتذكرها تفصيلاً ولكنها مركزه إجمالاً فى باطن عقل وفطره الإنسان ولكن هذا لا يعنى أنّها ليست موجوده.

هناك الكثير من المفسرين ومن الفريقين أولوا عالم الذر بمعانى عديده واستبعدوا أنّ يكون للإنسان كينونه متميزه لأفراده وأشخاصه وما شابه ذلك، سيما على القول بأنّ النفس حادثه ومخلوقه بحدوث البدن فى عالم الأرحام والمضغه والنطفه وغير ذلك، ولكن هذه التأويلات مستبعده جداً، فإنّ البحوث الفيزيائيه وبحوث علم الأحياء والطب والهندسه الوراثيه تثبت من باب المثال لا تعيين ذلك كتفسير أنّ الحيمن الذى هو نوع من الموجود الحى الكائن موجود كخلايا كروموسومات منذ صلب آدم ولكن ككائن حى دقيق جداً، ولا يخفى أنّ العلوم الطبيعيه والعلوم التجريبيه

اكتشفت حقايق مذهله غابت عن الفلاسفه وهذه الحقايق المكتشفه تدحض الكثير من استبعاداتهم فى تفسير القرآن أو فى بيانات الروايات للقرآن الكريم.

فمثلاً فى علم الصغائر (النانو) صغر الحجم عن السنتيمتر الكوانتوم أو النانو هى إلى قسمه الواحد من السنتيمتر على واحد أمامه سته أو تسعه أصفار فى الصغر المتناهى، يعنى ألف مليون فى الصغر أو (١٥) صفر وهو ما يعرف بالفيمتو وألف مليون فى الصغر عن السنتيمتر يعنى مليار فكيف إذا تضاعف إلى أكثر من ذلك، وهذا ما استطاع الآن البشر أن يدركه ويفترض آثاره.

فهذه الأحجام بهذه الصغر تستودع فى نقطه نقطه لا يمكن أن تبصرها، والحقيقه أن الأزمه فى البحوث المعرفيه كثيره، فلا يمكن للإنسان أن يركن إلى تصورات إدراكيه حسيه أسيره الآله والمستوى والموكب العلمى الذى وصل إليه ذات البحث الطبيعى أو الفيزياوى أو الكيمياوى أو الأحيائى فى زمن ما، وينكر ويجحد أو يستبعد كل الاحتمالات والمفاجئات فى الكشوف العلميه المباحث الأخرى وكأنما حقيقه الحس هو هذا لا غير، وما وراء ذلك ليس له وجود حسى وهذا خطأ واضح. فإلى الآن البشر لم يكتشف الموجودات الماديه الحسيه، هذه الطاقات المذهله الموجوده السابجه فى الفضاء إلى الآن الراهن لم يكتشف منها إلا القليل أو النزر اليسير، فإذا كان فى الموجودات الحسيه الماديه هكذا من عجائب وخفايا لا تنتهى إلى حد تقف عنده فكيف يجزم الإنسان ويقول إنَّ عالم

الذر ليس بتلك التفاصيل الواردة في مفاد الآيه والروايات، فالذريه هي من الذر؛ لأنها منتشرة فكانت كالذر يعنى بمنتهى الصغر، وتلك هي كائنات لها شعور، ومن العجيب تأويل بعض المفسرين لعالم الذر بتأويلات لأنهم يحصرون الشعور والحس فقط بالبدن والحس، والحال أن الجانب العقلي الروحي - كما مرّ بنا سابقاً - في الإنسان أكثر حيويه وشعوراً وعلماً وقدره من الجانب النفسى المتعلق بالبدن وإن لم تكن النفس المذكوره لم تخلق في تلك النشأه من عالم الذر، ولكن الإنسان بما له من نور وبما له من عقل يشعر ويعجب.

إقبال العقل وإدباره:

وربما بعض المفسرين يفسرون الحديث المروى عن النبي (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته (عليهم السلام) « وأول ما خلق الله العقل» (١).

وعن الإمام الباقر (عليه السلام): «لما خلق الله العقل قال له: أقبل فأقبل، ثم قال له: أدبر فأدبر، فقال: وعزتي وجلالى ما خلقت خلقاً أحسن منك، إياك أمر وإياك أنهى، وإياك أثيب وإياك أعاقب» (٢).

ومن الطبيعى أن العقل ليس له حركه جغرافيه جسمانيه حتى يدبر ويقبل، وإنما المراد من الإقبال والإدبار هو الإدراك والالتفات إلى رب

ص: ٢٤٢

١- (١) البحار ج ٩٧: ١.

٢- (٢) الكافي ج ٢٤: ١.

العزّه أو الالتفات إلى مخلوقات وأفعال الله، فإنّ الجانب العقليّ حيّ، شاعر، مدرك، فيه حيويّه الحياه وعنفوانها أكثر من الروح فضلاً عن النفس وأكثر من البدن وليس فيه منام أو سنه لأنّ - العقل - كله إدراك وعلم دائم.

وهناك دلالات قرآنيه كثيره تدل على أنّ اختيارات الإنسان في تلك النشآت السابقه مؤثره على مواقع الإنسان في هذه النشأه الدنيويه، فإنّ مسارات اختياره أو مسارات ابتلاءاته أو مسارات فرص الاختيار لديه متأثره ووليدته لاختيارات أو خيارات سابقه في النشآت السابقه وإن لم تكن بدرجه ملجئه له ولكن لها نسبه من التأثير، كما أنّ خيارات الإنسان الآن في هذه النشأه في دار الدنيا سوف تؤثر على خيارات لاحقه في الرجعه قبل يوم الآخره، وهذا معتقد وعقيده مدرسه أهل البيت (عليهم السلام).

فكل نشأه تؤثر على النشأه اللاحقه لها، وهذا نظير ما يختاره الإنسان من خيارات في مراهقته فإنّها تؤثر على كبره، وكذلك خياراته في شبابه تؤثر على كهولته، وخياراته في كهولته تؤثر على شيخوخته وهكذا، ولكن هذه الخيارات ليس بمعنى الحتم والإلجاء بل تبقى الإراده والاختيار سيّد الموقف، ولكن شده وصعوبه مراره تغيير القرار الإرادي والطبعي متأثر بالمراحل السابقه.

ولا يخفى أنّ هناك بونا شاسعاً بين القول بالتناسخ وبين العقيدّه بمقوله عالم الذر والميثاق، وقد مرّ بنا سابقاً في بيان ميثاق النبيين في سوره آل عمران من أنّ وصول الأنبياء ما عدا خاتم الأنبياء (صلى الله عليه وآله) إلى النبوه ومقاماتها

الغيبه فى نشأه الدنيا جاءت ببركه إقرارهم بسيد الأنبياء (صلى الله عليه وآله) وولايه أهل البيت (عليهم السلام) فى عالم الميثاق وعالم الذر، فبركه ذلك الإقرار أثمرت لهم هذه المنازل العظيمة والمقدسه فى هذه الحياه الدنيا، وأى ثمره أعظم من هذه.

إنّ المقامات الاصطفائية التى يحبى بها النبى أو الوصى والحجه والولى المصطفى من الله عزّ وجلّ فى هذه النشأه الدنيويه هى وليده الاختيارات فى تلك العوالم السابقه.

سؤال وجواب:

وقد يسأل سائل لماذا الله عزّ وجلّ لم يأمر الملائكه بالسجود لخليفته وهو فى عالم العقل فلو أمرهم بذلك قد يكون للشيطان تأثير ولا تسبب منه لترك الأولى من المصطفين!؟

والجواب: إنّ عالم النور ليس منالاً- ولا- نيلاً- للملائكه بالدرجه التى للأنبياء، ومن ثم عندما سألهم البارى تعالى لم يستطيعوا الإجابة لعدم علمهم بذلك كما فى قوله تعالى: وَ عَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ١ فَإِنَّ درجه الأفق للملائكه المقربين دون درجه أفق الأنبياء والمرسلين، وإنّما حازوا على هذه الدرجات للإقرار الذى أقره أمام البارى تعالى وهو

الإقرار بنبوه خاتم الأنبياء المرسلين في العوالم السابقه.

ومن خلال هذا كله يتضح أنّ للنبي (صلى الله عليه و آله) نشأه نوريه هي أعظم من نشأته البدنيه، وهناك أحكام وشؤون وصلاحيات ومناصب لسيد الأنبياء قبل خلق الأرض وقبل خلق الأنبياء كما يقول (صلى الله عليه و آله) «كنتُ نبياً و آدم بين الماء والطين» أى النبوه بلحاظ بدنه الشريف أو بلحاظ نفسه الشريفه المتعلقه بالبدن لم تكن مقرره فى الوجود ولكن كانت موجوده بلحاظ النشأه والوجود النورى؛ لأنّ هذا الوجود النورى سابق على كل العوالم كما ينص على ذلك القرآن الكريم كما فى سوره النور الله نُورُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ ١ . فمثل نوره يعنى ذلك النور الذى أنار السموات والأرض بالوجود أى أظهرها للوجود، وكان هذا النور هو واسطه فيض الله لوجودها، وهذا النور ليس هو النور الحسى العرضى الفيزيائى وإنما هو نور ظهر بسببه الوجود للسماء والأرض بعد أن كانا فى العدم ولا ذكر لها ولا وجود. وإلا فإنّ وجود الشئ فى ظلمه عرضيه فيزيائيه ليس عدماً للشئ.

ملكوت الله:

إذن (مَثَلُ نُورِهِ أى هو واسطه فيض الله تنير السموات والأرض أى تنوجد به كما فى قوله تعالى فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ

ص: ٢٤٥

تُرْجَعُونَ ١ وقوله تعالى: وَكَذَلِكَ نُرَى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ ٢ .

فإن ملكوت السموات والأرض تحت سلطان وسيطره يد الله، وهذه اليد ليست هي جزء من ذات الله تعالى وإنما هي مخلوقات كريمه لله عَزَّ وَجَلَّ عبر عن مقام كرامتها ومقام عنديتها لله ب (يد الله) و (وجه الله)، كما في بيت الله وهو بمقام قدره الله تعالى كما يعبر البارى تعالى: إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً .

من صفات النبي ؛ الشاهد:

ذكر القرآن الكريم صفه مقام الشاهد فى ثلاث مواضع:

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ٣ .

إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ٤ .

إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ ٥ .

وهذا المقام هو أحد الأدله على سياده وسؤدد سيد الأنبياء(صلى الله عليه و آله)، وعماده أمانته على وحي الله الأمين، وهذه الشهاده له(صلى الله عليه و آله) لا تقتصر على حقه عمر بدن النبي(صلى الله عليه و آله) فى دار الدنيا بل تعم من أول عالم الدنيا إلى آخرها بل والعوالم السابقه

واللاحقه أيضاً، وهذا ما دل عليه القرآن الكريم وليس من خلال التخرصات كما فى آيه الميثاق بنبوته ومناصرته على النبيين، وهذا فى عالم الميثاق فضلاً عن عالم الذر كما هو مفاد آيه مسائله ذريه بنى آدم من ظهورهم.

ويعتبر مقام الشهاده من أعظم المهام السماويه وأعظم الأموريات التى انتدب لها النبي (صلى الله عليه و آله)؛ لأنَّ الشهاده هى نوع من أنواع مشهد الحضور عند الشىء كما سيتضح بعد ذلك.

فمقام الشهاده للنبي (صلى الله عليه و آله) مقدم على مقام النبوه والرساله، بل حتّى مقدم على بشارته ونذارته كما فى الآيات الكريمات والحال أنَّ التبشير والتنذير والرساله بعد النبوه وليس قبلها.

وقد ذكر فى أكثر من آيه أنَّ النبي (صلى الله عليه و آله) لا تقتصر شهادته على البشر بل هو شاهد على الأشهاد، يعنى لكل أمه شاهد يستشهده الله على أعمال تلك الأمه والنبي الخاتم (صلى الله عليه و آله) شاهد على جميع هؤلاء الشهداء، حيث يقول تعالى: **وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ (١)** وقوله تعالى: **لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا**، فهو (صلى الله عليه و آله) شاهد على الشهداء الذين هم الأنبياء على أممهم وشاهد على أهل بيته وهم شهداء على جميع الناس.

ص: ٢٦٧

معنى الشهادة والشهيد:

قد يفسر معنى ومقام الشهادة لسيد الأنبياء (صلى الله عليه وآله) وللأنبياء (عليهم السلام) أنه الإدلاء بالشهادة فى يوم القيامة ويوم الحكم لله رب العالمين، وفى الواقع أن معنى الشهادة متوقف على أكثر من معنى.

فى مقاييس اللغة لابن فارس، شهد: أصل يدل على حضور وعلم وإعلام، وفى مصباح اللغة للفيومى، اطلعت عليه وعايته فأنا شاهد.

وفى المفردات للأصفهاني، الحضور مع المشاهدة إمّا بالبصر أو بالبصيره.

وفى الفروق اللغويه للعسكري، الفرق بين العلم والشهادة: أن الشهادة أخص من العلم وذلك أنها علم بوجود الأشياء لا من قبل غيرها.

إذن أصل معنى الشهادة ليس الإدلاء بالشهادة بل هو تحمّل الشهادة؛ لأنّ الذى يتحمل الشهادة والحدث ويدلى بعد ذلك بما قد شاهده. فمعنى الشهادة إذن هو التحمل والحضور والعيان لمشهد الحدث.

وإذا كان الأنبياء يشهدون على أعمال أممهم فهل يكون تحمّلهم للشهادة هى بتحمل حسى أم بقدرات روحية أو نوريه خاصه؟!

الشهادة الملكوتيه والشهادة الحسيه:

وبعبارة أخرى أن النبي (صلى الله عليه وآله) أو الوصى فى أمته لا- يمكن له أن يشهد وهو حبيس الجدران أو حبيس لموقع جغرافى معين، وليس الشهادة تكون بواسطه العين البيضاويه وإنّما رؤيته تكون بالروح الملكوتيه وَقُلِ اعْمَلُوا

فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ (١). فرؤيه الله تعالى ليست هي رؤيه نتائج وإنما عيان حدث، وبنفس هذه الرؤيا أسندت إلى الرسول (صلى الله عليه وآله)، ومن الضروري أن هناك فرقاً بين الخالق والمخلوق ولكن العطف يدل على الاشتراك في أصل النسبه، ويدل على أن هناك رؤيا لمشهد الحدث بالعيان وليس العيان للمشهد الحسى بآليات حسيه بإدراك حسى ضئيل وإنما بقدرات ملكوتيه، وهذا نظير عيان الملائكه المقربين لأعمال العباد وهم الكرام الكاتبين.

وكذلك نظير حضور عزرائيل (عليه السلام) في كل أقطار الأرض، وتراه يحضر في ثانيه واحده وآن واحد آلاف من النفوس والأرواح، وهذا تمكين في عالم الخلقه مألوف وليس شيئاً مستكراً.

وكذلك نظير باقى الملائكه من ميكائيل وإسرافيل وجبرائيل (عليهم السلام). فكيف يُمكن البارى تعالى هؤلاء الملائكه ولا يُمكن من هو أشرف

منهم وهو سيد الأنبياء (صلى الله عليه وآله)، وقد مرّ بنا سابقاً أن الملائكه هم أقل قدره من خليفه الله الذى أسجد الله له الملائكه، وجعلهم قيد طاعته وتحت أمره.

فهذه إشارات وإيضاحات واضحه من القرآن الكريم تؤكد أن مشاهده أعمال العباد من قبل شهداء الأمم من الأنبياء والأوصياء ليست هي شهاده حسيه أى بآله حسيه بل إدراك حضورى للمحسوس عبر إدراك نورى، وإنما هي أقوى من ذلك؛ لأن الشهاده الحسيه بالحس لا

ص: ٢٦٩

تشهد كنه العمل بل ظاهر من العمل، وهذا بخلاف الشهاده والعيان الملكوتى.

ومن باب المثال، إنَّ الإنسان إذا أراد أن يعمل عملاً معيناً باعتبار أنَّ الإراده والنيه والعزم وحركه العضلات فى مشهد من الإنسان، فهو - الإنسان - يشهد فعله وكنه عمله أكثر مما يراه الناظر بالحس، ومن المعلوم أنَّ الناظر بالحس لا يعلم بنوايا هذا الإنسان وغاياته «إنَّما الأعمال بالنيات».

كل هذه لا تظهر بالحس من قبح العمل وحسنه، أو كون العمل مذموم أو ممدوح، فكم من عمل شر يتراءى بأنَّه خير وكذلك العكس أيضاً، وهذا ما نراه فى سجده إبليس التى سجدها لله عَزَّ وَجَلَّ لمدته ستة آلاف سنه، حيث يقول أمير المؤمنين (عليه السلام): «فاعتبروا بما كان من فعل الله بإبليس إذ أحبط عمله الطويل وجهده الجهيد، وكان عَبَدَ الله ستة آلاف سنه، لا يدري أمن سنى الدنيا أم سنى الآخرة»^(١).

وهذا هو الحال فى عباده وسجده إبليس حتَّى الملائكه لم يصلوا إلى كنه هذه العباده وهذه السجده بل ربما اغتروا عكس ذلك فى لوم آدم (عليه السلام) بترك الأولى وهذا محور مهم فى مقام الشهاده لا بدَّ من الخوض فيه مفصلاً لمعرفة مقام سيد الأنبياء (عليه السلام) وعظمته.

مثال آخر: هيئه الراكع هيئه واحده ولكن ربما الإنسان ينحنى

ص: ٢٧٠

١- (١) شرح نهج البلاغه ج ٧٨: ١٣.

لالتقاط شىء من الأرض وربما يقصد الخضوع لرب العالمين، فمن الذى يميّز أنّ هذا الركوع هو الخضوع لله أو للرياضة البدنيه وغرض آخر؟!

بطبيعته الحال الذى يميّز ذلك هو النيه، والذى يطلع على النيه هو الذى يطلع على الأرواح لأن النيه أيضاً طبقات بحسب طبقات أرواح الإنسان فى شدة الخفاء وتوسطه.

فتبين أن معانيه الأعمال ليس برؤيه وترائى حسى، بل لابد أن يكون إضافه على إحاطته بالحس يجب أن يكون محيطاً بالأرواح، وهذا لا- يتمّ إلّا باطلاع روحى وملكوتى وإطلاع نورى، بل أكثر من ذلك هناك أعمال ليست بدنيه، وإنّما هى أعمال جوانح وخطرات القلب، وهى الإيمان والعقيده ولا- يستطيع ولا يمكن لأى أحد كان أن يطلع عليهما - الإيمان والعقيده - من خلال العين أو اللمس أو الشم ولا- غيرها من الجوارح، وإنّما يمكن الاطلاع عليه من خلال الأرواح وبتوسّط الملكوت. نعم وجود مثل النبى عيسى (عليه السلام) - مثلاً - فى أمّته ومدته تواجهه بينهم يحصل لديه هذا الإشراف الملكوتى ولكن المعانيه هى بالملكوت.

حديث الباقر عليه السلام لدى الفخر الرازى:

يقول تعالى: وَ يَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَ جِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ (١).

فعن منصور عن حمّاد اللّحام، قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام): «نحن والله

ص: ٢٧١

نعلم ما فى السموات وما فى الأرض وما فى الجنة وما فى النار وما بين ذلك» قال فبقيت أنظر إليه، فقال: «يا حماد إن ذلك فى كتاب الله ثلاث مرات»، قال: ثم تلا هذه الآية وَ يَوْمَ نَبَعْتُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَ جِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَ هُدًى وَ رَحْمَةً وَ بُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ . آيه الله من كتاب الله فيه تبيان كل شىء (١).

وفى مجمع البيان يقول الطبرسى فى تفسير هذه الآية: يعنى يوم القيامة بين سبحانه أنه يبعث فيه من كل أمة شهيداً وهم الأنبياء والعدول من كل عصر يشهدون على الناس بأعمالهم، وقال الصادق (عليه السلام): «لكل زمان وأمة إمام تبعث كل أمة مع إمامها» (٢).

وقد التفت الفخر الرازى إلى هذا التفسير من حديث الإمام الباقر (عليه السلام) حينما تطرق إلى تفسير قوله تعالى: وَ كَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَ يَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا (٣)، حيث يقول الإمام الباقر (عليه السلام):

«ولا يكون شهداء على الناس إلما الأئمة (عليهم السلام) والرسل، فأما الأمة فإنه غير جازى أن يستشهدها الله وفيهم من لا تجوز شهادته فى الدنيا على حزمه

ص: ٢٧٢

١- (١) نور الثقلين: ج ٧٣: ٣.

٢- (٢) المصدر السابق.

٣- (٣) سورة البقرة: الآية ١٤٣.

حيث يقول الفخر الرازى فى تفسير قوله تعالى وَ يَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَ جِئْنَا بِكَ شَهِيداً عَلَى هَؤُلَاءِ وَ ثَبِتَ أَيْضاً أَنَّهُ لَابِدٌ فِي كُلِّ زَمَانٍ بَعْدَ الرَّسُولِ مِنَ الشَّهِيدِ فَحَصَلَ مِنْ هَذَا أَنَّ عَصراً مِنَ الْأَعْصَارِ لَا يَخْلُو مِنْ شَهِيدٍ عَلَى النَّاسِ وَ ذَلِكَ الشَّهِيدُ لَابِدٌ وَأَنْ يَكُونَ غَيْرَ جَائِزِ الْخَطَأِ، وَإِلَّا لَافْتَقَرَ إِلَى شَهِيدٍ آخَرَ وَ يَمْتَدُّ ذَلِكَ إِلَى غَيْرِ النَّهَايَةِ وَ ذَلِكَ بَاطِلٌ (٣).

فالشاهد لابد أن يكون معصوماً؛ لأنه لو كان الشاهد ذو زلل وخطأ وخطل كيف يشهده رب العالمين على العصاه المذنبين وعلى العباد الطائعين.

صفات الشاهد:

إذن اتضح أن شهاده الأعمال لا يمكن أن تكون بتوسط آليه الحس، كأقمار اصطناعيه، أو عدسات مصوره مراقبه، أو أنترنت؛ لأن هذه لا تنفذ ولا تثقب عمق العمل، يعنى الأجهزة الرصديه الحسيه لا يمكنها رصد العمل بتمامه، بكنهه، بجوهره، ولكل أعمال البشر وفى كل حقه زمني، فكم عدسه نحتاج لذلك.

الآن ربما العدسات التى تضعها الدول الغربيه كما فى لندن - مثلاً - يقال بالآلاف بل الملايين يضعون مثل هذه العدسات لمراقبه الجانِب

١- (١) الحزمه: ما حزم من الحطب وغيره.

٢- (٢) نور الثقلين، ج ١٣٥: ١.

٣- (٣) التفسير الكبير الفخر الرازى ج ٢٥٧: ٧.

الأمنى على شعوبهم أو ما شابه ذلك، ومع كل هذا يحدث لهذه المراقبه اختراق كبير.

ولكن هذا القرآن الكريم يقول هناك مراقبه إلهيه على كل البشر وفي كل حقه وَ يَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَ جِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ .

إذن هذا الشهيد لابد أن يكون مزوداً بقنوات روحيه وقنوات ملائكيه وقنوات نوريه معينه تخترق تلك الأرواح وتطلع عليها، وهذا هو أشبه بحاله هرميه روحيه، روح تشرف على الأرواح، وهذا ليس دغدغه خيال هذه حقيقه واقعيه أشار إليها القرآن الكريم حسب بيانات أهل البيت(عليهم السلام).

روح الشاهد:

فإنَّ مرتبه الروح الإنسانيه فى كل فرد بشرى كرافد وجودى يسيل إلى البدن إلى حركات البدن من نزعات وميول الروح وأفعال الروح، وأفعال جوانح إلى أفعال الجوارح، فالإنسان يشاهد النزعات التى تتجاذبه نزعه الخير والشر والخواطر والأفكار والعقد وما شابه ذلك، وكيف هى تحرك الإنسان إلى أن تفعل إرادته وتصميمه وعزمه ومضيه إلى أن يصدر إلى البدن بل الإنسان على نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ * وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ (١).

ومن هنا فلا بد أن تكون روح الشاهد العظيم ذو سعه روحيه وذو

ص: ٢٧٤

مرتبته وجوديه من الروح حتى تستطيع أن تشرف على أرواح البشر الكائنين في تلك الحقبه. بل رقبه خاتم النبیین (صلى الله عليه وآله) هي رقبه فوق الجهاز الرقبى على أرواح البشر، فهو (صلى الله عليه وآله) - كما مر بنا سابقاً - ذو روح هرميه وذو روح تطل وتهيمن على جميع أرواح أفراد البشر في عالم الروح، فتراها تشاهد كل حركات وسكنات وهجسات ووسوسات ميول الروح وغرائزها، فأى روح عملاقه هذه لسيد الأنبياء (صلى الله عليه وآله).

سر شهاده النبي صلى الله عليه وآله وسلم على الأشهاد:

هناك سؤال مطروح وهو أنه ما هي الفائده المترتبه على شهاده وشاهديه سيد الأنبياء (صلى الله عليه وآله) على باقى الأشهاد؟! وهذه الطبقات للشهاده داله على تفاوت درجات العلم الحضورى لدى الشهود الإلهيين على الأعمال بحسب مقام ومنصب الشاهد الإلهى كما فى قوله (عليه السلام) فى دعاء كميل: «وكل سيئه أمرت بإثباتها الكرام الكاتبين، الذين وكتهم بحفظ ما يكون منى، وجعلتهم شهوداً على مع جوارحى، وكنت أنت الرقيب على من ورائهم، والشاهد لما خفى عنهم وبرحمتك أخفيته». ومن ثم كانت شهاده سائر الأنبياء بحدود مده تواجدهم فى أممهم لا أوسع من ذلك كما فى قول النبي عيسى (عليه السلام): وَ كُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ

شَهِيداً ١ . فالشهادة تابعه لمرتبه العلم الحضورى الملكوتى للشاهد، فترقى الشهاده برقى مرتبه العلم الملكوتى والموقعيه الملكوتيه للشاهد وهذا بيان قرآنى لسؤدد سيد الأنبياء (صلى الله عليه و آله) على جميع الأنبياء وعلى جميع الملائكه، نعم بحسب قوله تعالى: وَ كَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسِيْطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَ يَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً (١). وهم الأمه من ذريه إسماعيل وإبراهيم التى فى دعائهما رَبَّنَا وَ اجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَ مِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَ أَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَ تَبَّ عَلَيْنَا إِنْ كُنْتَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ * رَبَّنَا وَ ابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ يُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢). وأشار إليهم مره أخرى فى قوله تعالى: مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَيِّمًاكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَ فِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَ تَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ (٣). فأبوهم إبراهيم وإسماعيل (عليهما السلام) وهم من ذريتهما ومنهم النبى المصطفى (صلى الله عليه و آله) وبعث فيهم وهم أهل بيته (عليهم السلام)، فهم شهداء على جميع الناس من الأولين والآخرين وسيد الأنبياء (صلى الله عليه و آله) و آله) عليهم شهيد، بينما نبى ورسول كل أمه شهيد على أمته فقط، فطبقات الشهاده قمتها البارى تعالى، ثم رسوله المصطفى (صلى الله عليه و آله)، ثم أهل بيته (عليهم السلام)، ثم الملائكه والأولياء.

ص: ٢٧٦

١- (٢) سورة البقره: الآيه ١٤٣.

٢- (٣) سورة البقره: الآيه ١٢٨-١٢٩.

٣- (٤) سورة الحج: الآيه ٧٨.

من المعلوم أنّ شهادة النبي (صلى الله عليه و آله) على الأمم السابقة هو فى عالم البعث والقيامة وليس فى عالم الدنيا، وهذا ما صرحت به الآية الكريمة وَ يَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَ جِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ .

فبعدها يستشهد شهداء الأمم من الأولين والآخرين تأتي هنا رقابه الرقيب، فيستدعى رئيس طاقم الرقباء الإلهيين على أعمال البشر، وهنا تدلى شهادته أو حسمه أو حكمه، وبالتالي فهذه الشهادة تعتبر نوع من الحاكمية؛ لأنّ الشهداء حكام يوم القيامة بأذن الله؛ لأنّ الشاهد فى الواقع هو الذى يقرر ملف رقابته على الأعمال وبالتالي فهو يدين ويبرأ، فهم أيدي الله تعالى لحاكميه الله يوم القيامة.

ويتبين أن هذا مقام من مقامات سيّد الأنبياء (صلى الله عليه و آله) وأنّه بعد الله عزَّ وَجَلَّ هو الشاهد على الشهداء والأشهاد على العباد وبعد إذن منه تعالى يكون خاتم النبيين (صلى الله عليه و آله) الحاكم على الحاكمين يوم القيامة بمعنى أنّ بيده (صلى الله عليه و آله) كلمه الفصل بعد الله عزَّ وَجَلَّ.

أهل البيت عليهم السلام شهداء على الشهداء:

أيضاً أهل البيت يكون لهم دور الشهداء ليس على الأُمَّة الإسلاميه فحسب بل على كل الأمم وبنص الآيات الكريمة التى مرّ بيانها وسيأتى تتمه لذلك فيما بعد، ومن ثم النبي (صلى الله عليه و آله) يكون هو الشاهد على أهل بيته (عليهم السلام) فى شهادتهم على شهداء الأمم، وكما مرّ بنا سابقاً أنّ الأنبياء والرسل

وأوصيائهم شهداء الأمم يكون لهم هيمنه وأشراف على أممهم.

وبعبارة أخرى: في كل حقبة من الزمن هناك أهرم روحية - إذا أردنا أن نصورها كتصوير هندسي - وهذه الأهرم الروحية تشرف عليها أهرم روحية أكبر منها وهم شهداء الأمم، وفوق هذه الأهرم الروحية الرقابية تكون أرواح أهل البيت (عليهم السلام)، فأهل البيت (عليهم السلام) يكونون كالخيمة الروحية المظلمة والمهيمنة على أرواح الأنبياء وعلى أرواح الأوصياء، وفوق هذه الخيمة الروحية هناك خيمة أكبر منها وهي خيمة رسول الله (صلى الله عليه وآله) الذي هو الشاهد الأكبر على كل هذه الأرواح.

وهذا المطلوب نلاحظه بشكل واضح في سورة البقرة وهو قوله تعالى: **وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِن دُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (١).**

فقد كان هذا دعاء إبراهيم وإسماعيل (عليهما السلام)، وهذه الآية تدل على أن أجداد النبي (صلى الله عليه وآله) كلهم مسلمون وموحدون، وكذلك دعائهم (عليهما السلام) هو أن يكون في ذريتهما أمة مسلمة وموحدة لا تشرك بالله طرفه عين أبداً؛ لأن هذه الأمة المسلمة ليس إسلامها هو درجة الإسلام العادي وذلك لأن درجة الإسلام العادي التي طلبها إبراهيم وإسماعيل لذريتهما هي درجة الإسلام التي

ص: ٢٧٨

طلبها لنفسهما رَبَّنَا وَ اجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ ، فأى درجة من الإسلام يطلبه النبي إبراهيم (عليه السلام) وولده إسماعيل (عليه السلام)، وهو الذى جعله الله إماماً للناس، وإسماعيل هو النبي والوصى لأبيه إبراهيم (عليه السلام)، فهذان النبيان العظيمان يطالبان من الله أن يكونا مسلمين، ولكن لا- الإسلام من الدرجة النازله بل من الدرجة الصاعده العالیه الاصطفائیه بل من النمط العالی من الاصطفاء، إذ طلبهما ودعائهما كان بعد النبوه، ولم يكن طلبهم لهم فقط بل أن تكون الأمة المسلمه بعض من ذريتهما ونسلهما ظهراً بعد ظهر. وهذا يعنى أن فى ذريتهما دوماً أوصياء وفى ذريتهم المعصومين (عليه السلام)، ثم ذكر تعالى على لسان إبراهيم (عليه السلام) رَبَّنَا وَ ابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ يُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١).

وهذه الآيه الكريمة تبين أن هناك فى ذريتهما على الدوام إلى يوم القيامة فنه معصومه كعصمه النبي إبراهيم (عليه السلام) والنبي إسماعيل (عليه السلام) ومن هذه الذريه يبعث الله تعالى خاتم الأنبياء (صلى الله عليه و آله)، وهذا دليل على إيمان ووصايه أبى طالب وإيمان ووصايه عبدالله وإصطفاء آمنه وفاطمه بنت أسد. بل وتدلل على عصمه وصى النبي (صلى الله عليه و آله) وعلى عصمه فاطمه وأبنائها (عليهم السلام).

وبالتالى هناك ثله من هذه الذريه أمه مسلمه أصطفاها الله تعالى وأهلها لتكون شهداء على أعمال الأمم من الأولين والآخرين فى قول الله تعالى وَ كَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَ يَكُونَ

ص: ٢٧٩

الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً، وقد طابق ذلك دعوه أهل البيت (عليهم السلام) وأثبتوه كما مرّ علينا في بعض الأحاديث السابقه، ومن الدلالات القرآنيه كما مرت الأشاره إليه.

وهذا المقام الخاص للنبي (صلى الله عليه و آله) وأهل بيته (عليهم السلام) الذى شهد لهم القرآن بالتطهير، وجعل موَدّتهم ردف الدين كله كما فى آيه موده القربى، وجعل لهم الولايه فى الفىء وفى الخمس.

ولم يثبت القرآن الكريم لم يثبت لنبي من الأنبياء أنه شهيد على جميع البشر من الأولين والآخريين إلّا النبي الخاتم وأهل بيته صلوات الله عليهم. بينما جعل شهاده بعض الأنبياء (عليهم السلام) على أمتهم حال وجوده بينهم كما فى عيسى (عليه السلام) حيث يقول تعالى: وَ كُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَا دُمْتُ فِيهِمْ (١).

بينما الشهاده العظمى التى حضى بها النبي (صلى الله عليه و آله) وأهل بيته (عليهم السلام) قد صرّح بها النبي إبراهيم (عليه السلام) حيث يقول تعالى: هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَ فِي هَذَا لِيُكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَ تَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ (٢).

ولا- يعقل أنّ يكون كل المسلمين هم الأمه المسلمه وهى أفضل من الأنبياء (عليهم السلام)، وفى المسلمين من يقتل سيد الشهداء (عليه السلام) وفيهم أهل المجون

ص: ٢٨٠

١- (١) سورة المائده: الآيه ١١٧.

٢- (٢) سورة الحج: الآيه ٧٨.

والقرده والخمر وما شابه ذلك، بل المراد بتلك الأمه المسلمه هي من ذريه إسماعيل وإبراهيم بل ليس كل الذريه منهما بل خصوص بعض الذريه المصطفاه والذين بعث منهم الرسول، ثم وصفهم أن شهادتهم هي على جميع الناس.

الشاهد هو صاحب الحساب يوم الدين بأذن الله وهو الهادي:

وهذه الشهاده يعنى رقبه والرقابه لا تعنى فقط حاله تحمل ومشاهده وتسجيل ملف أعمال بل مداينتهم بذلك يوم القيامه، بل هي نوع من الهدايه ونوع من التربيه الروحيه فى عالم الأرواح، فإن كل روح من أرواح البشر تريد وتطلب وتتمنى أن تتكامل وتتنامى فى الخير والنور والسعاده وغير ذلك، وأن يأخذ بيدها من يربيه بواسطه ذلك الشاهد الذى جعله الله عزَّ وَجَلَّ ممر لفيضه وخيره؛ لأنَّ الرقبه والرقيب فى الواقع هو نوع من الهادى ونوع من المربى، ولكن ليس بنحو الإلجاء بل بنحو الإشاره والتوصيه والنصيحه، وليس من اللازم أن تكون الهدايه مجابهه لساناً وبدناً مع بدن الآخر وإنما هو تسديد أفكار وومضات معانى كى لا- يكون للإنسان أى حجه ويقول لم التفت ولم أعلم، فإذا كنت تريد الخير فأبوابه مفتوحه فى خواطرك وفى أفكارك، وهذا هو نمط من وَ مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً (١). و مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْراً (٢)،

ص: ٢٨١

١- (١) سورة الطلاق: الآيه ٢.

٢- (٢) سورة الطلاق: الآيه ٤.

وهذا يتّم عبر أيادي أولياء الله لأنّهم يهدون بأمر الله عزّ وجلّ إنّما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون (١). أى عبر شبكه عالم الروح، فهم ليسوا رقباء وشهداء فقط وتنجزون لعذاب البشر أو لمداينتهم من دون أن يراعوا هدايتهم وينموا القدرات فيهم، ومن نلتفت إلى معانى الروايات التى ربما يستعظم أو يستكبر معناها على الكثيرين، ففى روايه عن أحمد بن عمر، قال: سألت أبا الحسن (عليه السلام) لم سمي أمير المؤمنين (عليه السلام)؟ قال: لأنّه يميّهم العلم، أمّا سمعت فى كتاب الله وَ نَمِيرُ أَهْلَنَا (٢)

(٣) أى توزيع وبث العلم.

وفى حديث آخر عن ابن عباس، قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه و آله) يقول: أعطانى الله تبارك وتعالى خمساً وأعطى علياً خمساً: أعطانى جوامع الكلم وأعطى علياً جوامع العلم، وجعلنى نبياً وجعله وصياً، وأعطانى الكوثر وأعطاه السلسيل، وأعطانى الوحي وأعطاه الإلهام، وأسرى بى إليه وفتح له أبواب السماوات والحجب حتّى نظر إلى ما نظرت إليه (٤). وهذه المفادات كلها متطابقه مع بعضها البعض، ويفسر بعضها البعض.

ص: ٢٨٢

١- (١) سورة يس: الآيه ٨٢.

٢- (٢) سورة يوسف: الآيه ٦٤.

٣- (٣) الكافى ج ٤١٢: ١.

٤- (٤) الخصال ٢٩٣.

إنَّ النصارى فى زمن النبى عيسى (عليه السلام) ألهمت عيسى وأمه (عليها السلام) والله عَزَّ وَجَلَّ يعلم أنَّ هناك ثله من النصارى ارتكبوا هذه الخطأ، ومع هذا كله يقول تعالى لنبىه عيسى (عليه السلام) أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِى وَ أُمِّى إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللّهِ (١).

وهذه دلالة واضحة أنَّ هدايه الأُمَّه وتربيتها ليست بمعنى الإراده للطريق والإبلاغ والإنذار فقط، بل هناك مقام آخر وهو كونه شهيداً، مريباً، مزكياً لأرواح الأُمَّه، فمقام الشهاده هو مقام هدايه إيصاله للغايه والمطلوب من الكمال ومقام إمامه وقياده، وهذا أحد أدله معتقد مدرسه أهل البيت (عليهم السلام) أنَّ النبى (صلى الله عليه و آله) هو إمام الأئمه بجانب كونه سيد الأنبياء (صلى الله عليه و آله).

فالشهاده هى مقام إمامه، ومقام سياده وولايه ومسؤوليه، ولذلك لا بدَّ أن يسائل النبى عيسى (عليه السلام) عن مأموميه أين وصلوا، وأين صاروا، وكيف حصل عندهم هذا الإنحراف.

فلسفه الاستفهام الصادر من المعصوم:

وهذا المسائله مع النبى عيسى (عليه السلام) هو نظير المسائله من النبى موسى مع أخيه هارون قال يا هارون ما منعك إذ رأيتهم ضلُّوا ألا تتبعن أفعصيت أمرى قال يا بن أم لا تأخذ بليحتى ولا برأسى إنى خشيت أن تقول فرقت بينى إسرائيل ولم ترقب قولى

ص: ٢٨٣

خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَ لَمْ تَزُقْ قَوْلِي (١).

وأيضاً هذا التساؤل هو نظير مسائله السيده الزهراء (س) عندما خاطبت أمير المؤمنين (عليه السلام): (اشتملت شمله الجنين وقعدت حجره الظنين...).

فقد أرادت (عليه السلام) أن تفهم الزبير وعمار وسلمان ومن كان في بيتها من أتباع أمير المؤمنين (عليه السلام) وجميع أجيال الأمة، أن موقفه هذا ليس متبايناً عن موقفها - والعياذ بالله - وإنما ذلك لأجل الموازنة في الموقف، وإلا فإن موقف الزهراء وعلی (عليهما السلام) واحد وليس بينهما أى اختلاف، وفي نفس الوقت إنما وجهت (عليها السلام) هذا السؤال للإمام (عليه السلام) لأنه هو القائد وليس لأنه زوجها فحسب.

أعمالنا تعرض على الرسول وآله:

عن أحمد بن عمير عن أبي الحسن (عليه السلام) قال: سأل عن قول الله عَزَّ وَجَلَّ اِعْمَلُوا فَنَسِيرَى اللّٰهُ عَمَلَكُمْ وَ رَسُوْلُهُ وَ الْمُؤْمِنُونَ ، قال إن أعمال العباد تعرض على رسول الله (صلى الله عليه وآله) كل صباح أبرارها وفجارها فاحذروا (٢).

وفي روايه أخرى عن أبي عبدالله (عليه السلام): إن أعمال أمه مُحَمَّد (صلى الله عليه وآله) تعرض على رسول الله (صلى الله عليه وآله) و آله) في كل خميس فيستحي أحدكم من رسول الله أن تعرض

ص: ٢٨٤

١- (١) سورة طه: الآيه ٩٢ - ٩٤.

٢- (٢) بصائر الدرجات: ١٤٤.

وعن مُحَمَّد بن مسلم قال: سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن الأعمال تعرض على رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: ما فيه شك ثم تلا هذه الآية قال اِعْمَلُوا فَنَسِيرَى اللّٰهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَ الْمُؤْمِنُونَ . قال إِنَّ لله شهداء في أرضه (٢).

وعن عبد الله بن أبان إنه قال: قلت للرضا (عليه السلام)، وكان بيني وبينه شيء، ادع الله لي ولمواليك فقال: والله إن أعمالكم لتعرض عليّ في كل خميس (٣).

ومن خلال هذه الروايات يتضح أنّ أعمال الخلائق تعرض على رسول الله (صلى الله عليه وآله) في كل يوم اثنين وخميس أو في كل يوم على حسب مفاد الروايات، وعلى الأئمة تعرض هذه الأعمال. فلو كانت مهمه ودور النبي (صلى الله عليه وآله) هو إبلاغ الرساله فما هي صلته (صلى الله عليه وآله) في أن تعرض عليه الأعمال.

فهناك رؤيا من الله ثم رؤيا من الرسول (صلى الله عليه وآله) تتلو رؤيه الله عَزَّ وَجَلَّ وهذا ما صرَّح به القرآن الكريم اِعْمَلُوا فَنَسِيرَى اللّٰهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَ الْمُؤْمِنُونَ (٤).

وحسب مفاد الآيه الكريمه أنّ رؤيه العمل تكون حين العمل لأنّ التعبير (فسيري) ولو كان النبي (صلى الله عليه وآله) غائبا عن الدنيا، وللأسف نرى مقال بعض المتكلمين من المذاهب الإسلاميه الأخرى أنّ النبي (صلى الله عليه وآله) ينتهي دوره

١- (١) المصدر السابق.

٢- (٢) المصدر السابق: ٤٥٠.

٣- (٣) النجم الثاقب ج ٥٣٥: ٢.

٤- (٤) سوره التوبه: الآيه ١٠٥.

بانتهاه عمره الشريف فى دار الدنيا حسب قولهم (ومن كان يعبد محمداً فإنَّ محمداً قد مات) (١). كما يقول أبو بكر.

فى حين نشاهد أهل البيت (عليهم السلام) يشدون الناس ويربطونهم بالنبي (صلى الله عليه وآله) حتى بعد استشهادهم (صلى الله عليه وآله)؛ لأنَّ دور النبي (صلى الله عليه وآله) ليس مقتصرأ على دور الإبلاغ والبشاره والنداره بل مرتبط ب إعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله و المؤمنون ؛ وهذه المهمه مستمره إلى يوم القيامه وفى جنه الخلد ودار الجزاء الأبدى أيضاً ولم تنته بعد، فمهمته العظمى هى تربيته وإداره أرواح الخلق وبتمكين من البارى تعالى: إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ (٢).

مقام الشهاده والملكوت:

وقد أرسله تعالى إلى الأرواح فى الملكوت السابقه قبل أن يرسله رسولا إلى الأرض وفى الناس؛ لأنه كما بينا سابقاً أن الشهاده ليست فى مقام الأجساد والأبدان الدينويه فقط بل فى مقام عوالم الأرواح من الأطله والميثاق والذره، كما قال (صلى الله عليه وآله) كنت نبياً وآدم بين الماء والطين.

فمقام الشهاده مقام ملكوتى وليس مقاماً بدنياً قال تعالى: وَكَذَلِكَ نُرَى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ (٣).

فإنَّ للسّموات ملكوت يرى الله تعالى أنبيائه ذلك الملكوت، فكيف

ص: ٢٨٦

١- (١) مسند أحمد ج ٢٢٠: ٦؛ صحيح البخارى ج ١٤٣: ٥.

٢- (٢) سوره المزمّل: الآيه ١٥.

٣- (٣) سوره الأنعام: الآيه ٧٥.

بسيدهم وخاتمهم (صلى الله عليه وآله).

فإنه تعالى لم يرسل سيد الأنبياء فى عام الأربعين من عمره الأرضى فقط بل قبل ذلك إنا أرسلناك شاهداً . وبعد الشهاده قام برسالة النذاره يا أيها المدثر * قم فأنذر (١)، إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً (٢)، بل حتى البشاره والنذاره فهى ليست حادثه فى زمن الأرض بل قبل ذلك كما فى الآيه الكريمه هذا نذير من النذر الأولى (٣) وأوضحته الروايات فى ذيلها.

فالشهيد على المشهودين يقتضى أنه هو المنذر لهم، وهو المبشر لهم، وهو الرقيب عليهم، بمعنى أن الذى أبلغ الأنبياء (عليهم السلام) عن واجبات مقام النبوه والأنبياء، وبرنامج قياده البشر عن الله تعالى هو النبى الخاتم (صلى الله عليه وآله)، ومن ثم كان هو شهيداً عليهم. فكل هذا حصل وحدث فى عوالم الملكوت.

وإذا كان خاتم الأنبياء (صلى الله عليه وآله) شهيداً على الأنبياء فهل يمكن أن يكون رقيباً وحسيباً على الأنبياء من دون أن يكون قد أعدرهم وأبلغهم - من قبل - عن مسؤولياتهم، ومقتضى هذا أن البارى تعالى جعل المحاسب للأنبياء فى يوم القيامه - بعد الله تعالى - هو رسول الله (صلى الله عليه وآله) و يوم نبعث فى كل أمم شهيداً عليهم من أنفسهم و جننا بك شهيداً على هؤلاء .

ص: ٢٨٧

١- (١) سورة المدثر: الآيه ١.

٢- (٢) سورة النجم: الآيه ٥٦.

٣- (٣) سورة هود: الآيه ١٧.

وهذا المقام لسيد الأنبياء وهو كونه شهيد على الأنبياء والرسل هو كونه نبي الأنبياء وأن الأنبياء يبنون أممهم بتوسط نبوته (صلى الله عليه وآله)، وفيه من الكنوز واللثالي ما تبهز العيون.

النبي الخاتم (صلى الله عليه وآله) شاهد على الأئمة (عليهم السلام):

ولا يخفى أنّ النبي (صلى الله عليه وآله) أبلغ الأئمة (عليهم السلام) عن وظائفهم في الإمامة وأعدر، فيكون (صلى الله عليه وآله) شاهداً عليهم من أمير المؤمنين (عليه السلام) إلى الإمام المهدي (عج). وهذا الإشراف ليس ببدنه الشريف بل منذ عالم النور فإنّه اشتق من نور النبي (صلى الله عليه وآله) نور على (عليه السلام)، وهذا الاشتقاق وهذا الترشح والاشتقاق ينطوي على نوع من الإشراف، وبالتالي فإنّ مقام شهادته أهل البيت (عليهم السلام) تتلو مقام شهادته النبي (صلى الله عليه وآله)، ومن ثم فإنّ شهادتهم (عليهم السلام) تفوق شهادته الأشهاد السابقين، يقول تعالى في كتابه الكريم أَمْ مَنْ كَانَ عَلَى بَيْنِهِ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ .

يعنى من نفسه وهو الإمام على (عليه السلام).

لماذا على عليه السلام ؟:

فقد روى عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنّه قال: فالذى على بينه من ربه مُحَمَّد (صلى الله عليه وآله) والذى يتلوه شاهد منه وهو الشاهد وهو منه أنا على بن أبي طالب وأنا الشاهد، وأنا منه (صلى الله عليه وآله) (١).

ص: ٢٨٨

ومفاد الحديث نظير مفاد قوله تعالى: قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ١ وفى الحديث القدسي يقول الله عَزَّ وَجَلَّ: «لا يسعنى أرضى ولا سمائى ولكن يسعنى قلب عبدى المؤمن» (١).

إشاره إلى سعه باطن الإنسان المؤمن أوسع من السموات فكيف بالإنسان الذى اصطفاه الله تعالى.

فعن أبى سعيد الخدرى، قال: سألت رسول الله (صلى الله عليه و آله) عن قول الله جل ثناؤه: كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ (٢)، قال: ذاك أخى على بن أبى طالب (٣).

وعن أبى جعفر (عليه السلام)، قال: نزلت فى على (عليه السلام) إنه عالم هذه الأمة بعد النبى (صلى الله عليه و آله) (٤).

فعلى (عليه السلام) هو أوّل الأَشهاد بعد النبى (صلى الله عليه و آله)، وهو أيضاً شاهد على بقيه الأئمة (عليهم السلام).

ونظير المفاد من الإرتباط النورى بين باطن طبقات ذات النَّبِيِّ (صلى الله عليه و آله) وباطن طبقات ذات الوصى (عليه السلام) قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدُمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَهُ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ

ص: ٢٨٩

١- (٢) المحجّه البيضاء ج ٥/٢٦؛ البحار ج ٧٠/٦٠؛ عوالى اللئالى لابن أبى جمهور ج ٤: ٧.

٢- (٣) تفسير الثقلين ج ٢٣: ٥٢٣.

٣- (٤) المصدر السابق.

٤- (٥) تفسير الثقلين ج ٢٦٥: ٥.

وهذه الآيه من أعظم الآيات التي تبين مدى العلاقه التي بين النبي (صلى الله عليه و آله) والوصى (عليه السلام)، فإنَّ النجوى إسرار السر، لأنَّ المناجاة تكون بين طرفين لأجل تبادل الأسرار، ولذلك عبّرت الآيه الكريمة بالمناجاة ولم تقل إذا كلمتم بل (إذا ناجيتم).

إذنَّ النجوى هي ارتباط وإسرار ومسرره لم يحضَّ بها إلّا على بن أبى طالب (عليه السلام)، وهذا دليل على الوراثه الملكوتيه من مقامات الباطن والأسرار الإلهيه.

ففى روايه عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: بى خفف الله عن هذه الأمه لم تنزل فى أحد قبلى ولم تنزل فى أحد بعدى (٢).

ونظير هذا المفاد من الارتباط ما ورد مستفيضاً بين الفريقين فى شأن تبليغ سوره البراءه الحديث القدسى خطاباً للنبي (صلى الله عليه و آله) «لا يبلغ عنك إلا أنت أو رجل منك» (٣)، وفى بعض الطرق «إلا أنت أو على» (٤).

ص: ٢٩٠

١- (١) سوره المجادله: الآيه ١٢.

٢- (٢) تفسير الثقلين ج ٢٦٥: ٥.

٣- (٣) معانى الأخبار: ٢٩٨. مستدرک الصحيحين ج ٥١: ٣.

٤- (٤) تفسير العياشى ج ٧٣: ٢، بحار الأنوار ج ٢٩٥: ٣٥.

الفصل الثالث: النبي (صلى الله عليه و آله) قمه في الإنسانيه

اشاره

ص: ٢٩١

إنَّ الفطره ليست دليلاً فقط لمسأله واحده بل أصبحت لغة من لغات المعارف ونظاماً من نظم أبواب المعرفه الجذابه والرائجه جداً، فبالفطره يرتب ويقرب البرهان لأثبات التوحيد، وبالفطره يقرب البرهان لأثبات النبوه والإمامه والمعاد.

فإنَّ الفطره لغة من لغات إثبات المعارف حتى أصبحت لغة كامله ونظام متكامل، ومن أوضح وهى أبين وأكثر اللغات شيوعاً وانتشاراً وفهماً عند كافه البشر بل عند كافه المخلوقات، وعلى ضوء هذا يستطيع الإنسان أن يفسر حالات وظواهر عجيبيه بين المخلوقات بعضهم مع البعض مع اختلاف أجناسهم وأنواعهم ولا يخفى أن القرآن الكريم قد شيد هذا الباب وهذا البحث فى آيات عديده، فقد ذكر القرآن الكريم الفطره بعناوين كثيره ومختلفه وليس بلفظ وبعنوان الفطره فقط بل بألفاظ أخرى مقاربه لغويّاً للفطره من قبيل قوله تعالى: **وَ اتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَ الْجِبَلَةَ الْأُولِينَ ١**.

ونظير قوله تعالى: صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ (١).

إذن لابد أن نلتفت إلى هذا النظام وهذا الباب وهذه اللغة، فإن أحد أسباب وأسرار وسر نجاح الأنبياء (عليهم السلام) لاسيما سيد الانبياء (صلى الله عليه وآله) في التأثير على البشر أنهم (عليهم السلام) يركزون ويهتمون على لغة الفطره من بين بقية اللغات بخلاف المصلحين الآخرين في البشر، مع الفارق الشاسع بين الذين أصطفوا من الله تعالى وبين بقية المصلحين المعروفين بالإصلاح في التاريخ البشرى والحضارات البشريه والمدنيه والمؤاخذه عليهم، أنهم غالباً ما يستخدمون لغة غير لغة الفطره.

لغة الفطره ليست صوتيه:

إن للإنسان نوافذ عديده وهو ذو قوى عديده وكل قوه من قوى الإنسان والروح والنفس الإنسانيه بل حتى الملائكه والجن والحيوان والنبات لها قوى مختلفه، فكل قوه من قوى الإنسان لها لغة، فعندما نقول لغة فليس المراد بها لغة صوتيه بل اللغة المعنويه أو التكوينيّه التفاعليه والتي هي أهم من اللغة الصوتيه فهناك لغة صوتيه ولغة معنويه، فالمعنى وانطباعه كخاطره في الروح لغة هو وسيله تفاهم، فإذا أتيت لشخص ما بمعانى خاصه قد يفهمها ذلك الشخص بينما إذا أتيت له بمعانى أخرى قد

ص: ٢٩٤

تكون غامضه عليه فإنه لا يفهم ما تريد.

إذن المعانى لغه من اللغات وكل قوه من قوى الإنسان لها أحاسيس وتفاعل معنوى خاص بها.

ومن باب المشال لتوضيح هذا البحث: هناك مقوله تذكر كثيراً أن كل إنسان له نقطه ضعف فإذا أردت أصلاح هذه النقطه وتحولها من الضعف إلى القوه فلا بد أن تؤثر عليه من تلك النقطه هذه تسمى لغه وهذا هو بحث التأثير وبحث التفاهم.

فإذا كان الشخص مهندساً لا بد أن تتكلم معه بلغه الهندسه، ولذلك بعث كل نبى بلغه قومه، وليس المراد بذلك اللغه اللسانيه والصوت فقط بل المعنى الذى يفهموه وهذا تفسير آخر للغه، فنفس عالم المعنى والمعانى والعلوم كمعانى وكأفكار هى لغات، فالحيوانات - مثلاً - لها لغه خاصه ليست هى لغه الصوت بل لغه التأثير بالمعنى والميول الروحيه المختلفه ومن ثم نجد الأولياء، فضلاً عن الأصفياء يستطيعون أن يؤثروا على الوحوش من خلال زوايا ونوافذ وشفره معينه يتأثر بها ذلك الحيوان.

أزدهار اللغات وطمسها:

ونلاحظ فى كل زمن من الأزمان وفى كل جيل من الأجيال قد تزدهر لغه من اللغات، لغه معنويه، أو لغه صوتيه، أو لغه حقائق، وقد تخمد فى ذلك الزمن وتجمد وتتعطل لغات أخرى، فمثلاً أبواب اليقين المذكوره فى المدارس المنطقيه قد تنشط لغه وتخدم أخرى، ففى زمن النبى

ص: ٢٩٥

موسى (عليه السلام) كانت لغه قوه المخيله والخيال والسحر قويه ونشيطه جداً ولذلك نرى معجزاته (عليه السلام) من قبيل فلق البحر وقلب العصى وقلب المطر دماً كلها مرتبطه بالتغيرات المدركه بتوسط العين وليس من الخيال لأن فى الخيال يتم تغيير الصورة فى العين تخيلاً وليس تغير الخارج حقيقه.

أو مثلاً معجزه النبى صالح (عليه السلام) حيث كان قومه ينحتون من الجبال بيوتاً وهذا من مهاره الجبال والمعادن فأخرج لهم الله تعالى من فنههم ناقه ومن الطبيعى يخاطبهم من نمط لغتهم بما لا يقدررون عليه - أى أخرج الناقه - وهلم جرا فى معجزات باقى الأنبياء (عليهم السلام).

وهناك لغه مشتركه موحده لدى جميع الأنبياء والأوصياء ألا وهى لغه الفطره، فإنها أسرع اللغات فهماً وليس ذلك فى الإنسان فقط بل فى الملائكه وفى الجن وفى الحيوان وفى النبات هناك لغه أيضاً أسمها لغه الفطره، وليس المراد منها لغه صوتيه بل لغه تكوينيه تفاعليه ومعنويه، يعنى يمكن بهذه اللغه تفسير وترجمه بيان والتفاهم حول كل شىء.

فطره النبى صلى الله عليه وآله وسلم:

إنَّ الأنبياء والأوصياء برعوا فى التأثير على البشر وغير البشر وذلك لاستخدامهم لغه الفطره، بينما الفلاسفه أو العرفاء أو الصوفيه لم يؤثروا على أكثر البشر لأن تأثيرهم ناقص عبر اللغه التى خاطبوا بها هذا مضافاً إلى الفارق قدره دور بين المعصوم وغير المعصوم إذ هناك فرق كبير وواضح بين الوحي والجهد البشرى، وذلك لأن الأنبياء يستخدمون لغه أكثر فهماً

عند كل الناس بل عند كل المخلوقات وهو نظام الفطره، ولا يخفى أن الفطره درجات ففطره النبات تختلف عن فطره الحيوان وعن فطره الملائكه وعن فطره الإنسان لأن الخلقه درجات فكذلك الفطره أيضاً. ولكن أعظم نظام فطره هو عند أعظم مخلوق وهو سيد الأنبياء (صلى الله عليه و آله)، يعنى الفطره التى خلق الله بها سيد الأنبياء لم يخلق بها النبى عيسى ابن مريم (عليها السلام) ولا النبى موسى (عليه السلام) ولا النبى إبراهيم الخليل (عليه السلام) ولا جميع الأنبياء، فإن هذه الفطره التى كاملها الله تعالى فى سيد الأنبياء لم يجعل له نظير أو مثل سوى قرب على بن أبى طالب (عليه السلام) من سيد الأنبياء (عليه السلام).

ولذلك لم يشبه القرآن الكريم أحدا بمنزله سيد الأنبياء إلا على (عليه السلام) كما هو مفاد آيه المباهله: فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَ
أَبْنَاءَكُمْ وَ نِسَاءَنَا وَ نِسَاءَكُمْ وَ أَنفُسَنَا وَ أَنفُسَكُمْ (١).

ومن ثم قال أحد البابوات السابقون للكنيسه الكاثوليكيه عندما أرسل اليه أحد المحققين الصحيفه السجديه قال نحن ندعى ونعتقد أن عيسى ابن مريم (عليه السلام) رئيس العرفان ولكنى أقر أن العرفان الموجود فى الصحيفه السجديه عند الإمام زين العابدين (عليه السلام) أعظم من الموجود عند النبى عيسى ابن مريم (عليه السلام) - وهذه الرساله موثقه دولياً - والإمام زين العابدين (عليه السلام) تبعه يسيره من سيد الأنبياء (صلى الله عليه و آله) فكيف بسيد الأنبياء نفسه (صلى الله عليه و آله).

ص: ٢٩٧

قال تعالى: فَطَرَتِ اللَّهُ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ (١). فالفطره هي في نفسها دين، يعنى هناك تطابق وتناغم بين كل منظومه الدين وكل فطره البشر، بل فطره المخلوقات كلها، لأنه في بدايه الآيه يذكر القرآن الفطره التي فطر الناس عليها ثم بعد ذلك يتوسع فيقول (لا- تبديل لخلق الله) وهذا نوع من التناغم الذي بين دين الإسلام ودين النبي محمد (صلى الله عليه وآله) مع كل فطره المخلوقات، وهذا التناغم ليس بالإثبات النظرى أو بالأدله النظرية كما في القرون السابقه بل هذا التناغم بات يشاهده البشر بالبرهان التجريبي من خلال الأزمات التي يمر بها البشر ومنها الأزمه الاقتصادية الماليه التي عصفت الآن بالغرب كلها حتى أخذ رواد الفكر الاقتصادي في الغرب يصرحون خلال السنوات التسع الماضيه بمعجزه تشريعات الإسلام التي أتى بها سيد الأنبياء (صلى الله عليه وآله) من تحريم الربا وتحريم التمويه في المعاملات: وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ (٢). فالباطل هنا يعنى تمويه المعاملات أو تمويهه غسيل أموال، وكذلك تحريم أعيان أو محرمات كالمخدرات وغيرها من المكاسب المحرمه وكذلك تحريم الاحتكار وغير ذلك.

إن الغدد الاقتصادية المحرمه التي وضع عليها التشريع الإسلامى يده هي

ص: ٢٩٨

١- (١) سورة الروم: الآيه ٣٠.

٢- (٢) سورة البقره: الآيه ١٨٨.

التي تقض بمضجع الاقتصاد النموذجي لدول العالم الأول في القوه الماليه والاقتصاديه حتى تكاد تكسر عروش اقتصادهم وتفتته تفتتاً.

وهناك إحصائيات كثيره ومذهله طالعتنا بها منظمه الأمم المتحده أن هناك ستين فرداً وشخصاً وليس ستين ألفاً أو مليوناً يملكون ٧٠٪ من ثروه أمريكا التي هي أثرى وأغنى دوله في العالم وهذا أحد أسباب الأزمه الاقتصاديه.

الإعجاز التشريعي للنبي صلى الله عليه وآله وسلم والحقد الغربي:

فها هي تشريعات سيد الأنبياء (صلى الله عليه وآله) تتجلى وتتألاً للعقل البشرى جدارتها الآن بالبرهان التجريبي أى برهان الفطره للنظام الاجتماعى، وفطره نظام البيئه الخضراء، وفطره النظام البيئى المائى، وفطره النظام البيئى الهوائى، فطره لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم، فالدين الإسلامى جعل لنا آداباً مع البيئه وجعل لنا آداباً مع الحيوانات وآداباً مع الهواء حتى مع الطعام: وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا (١)، بينما شعار الرأسماليه أسرفوا أسرفوا نظام وسياسه الصرف الاستهلاكى الافراطى. وهذا أحد أسباب الأزمه الخانقه لهم وهو الإسراف والبذخ والبطر، وعندما ينالون من شخصيه النبي (صلى الله عليه وآله) فليس عبثاً أو صدفه بل لأن إعجازه التشريعي الدينى الذى بعث به (صلى الله عليه وآله) أخذ يتقدم فى حواضر مراكز الدراسات العالميه، فلو أراد

ص: ٢٩٩

الإنسان أن يجمع من خلال وكالات الأنباء تصريحات عقول الاقتصاد الغربي الأوربي والأمريكي سواء في البنك، في المصرف، في النقد المالي، في التجاره، في الجمرك، في كل فصول الاقتصاد أنه لا منجى للغرب من هذه الأزمه الماليه إلا تشريعات سيد الأنبياء(صلى الله عليه و آله)، وقد صرح بذلك جمله من أمهر وأنغ ساسه بناه النقد ونوايغ المصرف ومنظري الاقتصاد وكذا رئيس قساوسه بريطانيا قبل عده سنوات، وهذا انتشار خطير لرواج التشريع النبوى لمحمد(صلى الله عليه و آله) بالنسبه لهم لأنه بالتالى إنتشار لشخصيه الرسول الأكرم(صلى الله عليه و آله) ودينه الذى بعث به بحيث وصل إلى عقر عقول المفكره والمدبره لأقتصادهم، وبالتالي لم يبق لديهم إلا السباب والشتم والاستهزاء والكذب والدجل وهو مؤشر الإفلاس فى المواجهه العلميه لجدوائيه بنیان التشريع النبوى.

الغرب والتقنين السرى:

أحد الأساتذه الأكاديميين والخبير فى القانون الجنائى الدولى يسأل عن التشريع الإسلامى فى باب الجنایات والعقوبات يعنى الحدود والقصاص كيف يتلائم من التقنينات العصريه فى العالم؟!.

وكان الجواب له هل تريد أن تقارن بين تقنين سيد الأنبياء(صلى الله عليه و آله) وبين التقنينات والقوانين الرسميه فى الدول أو القوانين السريه فى الدول؟ وقد تفاجئ بهذا التقسيم وكأنه استيقظ من سبات علمى فى البحث المزبور.

فإنَّ هناك قوانين غير معلنه بل سريه ومعمول بها فى إداراتهم ووزاراتهم ولكن بشكل خفى وغير معلن عنها،وهناك الكثير من الدول الغريبه إذا

لوحق بعض ممثليها، أو سفرائها، أو ضباطها، أو جنودها بقضيه ما فإنه يصنع لهم محاكمه ولكن طبق القوانين المقرره وغير المعلنه ولا يسمحون بالإعلان عن تلك القوانين المعمول بها داخل أجهزه النظام وليس داخل الدول فقط بل مع شعوبهم أيضاً وإن كان فى السطح الظاهر المجريات للقانون الرسمى. وأى عضو يعمل فى الدوله إذا أكرم أى جرم لابد أن يحاكموه طبق تلك القوانين الخفيه لديهم فيبرؤونه إذا كان طبق ضوابط تلك القوانين وإن مجرمًا جنائياً فادحاً طبق القوانين الرسمىه المعلنه وهذه قوانين دمويه، أو باشيه، وحشيه الله، أعلم بمدى عنجهيتها، فالتعذيب الذى فى سجن غوانتاموا أو غيره الم يكن مقنن طبق تلك القوانين غير المصرح بها رسمياً لديهم؟!.

مثلاً المخبرات المركزيه (CI) لديها قوانين خاصه ولكن من الذى أطلع على تلك القوانين، ولا يمكن لأى أحد أن يطلع عليها لأنها قوانين سريه، فالقوانين المدنيه المعلنه لديهم لها شكل والقوانين المقرره والمصوبه والخفيه غير المصرح بها لها شكل آخر. فإذا أردت أن تقارن أيها الحداثوى وأيها الباحث فى الألسنيات والمفضل بين تقنين سيد الأنبياء(صلى الله عليه وآله) وبين غيره فسيد الأنبياء(صلى الله عليه وآله) ليس لديه تقنين معلن وتقنين خفى بل تقنين واحد.

فالدوله التى يديرها سيد الأنبياء(صلى الله عليه وآله) أو يديرها سيد الأوصياء(عليه السلام) أو يديرها سيد شباب أهل الجنه ليس فيها قوانين معلنه وقوانين سريه مخفيه. بل

قوانين واحده سواء كانت قوانين عقوبات أو جنایات أو حرب أو سلم أو غير ذلك من القوانين المدنيه والتجاريه.

قوانين الرق فى التشريع النبوى والرق الغربى:

إن الرق فى التشريع النبوى هو لأجل تربيته الأمم لا اضطهادها أو إذلالها بل إيجاد نوع من البيئه المربيه ولذلك يحرر الرق بأدنى ذريعه ووسيله ويجعل له حقوقاً تحول دون اضطهاده. بينما لو نظر إلى قوانين الرق (الخفيه) فى أوروبا الغربيه وأمريكا فنراه رق مدلهم ودموى بحيث يعث بعرض الفتاه وعرض الفتى، وليس الغرب فقط بل وكذا أوروبا الشرقيه وروسيا، ويمنعون رسمياً عن الرق ولكنهم فى الخفاء بتوسط الشبكات السريه لديهم أرقام كبيره ومذهله فى مجال الرق، فأى فطره ينادون بها فهناك أرقام كشفت عنها منظمه الأمم المتحده والمنظمات الحقوقيه المدنيه فى الغرب، بل تم الكشف عن ملفات مدميه ومبكيه ومقرفه للإنسان إذا اطلع عليها بل إنهم يقيمون حروب فى العالم الثالث وتهجير شعوبها وأحد أهدافهم منها استرقاق ما يمكنهم من الفتيات والفتيان تحت جناح الشبكات السريه وعصابات بيع الرق تماماً نظير الحروب فى القرون الوسطى وإغاره القبائل لأجل السبى والغنائم الماديه كسرقه العقول والكفاءات والكوادر من تلك البلدان فضلاً عن ثرواتها الطبيعيه.

ونراهم يرفعون شعارات وقوانين رسميه ويبتنون ممارسات وأعراف خفيه أخرى، ومن يقع فى أحضانهم فله الويل منهم. وقد انكشفت بين الحين

والآخر بعض هذه القوانين الخفيه حتى لا يستطيعون أخفاء هذه الفضائح الكريهه،ومن دجلهم نراهم يلصقون هذه الفضائح بدين الإسلام. حتى تناولوا على سيد الأنبياء(صلى الله عليه و آله) وفي الواقع أنهم يريدون أن يتناولوا على تكامل البشريه، ويريدون أن يشيطنوا الإنسانيه حتى يقبلوها من إنسانيه إلى شيطنه إبليسيه.

لأن عداء نهج الأنظمه الغربيه هو مع النبيل ومكارم الأخلاق الإنسانيه وقيمته عند سيد الأنبياء(صلى الله عليه و آله) فغايتهم وهدفهم من تناول على شخصيه سيد الأنبياء هو نشر اليأس والإيأس لدى البشريه عن وصول شخص إلى قمه النبيل والمكارم لئلا يكون قدوه للبشر ولئلا يفتح طريق وسبيل التكامل في محاسن الأخلاق كثقافه وأعراف لدى عموم البشريه فإن ذلك يورط الطبقة الحاكمه الثريه والمتحكمه في مقدرات شعوبها والشعوب الأخرى ويحرجها إذ النبيل والمبادئ والقيم والمكارم تفتح باب المحاسبه والمدايينه على موازين العدل والقسط وهذا مما يحرج طبقات الثروه والمال والقدرة ويمنعها عن اللعب والعبث في مقدرات الشعوب والإفساد في الأرض.

فهدفهم من الطعن زرع فكره ونظريه أنه ليس هناك شخصاً نموذجياً، لأن الذي يغيظهم في سيد الأنبياء قمميه سيد الأنبياء(صلى الله عليه و آله) وفطرته الكامله والصاعده على جميع الأنبياء(عليهم السلام) فإنه(صلى الله عليه و آله) خاض السلم وخاض الحرب وخاض المجتمع وخاض السياسه وخاض الروحانيه بكل توازن ونبيل وهذا ما يصعب عليهم.

وصف القرآن الكريم النبي الخاتم (صلى الله عليه و آله) بالخلق العظيم ولم يصف باقى الأنبياء (عليهم السلام) بهذا الوصف، وهذا يعنى أن عظمه الأخلاق لم يقر القرآن الكريم بها لأحد من المخلوقات بما فيها الأنبياء والرسل إلا النبي محمد (صلى الله عليه و آله) حيث قال تعالى: **وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ (١)**.

نعم وصف القرآن الكريم باقى الأنبياء بصفات عديده مثل:

النبي نوح (عليه السلام) وصف بالعبد الشكور كقواه تعالى: **إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا (٢)**.

النبي إبراهيم (عليه السلام) وصف بالحلم كقوله تعالى: **إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ٣**.

النبي عيسى (عليه السلام) وصف بقوله الحق كقوله تعالى: **ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ (٣)**.

النبي يحيى (عليه السلام) وصف بالسيد الحصور كقوله تعالى: **أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ يَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ (٤)**.

النبي موسى (عليه السلام) وصف بالإخلاص كقوله تعالى: **إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا**

ص: ٣٠٤

١- (١) سورة القلم: الآية ٤.

٢- (٢) سورة الإسراء: الآية ٣.

٣- (٤) سورة مريم: الآية ٣٤.

٤- (٥) سورة آل عمران: الآية ٣٩.

وَ كَانَ رَسُولًا نَبِيًّا (١).

وغير ذلك من الصفات المذكوره للأنبياء (عليهم السلام) في القرآن الكريم، أما وصف جميع الصفات والكمالات، الخلقية، النفسية، الروحية والتي أجمعت في شخص واحد لم يصف القرآن فيها أحداً إلا اثنين وهما النبي محمد (صلى الله عليه وآله) وخليفته الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) كما في قوله تعالى: وَ أَنْفُسَنَا وَ أَنْفُسَكُمْ . حيث نزل القرآن الكريم منزله النبي (صلى الله عليه وآله).

ومنطق القرآن يشير إلى إفضال علي بن أبي طالب (عليه السلام) على بقية الأنبياء بما فيهم أولى العزم عدا النبي (صلى الله عليه وآله) وهذا ليس تمحلاً أو تكلفاً من القول بل نصوصيه من القرآن الكريم.

فعن فضيل بن يسار قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول لبعض أصحابه قيس الماصر: إن الله عزَّ وجلَّ أدب نبيه فأحسن أدبه فلما أكمل له الأدب قال: وَ إِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ثم فوض إليه الدين والأمة ليسوس عباده. فقال عزَّ وجلَّ وَ مَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَ مَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وإن رسول الله كان مسدداً موفقاً مؤيداً بروح القدس لا يزل ولا يخطى في شيء مما يسوس به الخلق فتأدب بآداب الله... (٢).

ولما جعله الله بهذه الصفة وَ إِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ أرسله ليتمم مكارم الأخلاق كما قال (صلى الله عليه وآله): «بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» (٣). وهذا دال

ص: ٣٠٥

١- (١) سورة مريم: الآية ٥١.

٢- (٢) الكافي للكليني ج ٢٦٦ : ١ .

٣- (٣) بحار الأنوار للمجلسي ج ٢١٠ : ١٦ .

على أن بقيه الأنبياء لم يقيموا تمام مكارم الأخلاق.

نعم إذا نظرت إلى رسول الله (صلى الله عليه و آله) من خلال نظاره مكسوره أو من خلال كتب صفراء إسلاميه أخرى يرويها زيد وبكر الراوى فهذا بحث آخر.

وأما إذا نظرت إلى النبي (صلى الله عليه و آله) من خلال مرآه شفافه صافيه وهى نفس القرآن الكريم أو من خلال مدرسه أهل البيت (عليهم السلام) التى يشهد بها القرآن فسوف ترى الصوره الجميله عن سيد الأنبياء (صلى الله عليه و آله) وأنها أكمل صوره إنسانيه إبتدعها الله فى خلقه.

تعدد الزواج وإداره الدوله:

إن الإنسان إذا انشغل بزوجه أو زوجتين نراه من الصعب أن يتصدى لأتقان وإحكام إداره تدبير المجتمع فضلاً عن إقامه حضاره، ولا سيما إذا كانت الزوجه أو المرأه مشاكسه غير موافقه أو عصيه بل معاديه، كما يستعرض لنا القرآن الكريم أن بعض نساء النبي (صلى الله عليه و آله) عصيات مما يبين لنا مدى عظمه سيد الأنبياء (صلى الله عليه و آله)، رغم أن عدده من نسائه متمرديات ومتعاديات فيما بينهن لكن سيد الأنبياء (صلى الله عليه و آله) قمه لا تنزله الزلازل.

فكيف إذا كان لديه تسع نساء أو زوجات؟! وكن معه فى عقر داره وليس ببعيدات عنه، فإن القائد المثالى الذى يكون قائداً مثالياً فى عقر داره أولاً هو من ثم يكون قائداً مثالياً فى الخارج.

لاحظ رؤساء العالم فى زماننا هذا إذا تكلم من خلال مؤتمر صحفى ولمده خمس دقائق نراهم يتظاهرون بالمثاليه والمعالي والقممييه، بينما لو تركنا

عدسه التصوير تركز عليهم فى محافلهم الخاصه الأخرى فسوف نرى حقيقتهم من الجيفه التته والكنيف الملوث، أما شخص
كشخص الرسول الأكرم (صلى الله عليه و آله) فمن حكمه الله أن يسلط عليه تسع عدسات تصوير - تسع نساء - ومن قبائل
وعشائر مختلفه لأنهن عيونهم على السلوك الخفى عن الأنظار لرسول الله (صلى الله عليه و آله).

فعن زراره عن سعد بن هشام قال: سألت عائشه فقلت أخبرينى عن خلق رسول الله (صلى الله عليه و آله). فقالت: كان خلقه
القرآن (١).

وعن صفيه بنت حى قالت: ما رأيت أحداً أحسن خلقاً من رسول الله (صلى الله عليه و آله) (٢). وهذا إعراف من بعض النساء
التسعه وهو عدسه رقايبه من عقر داره.

ولو نظرنا إلى شخصيه الإنسان من ناحيه الجنس وإشباع الغريزه نرى أن نقطه الضعف فيه هو المرأه وكذلك العكس، ولكن فى
شخصيه النبى (صلى الله عليه و آله) أراد الله أن يبين أن نقطه الضعف هذه هى نقطه قوه وقممييه عند رسول الله (صلى الله عليه و
آله) فإن كل شىء فى منظومه حركاته، أفعاله، غرائزه، قواه مبرمجه ومنظمه، فإنه (صلى الله عليه و آله) فى شهوته عدل، وفى كل
غرائزه وقواه وفى عقر داره عدل، وليس فقط عدله بل إحسانه فى كل شؤونه وعقر داره إحسان، فهذه معجزه مجسمه وسبب
ذلك هو كمال الفطره فيه.

ص: ٣٠٧

١- (١) مسند أحمد لأبن حنبل ج ١٦٣: ٦؛ كنز العمال للمتقى الهندى ج ٢٣٢: ٧.

٢- (٢) فتح البارى لأبن حجر ج ٤١٩: ٦.

روى عن الإمام أبي عبد الله (عليه السلام): إن إبراهيم شكّا إلى الله عَزَّ وَجَلَّ ما يلقي من سوء خلق ساره، فأوحى الله تعالى إليه إنما مثل المرأة مثل الضلع المعوج إن أقمته كسرته وإن تركته أستمتعت به أصبر عليها(١).

فالنبي إبراهيم (عليه السلام) لم يصبر على أخلاق زوجته ساره مع أن ساره كانت بنت أنبياء فهي بنت خاله إبراهيم (عليه السلام) وأخت النبي لوط (عليه السلام) وفي نفس الوقت أم الأنبياء وقد كانت محدثه بصريح القرآن الكريم: وَ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلَنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكَرَهُمْ وَ أَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ وَ امْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكْتُمْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَ مِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَ أَلِدُ وَ أَنَا عَجُوزٌ وَ هَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ قَالُوا أَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمَتُ اللَّهِ وَ بَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ (٢).

نعم كما أن الأصفياء درجات فالصديقات أيضاً درجات، فإن هناك مقدس وصفى ووفى ولكن هناك أقدس منه وأصفى وأوفى وأصدق. فساره مع أنها صديقه ولكن النبي إبراهيم (عليه السلام) أشتكى منها بينما سيد الأنبياء تحمل وصبر ولم يشكو الله من العديد من نسائه ومع كونهن عدوات عصيات

ص: ٣٠٨

١- (١) الكافي للكليني ج ٥١٣: ٥.

٢- (٢) سورة هود: الآية ٦٩ - ٧٣.

بشهادته القرآن وهو الفارق بين ساره الصديقه وعده من أزواجه (صلى الله عليه و آله).

وذلك من شدة نوريته (صلى الله عليه و آله) ومن ثم خاطبه تعالى طه * ما أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى وَلَكِي يَنْزِلُ وَيَبْشُرُ التَّفَاعُلَ مَعَ الْبَشَرِ شَدِيدًا أَوْ أَبْتَلَاهُ اللَّهُ بِتِسْعِ نِسَاءٍ وَإِلَّا فَهُوَ (صلى الله عليه و آله) جَذَابٌ لِعَالَمِ الْمَلَكُوتِ.

العبادة العظيمة مع نساء تسع:

وقد كان رسول الله (صلى الله عليه و آله) مع ماله من مهام من بناء حضاره الدين الحنيف وإداره الدوله الإسلاميه وله تسع زوجات كانت له عباده خاصه لا أحد يستطيع القيام بها إلا هو (صلى الله عليه و آله)، فقد كان (صلى الله عليه و آله) - كما فى بعض الروايات - يصلى على أطراف أصابع رجله عشر سنين كما ورد فى الاحتجاج.

فعن أبى بصير، عن أبى جعفر (عليه السلام) - فى حديث - قال: كان رسول الله (صلى الله عليه و آله) يقوم على أطراف أصابع رجله فأنزل الله سبحانه: طه ما أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى (١).

وفى روايه أخرى أنه كان يقوم على أصابع رجله حتى تورمت قدماه (٢).

بل هناك روايات أخرى أنه كان يصلى وهو قائم على إحدى رجله.

فعن أبى عبدالله (عليه السلام) قال إن رسول الله (صلى الله عليه و آله) بعدما عظم أو بعد ما ثقل كان يصلى وهو قائم ورفع إحدى رجله حتى أنزل تعالى: طه

ص: ٣٠٩

١- (١) الوسائل للحر العاملى ج ٤٩٠ : ٥.

٢- (٢) المصدر السابق.

ما أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى (١).

فمن ذا يستطيع أن يقوم بهذه الرياضه الروحيه مع القيام بكل المسؤوليات الأخرى، فترى أن نموذجيه هذه الشخصيه النبويه لا يمكن أن يدانيها أحد من المخلوقين وَمَنْ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ طَافَ حَوْلَ الْبَيْتِ ثَلَاثَ مِائَةٍ وَسِتِّينَ طَوَافًا فِي غَضُونِ أَيَّامٍ، وَلَكِنْ مُحَمَّدٌ وَعَلِيٌّ « صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا » قَامَا بِذَلِكَ.

والمؤسف رؤيه تحامل الغرب بالإساءه العدائيه ومحاربه هذا الجبل الشامخ منذ أكثر من ألف وأربعمائه سنه وفي الواقع هم يسيئون ويحاربون ويظلمون أنفسهم قبل أن يظلموا سيد الأنبياء، كما يقول الإمام الباقر(عليه السلام) يتركون النهر العظيم ويمصون الثمد فيسأله السائل يابن رسول الله(صلى الله عليه وآله) ومن هو النهر العظيم؟. فيقول الباقر: علم رسول الله(صلى الله عليه وآله).

ص: ٣١٠

١- (١) المصدر السابق : ٤٩١.

سمى رسول الله (صلى الله عليه و آله) بعده أسماء ومنها أسم «العاقب» فعن النبي (صلى الله عليه و آله) أنه قال: «لى خمس أسماء، أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحى الذى يمحو الله بى الكفر، وأنا الحاشر الذى يحشر الناس على قدمى، وأنا العاقب»^(١).

وفى حديث آخر: بعثت أنا والساعه كهاتين وأنا العاقب^(٢).

وفى الخصال عن جابر بن عبد الله قال رسول الله (صلى الله عليه و آله): «... وسمانى فى القيامة حاشر يحشر الناس على قدمى، وسمانى الموقف أوقف الناس بين يدى الله جل جلاله، وسمانى العاقب أنا عقب عقب النبيين ليس بعدى رسول، وجعلنى رسول الرحمة ورسول التوبه ورسول الملاحم والمقفى قضيت النبيين جماعه»^(٣).

فالعاقب فى اللغه هو آخر كل شىء أو خاتمه^(٤).

ص: ٣١١

١- (١) الموطأ لمالك، ج ١٠٠٤ : ٢.

٢- (٢) تنوير الحوالك لجلال الدين السيوطى : ٧٣٧.

٣- (٣) الخصال للصدوق : ٤٢٥.

٤- (٤) معجم الفاظ الفقه الجعفرى لفتح الله : ٢٨٢.

ومن خلال بعض القرائن التي لا- يسمح المجال لذكرها أن العاقب هو آخر من يرجع في الرجعه من المعصومين الأربعة عشر (عليهم السلام)، فإن آخر دوله وأعظم دوله - ولعلها عالم القيامة - هي دوله سيد الأنبياء (صلى الله عليه وآله)، يعنى يؤتى الله نبيه ملكاً لا يقدر بملك الدنيا كلها، وهذا الاسم والنعته ثابت روائياً وحديثاً حتى عند المذاهب الإسلاميه الأخرى من دون أن يشعرون.

والوجه فى ذلك واضح فإن العالم الدنيوى أكمل كمال فيه هو أن يدار بحاكميه وقياده وإداره وتديبر من هو أعظم مخلوق وهو سيد الأنبياء (صلى الله عليه وآله)، إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَأْدُكَ إِلَى مَعَادٍ (١).

و(رادك) هنا لخصوصيه خاصه له (صلى الله عليه وآله)، فيأتى (صلى الله عليه وآله) ويقوم دولته العظمى، فإن البشريه تتطلع إلى أعظم دوله يديرها ويدبرها أعظم شخص خلقه البارى تعالى، وهذه الحكومه هي حكومه سيد الأنبياء (صلى الله عليه وآله) وتمهد لها حكومه سيد الأوصياء (صلى الله عليه وآله) فى الرجعه «أربعاً وأربعين ألف سنة حتى يلد الرجل من شيعه على (عليه السلام) ألف ولد من صلبه...» (٢).

حكومته محمد وآل محمد:

فهذه التطلعات أو المعتقدات يفرضها نفس البيان العقلى لأن النبى وأوصيائه أكفأ البشر، فحكومه سيد الأنبياء ترقى على حكومه سيد الأوصياء، وحكومته سيد الأوصياء ترقى على حكومه الحسين (عليهما السلام)، وحكومته الحسين (عليهما السلام)

ص: ٣١٢

١- (١) سورة القصص: الآية ٨٥.

٢- (٢) مختصر بصائر الدرجات : ٢٧.

ترقى على حكمومه الإمام المهدي (عج)، وحكومته الإمام المهدي (عج) ترقى على بقيه حكومات التسعه من الإمام زين العابدين (عليه السلام) إلى الإمام الحسن العسكري (عليه السلام).

ومن الواضح أن المستقبل هو لحكومته الأئمه (عليهم السلام) وليس لأحد من بقيه الأنبياء الأربعة من أولى العزم العظام أو غيرهم من الأنبياء - عدا سيد الأنبياء (صلى الله عليه وآله) - ليس لهم رئاسه حكومه فى المستقبل إلا فى ظل حكومه محمد وآل محمد (صلوات الله عليهم) ومن ثم جعل الله تعالى ولايه ثروات الأرض وهو الفىء فى سورة الحشر للرسول ولذى القربى حكماً أبداً لا لبقية الأنبياء.

حكومتان للمهدى عجل الله فرجه الشريف:

ولكن الإمام المهدي (عج) له حكومه فى حياته عند ظهوره وله حكومه فى رجعتة، فإن الإمام الثانى عشر أيضاً له رجعه، وهكذا الأئمه (عليهم السلام) لهم رجعات فتاره يكون رئيس الحكومه خليفه الله فى الأرض نفس الإمام المعصوم كالجواد أو الهادى أو العسكري (عليهم السلام) ولكن لكل من الأئمه له رجعه أخرى غير رجعه رئاسته وقيادته فى ظل عصره - عصر الرجعه - أى فى عهد من يفوقه من المعصومين فىكون وزيراً له، وفى جملة من حكومات أمير المؤمنين (عليه السلام) هناك جملة من الأئمه يكونون وزراء له، وفى أعظم حكومه وهى لسيد الأنبياء يكون نائب الرئيس أمير المؤمنين وبقية الأئمه الأحد عشر (عليهم السلام) وزراء لسيد الأنبياء (صلى الله عليه وآله)، أما جميع بقيه الأنبياء والمرسلين من آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى وزكريا وسليمان وداود... فلا

تكتب لهم أى رئاسه حكومه أو خلافه فى الأرض وإنما تكتب لهم نصره وعون لسيد الأنبياء وآله «صلوات الله عليهم»، وهذا ما ينص عليه القرآن الكريم فى آيات عديده. كقوله تعالى: مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَ لِلرَّسُولِ وَ لِتَدَى الْقُرْبَى وَ الْيَتَامَى وَ الْمَسَاكِينِ وَ ابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَهُ بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَ مَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَ مَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (١).

فإن الأهل الكفوء لإداره كل ثروات الأرض منذ نزول القرآن والى يوم القيامة هو رسول الله (صلى الله عليه و آله) وقرباه ولذلك نلاحظ اللام فى الآيه الشريفه كررت ثلاث مرات لأنها لام الاختصاص وليس مفادها ملك الأعيان القابل للزوال بل اختصاص ملك تدبير وولايه وتصرف ثابت، وهذا بخلاف الملك الشخصى، فمثلاً لو أقتضى الصالح العام إزاله بيت فى وسط طريق شارع فهنا يرفع الملك الشخصى ويعوض له بمال وهذا حكم الملك الشخصى فهو ملك ضعيف أمام المصلحه العامه.

أو مثلاً مال لزيد وحدثت سنه مجاعه والناس فى حاله جوع فهنا غضباً أو جبراً على زيد يعطى ماله للآخرين ويعوض، كما أن مال زيد إذا مات يذهب إلى وراثته من الأحياء. أما ملك الولاية والتدبير والتصرف فهو ملك أعظم فلا يزول ولا يزال فهو أقوى ملك، وَ لِلَّهِ مُلْكُ

ص: ٣١٤

١- (١) سورة الحشر: الآيه ٧.

السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا (١). فملكك الله لا- يزول، ومن بعده عَزَّ وَجَلَّ أَسْتَخْلَفَ اللهُ نَبِيَهُ وَآلَ نَبِيِهِ مِنْ دُونِ إِعْزَالٍ أَوْ إِنْحِسَارٍ.

ولايه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

فى الوقت الراهن ولينا بعد الله عَزَّ وَجَلَّ هو رسول الله (صلى الله عليه وآله) ولم تنقطع ولايته إلى الآن، وإن كان هذا البحث لم يذكره جملة من المتكلمين إن لم يكن جملهم، فولايته كانت ولا زالت: هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ (٢).

فما هو الفرق بين الهدى والدين؟! ولماذا جاء بالهدى أولاً ثم دين الحق؟!.

وجواب هذا السؤال أشار إليه القرآن الكريم إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ (٣).

فقد أرسل رسوله بالهدى أولاً ثم نبوته كمصطلح نبوى وإلا فإن إمامته معجونه ومسبوكه بولايته وإمامته، فولايته (صلى الله عليه وآله) مقررته ثابتة ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى وللمساكين وللمسائل... .

وقد مر أن اللام مسنده إلى الله والرسول وذى القربى ولكنها غير

ص: ٣١٥

١- (١) سورة المائدة: الآية ١٥ .

٢- (٢) سورة التوبة: الآية ٣٣ .

٣- (٣) سورة الرعد: الآية ٧ .

مسنده إلى غيرهم كاليتامى والمساكين وابن السبيل من الطبقات المحرومة، بل هم مورد مصرف للتوزيع العادل، فمن الذى ينشر العدل فى التوزيع على هذه الطبقات المحرومة هل هو النبى عيسى (عليه السلام) أو النبى إبراهيم (عليه السلام) أو غيرهما من الأنبياء؟! كلا إنهم لم يصطفوا بالدرجة التى أهل لها سيد الأنبياء (صلى الله عليه و آله)، أو أهل لها سيد الأوصياء (صلى الله عليه و آله)، فَلِلَّهِ وَاللرَّسُولِ وَ لِذِي القُرْبَى وَمَن أَقْرَبَ قَرْبَى الرسول الله (صلى الله عليه و آله).

ولايه فاطمه:

نعم فاطمه (عليها السلام) عقب الإله عَزَّ وَجَلَّ حيث أوكل لها (عليها السلام) ملفات عديده فى مصحفها وأحد هذه الملفات هو ملوك الأرض إلى يوم القيامة وهنا نتساءل ما هو شأن فاطمه (عليها السلام) بالحكومات والدول؟! ولماذا البارى تعالى يعطيها كل هذا الكشف التفصيلي؟.

لأنها (عليها السلام) المشرف الاصطفائي العام لصلاحيه من يملك فى بقاع الأرض والجغرافيه الأرضيه قرناً بعد قرن وسنه بعد سنه هى فاطمه الزهراء (عليها السلام) وليست مريم ولا خديجه ولا ساره ولا آسيا بنت مزاحم، لأنها المؤهله الوحيده لذلك.

فالقرآن الكريم حينما يعين ذوى القربى لإقامه العدل لمستقبل البشر ذوى قربى النبى (صلى الله عليه و آله) ليس هذا التنصيب من باب القبليه ولا العشائريه ولا العرقيه ولا القوميه بل «كى لا يكون دوله بين الأغنياء».

يقول تعالى فى وصف أصحاب الكساء: وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مَشَكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا* إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا (١) فهذه سورة كاملة نزلت فى حق إيثار [على وفاطمه والحسن والحسين] «صلوات الله عليهم».

فهل يوجد هناك إيثاراً كما يثارهم صلوات الله عليهم، بل لا يوجد هذا الإيثار عند أحد إلا عند سيد الأنبياء وسيد الأوصياء.

وليس هذا الإيثار خاصاً بدار الدنيا بل مستمراً فى البرزخ فلهم إيثار يذهل أولى الألباب، لأنهم يعيشون آلام الآخرين وهم فى البرزخ ولذلك لا يصفى لهم رغيده البرزخ والآخرة فكيف لا يصلحون قاده لإقامه العدل إذا كان إيثارهم بهذا المستوى وقد روى الفريقان أن رسول الله (صلى الله عليه و آله) يتأذى باستمرار من مشاهدته للمعاصى الصادره من أمتة ويفرح لطاعتهم.

ص: ٣١٧

مصيبة فقد النبي صلى الله عليه وآله وسلم والظواهر الكونية

مصيبة فقد النبي صلى الله عليه وآله وسلم والظواهر الكونية

عن عمرو بن سعيد بن هلال، عن أبي عبد الله (عليه السلام) - في حديث - قال: وإذا أصبت بمصيبة فاذا ذكر مصابك برسول الله (صلى الله عليه وآله)، فإن الخلق لم يصابوا بمثله قط (١).

وفى روايه أخرى: فإنه من أعظم المصائب (٢).

وفى أخرى أيضاً: فإن الخلائق لم يصابوا بمثله قط (٣).

فإن مصيبة فقدان النبي (صلى الله عليه وآله) من أعظم المصائب لأنه أعظم الكائنات وأعظم البركات التي قدرها الله أن تنبع وتتفجر من بين يدي هذا الكائن العظيم وهو رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وقد وصفت السيدة الزهراء (عليها السلام) حاله الناس بعد فقد النبي (صلى الله عليه وآله) حيث قالت:

فلما أختار الله لنبيه دار أنبيائه ومأوى أصفائه، ظهر فيكم حسيكه النفاق، وسمل جلاب الدين، ونطق كاظم الغاوين، ونبغ حامل الأقلين،

ص: ٣١٩

١- (١) الوسائل ج ٢٦٧ : ٣ .

٢- (٢) الوسائل ج ٢٦٧ : ٣ .

٣- (٣) المصدر السابق : ٢٦٨ .

وهدر فنيق المبطلين، فخطر في عرصاتكم، وأطلع الشيطان رأسه من مغرزه، هاتفاً بكم، فألفاكم لدعوته مستجيبين، وللغره فيه ملاحظين، تم استنهضكم فوجدكم خفاً، وأحمشكم فألفاكم غضاباً فوسمتم غير إبلكم، وأوردتم غير شربكم..(١).

وقد ذكرت السيد الزهراء (عليها السلام) أحوال الكون عند استشهاد النبي (صلى الله عليه وآله) حيث تقول:

أظلمت الأرض لغيبته وكسفت الشمس والقمر، وأنتشرت النجوم لمصيبته، وأكدت الآمال، وخشعت الجبال،... (٢).

كل هذه الظواهر السماوية والأرضية حدثت نتيجة فقدان الكون لسيد الرسل (صلى الله عليه وآله).

ص: ٣٢٠

١- (١) الاحتجاج : ١٣٢ : ١ ؛ بحار الانوار ج ٢١٦ : ٢٩ .

٢- (٢) المصدر السابق .

طاعة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا تنقطع

طاعة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا تنقطع

ومن البين في عقيدتنا أن رحيل الرسول (صلى الله عليه وآله) إلى الرفيق الأعلى لا يعنى تخلف رسول الله (صلى الله عليه وآله) عن إداره الكون أو الأرض وشؤون البشر لأنه كما هو مقتضى عموم أطيعوا الله وأطيعوا الرسول، فإن طاعة الله عزَّ وجلَّ غير محدوده بزمن بل أبدية، سرمدية، فكذلك الحال في طاعة الرسول (صلى الله عليه وآله) غير مقيدة بحدود حياه الرسول (صلى الله عليه وآله) وهو في الدنيا الأولى بل طاعته (صلى الله عليه وآله) مستمره إلى يوم القيامة، وهذه الطاعة ليست مخصوصه في الأحكام النظرية والتشريعات بل حتى في كل تدبيراته للأحداث.

وفي حكمومه النسي (صلى الله عليه وآله)، أو حكمومه أمير المؤمنين (عليه السلام) الحاكم الأول هو الله عزَّ وجلَّ وصلاحيات الحاكم الأول لا تقتصر على السلطه التشريعيه بل تمتد إلى السلطه القضائيه والى السلطه السياسيه التنفيذيه وما شابه ذلك. وهذه العموميه في حاكميه الله هي الفرق بين عقيدتنا وعقيدته المدارس الإسلاميه الأخرى وأن ولايه الله عزَّ وجلَّ وحاكميته ليست حاكميه على صعيد التشريع فقط بل هو الحاكم السياسى الأول، وليس هذا معتقداً

نظرياً بل نعتقد به كـمعتقد فعلى، والدليل على أن الحاكم الأول هو الله عَزَّ وَجَلَّ هو نزول آيات قرآنيه فى تدبير حكومه النبى (صلى الله عليه و آله) أن فى الحدث الخاص يجب أن يصلح مثلاً، وفى المواطن المعين يجب أن يفرض ضريبه اقتصاديه معينه، وفى موطن آخر يجب أن يشن حرباً على الظالمين، وهذه الآيات النازله لا تأخذ جانب مفاد التشريع فقط بل تأخذ بعد وجانب تنفيذ وإجراء حاكميه الله عَزَّ وَجَلَّ فى المواطن والمنعطفات الخطيره لتدبير حكومه الرسول (صلى الله عليه و آله) فى الوزارات المختلفه من حكومه رسول الله (صلى الله عليه و آله)، وهذه هى عقيدته مدرسه أهل البيت (عليهم السلام) فى حياه الرسول الأعظم (صلى الله عليه و آله) فى الدنيا الأولى. بل وحياته (صلى الله عليه و آله) فى البرزخ إلى يومنا هذا وإلى يوم القيامه.

ونعتقد أن الذى يمثل الدولة الإلهيه كان رسول الله (صلى الله عليه و آله) ومن بعد رسول الله (صلى الله عليه و آله) أمير المؤمنين (عليه السلام) ثم الحسن والحسين (عليهما السلام) والى الإمام المهدي (عج) إذن هناك دوله إلهيه قائمه الآن هى التى تمثل البرامج الإلهيه، ولو قارنا بين هذه الدوله الإلهيه والبيئه البشره لوجدنا أن الدوله البشره دوله كارتونيه تسقط بين ليله وضحاها بعصيان مدنى.

إذن فى الدوله الإلهيه وحكومته الرسول (صلى الله عليه و آله) الحاكم الأول هو الله عَزَّ وَجَلَّ والحاكم الثانى هو الرسول (صلى الله عليه و آله) وهناك صلاحيات خاصه لأمير المؤمنين (عليه السلام) فى عهد حكومه الرسول (صلى الله عليه و آله).

«يا على أنت منى بمنزله هارون من موسى إلا انه لا نبى بعدى» .

وأيضاً هناك صلاحيات لفاطمه الزهراء (عليها السلام) فى ظل حكومه النبى (صلى الله عليه و آله) ولكن بحسب مراتب وطبقات متنزله بعد حاكميه الرسول (صلى الله عليه و آله)، وهذه الدوله

الإلهيه لا تبدل فى مراتبها برحيل أحد المعصومين، فمثلاً فى حكومه أمير

المؤمنين (عليه السلام) الحاكم الأول هو الله تعالى وليس أمير المؤمنين (عليه السلام) والحاكم الثاني هو رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهو في البرزخ، ولكن تنزل برامج معينه تملى على أمير المؤمنين (عليه السلام) بما رزقه الله من قوه مصطفاه وعلم لدنى.

فالحاكم الأول هو الله عَزَّ وَجَلَّ والحاكم الثاني هو الرسول (صلى الله عليه وآله) ولانقول أن مقامه وصلاحياته بعد رحيله (صلى الله عليه وآله) أذيب أو أنحل - والعياذ بالله - بل هو (صلى الله عليه وآله) حى يرزق عند ربه لأنه سيد الرسل وسيد الملائكه ولا يزال هو سيد الخلائق ومقامه مفعل وحيوى ونشط إلى يوم القيامة.

ص: ٣٢٤

ولذلك نلاحظ فى عده من الزيارات لأمير المؤمنين (عليه السلام) والحسين (عليه السلام) هذه فقره فى البدايه كزياره وسلام على رسول الله (صلى الله عليه و آله):

«السلام على أمين الله على وحيه وعزام أمره» وهذا خاص لرسول الله (صلى الله عليه و آله) وعزائم الأمور يعنى أن الأمور العصبية والمهمه والخطيره فى الكون فضلاً عن إداره الأرض هي لرسول الله (صلى الله عليه و آله) بعد الله عزَّ وَجِلَّ الذى هو الحاكم الأول.

وهذه الفقره ليست وارده فى زياره أمين الله فحسب بل فى كل زيارات الأُمير (عليه السلام) هناك عده فقرات فى ابتدائها زياره لرسول الله (صلى الله عليه و آله)، تبيين فيها مقام النبى (صلى الله عليه و آله)، وهذا الأمر يبين لنا أهميه الإتحاد بين نفس النبى (صلى الله عليه و آله) ونفس أمير المؤمنين (عليه السلام) وَ أَنْفُسَنَا وَ أَنْفُسَكُمْ (١).

هذا بالنسبه إلى زيارات أمير المؤمنين (عليه السلام) وكذا لاحظنا نفس زيارات النبى (صلى الله عليه و آله) لوجدناها زيارات بليغه وفيها بيانات مقامات للنبى (صلى الله عليه و آله) لا نجدها فى مكان آخر.

إن الزيارات الواردة للنبي (صلى الله عليه و آله) أو للأئمة المعصومين (عليهم السلام) هي من ألفاظ المعصومين (عليهم السلام) وقد أمرنا بالمواظبه على قراءتها والتدبر في معانيها لتركز على المعارف في هذه الزيارات لأنها عبارة عن دوره عقائديه مركزه يعلمها أهل البيت (عليهم السلام) للمؤمنين كي يكونوا على علم ووعى علمي من هذه الدروس فهي نور وهدايه ورشاد وليست مجرد كلمات تقرأها أمام قبر المعصوم (عليه السلام).

فأن العمله الصعبه في الآخره هي المعرفه كما في الحديث النبوي المعرفه بذر المشاهده، ولا بد أن يكون لدينا رصيد مخزون في القبر وفي البرزخ وفي الآخره، والمخزون هو عبارة عن هذه المعرفه الحقه يَزْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ (١).

ص: ٣٢٧

معرفة الأئمة مرتبط بمعرفة النبي (صلى الله عليه وآله)

معرفة الأئمة مرتبط بمعرفة النبي (صلى الله عليه وآله)

ومن أعظم الهدايا المهداه من الأئمة (عليهم السلام) إلى المؤمنين هي مضمون هذه الزيارات فإنها جوهره وذخيرته أدبيه معرفيه باقيه، ولكن بمعرفة معانيها بشرط من زاره عارفاً بحقه - كما في أكثر الروايات -، وليس جاهلاً أو لاهياً أو غافلاً.

إذن يجب علينا أن نحتمى بهذه الزيارات، ومن ضمن تلك الزيارات التي يحتفى بها هي زيارة النبي (صلى الله عليه وآله) التي تعرفنا بأعظم مخلوق وهو رسول الله (صلى الله عليه وآله) كما ورد في الدعاء عن المعصوم «اللهم عرفني رسولك فإنك إن لم تعرفني رسولك لم أعرف حجتك»^(١).

وهذا يعني أن أى خلل في معرفة النبي (صلى الله عليه وآله) سوف يؤدي إلى الخلل في معرفة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) وفي معرفة الإمام الحسن (عليه السلام) والإمام الحسين (عليه السلام) وبقية الأئمة الأطهار (عليهم السلام)، وكلما ازدادت معرفتنا بالنبي (صلى الله عليه وآله) ازدادت معرفتنا بالأئمة الأطهار (عليهم السلام)، وإن كان هناك خلل في معرفة النبي (صلى الله عليه وآله) فهو يرجع إلى خلل في معرفة الله عزَّ وجلَّ.

ص: ٣٢٩

١- (١) مصباح المتعجد للطوسي : ٤١٣؛ الكافي للكليني ج : ٣٣٧ .

هناك جملة من زيارات الإمام الحسين (عليه السلام) مصدره زيارات النبي (صلى الله عليه وآله) وتبين مقامات النبي (صلى الله عليه وآله)، وورد تعبير في أحداها عن الإمام الصادق: السلام على رسول الله السلام على أمين الله على رسله وعزائم أمره الخاتم لما سبق والفتاح لما استقبل والمهيمن على ذلك كله... (١).

وفي هذه الزيارة ليس التعبير والوصف للنبي (صلى الله عليه وآله) أمين الله على وحيه بل أمين الله على الرسل، كأن المعنى أن هناك نقابه للأنبياء والمرسلين أو متندي للوحي - مثلاً - عميد هذه النقابه هو سيد الرسل (صلى الله عليه وآله)، وهذه النقابه ليست نقابه صوريه بل هي أعمده من نور، بمعنى أن كل وحي أوحى إلى الأنبياء يمر هذا الوحي عن طريق رسول الله (صلى الله عليه وآله).

وقد أشار جملة من المحققين إلى هذا الأمر وهو أن الأنبياء ينبئون عن سيد الأنبياء أى أنهم أنبياء لخاتم النبيين وسيد الأنبياء هو نبي الله تعالى هذا

ص: ٣٣١

١- (١) الوافي للكاشاني ج ١٤٩ : ١٤ ؛ الكافي الكليني ج ٥٧٢ : ٤ ؛ كامل الزيارات لأبن قولويه : ٣٦٨.

المعنى اقتبسوه من مدرسه أهل البيت (عليهم السلام) نظير الحديث النبوى «كنت نبيا و آدم بين الماء والطين».

ونظير ما فى قوله تعالى فى آل عمران وَ إِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَ حِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَ لَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَ أَقْرَرْتُمْ وَ أَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَ أَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ، وهو أن الأنبياء من النبى آدم (عليه السلام) إلى عيسى (عليه السلام) هم أنبياء الله ولكن ليس أنبياء الله مباشرين بل أنبياء سيد الأنبياء عن الله عَزَّ وَجَلَّ فَإِنَّ الرِّسَالَةَ وَالرَّسُولَ تَعْنَى مَأْمُورِيهِ وَمَهْمُهُ خَطِيرُهُ، ومن الواضح أن عدد الأنبياء (١٢٤) ألف بعضهم فقط كان مرسلًا وكانت لديه رساله معينه وليس كلهم، ولذلك نقرأ فى زياره الرسول: «اشهد أنك قد بلغت رسالات ربك» (١). كما فى قوله تعالى الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَ يَخْشَوْنَهُ وَ لَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ (٢).

فالنبى (صلى الله عليه و آله) لم يرسل برساله واحده بل برسالات عديده، نعم النبى (صلى الله عليه و آله) ولد قبل عام الفيل فلم يكن موجوداً فى زمان النبى إبراهيم (عليه السلام) أو موسى (عليه السلام) أو عيسى (عليه السلام) فمن أين كان رسول فى زمانهم؟!.

نعم هو رسول ولكن ليس بيدنه الشريف بل بنوره وروحه الطاهره فإن شخصيه الرسول (صلى الله عليه و آله) وكذلك الرسل ليست هى مبنى وجودى ذات

ص: ٣٣٢

١- (١) مصباح المتهجد للطوسى : ٧٠٩؛ الكافى للكلينى ج ٥٥٠ : ٤.

٢- (٢) سورة الأحزاب: الآيه ٣٩.

طبقه واحده بل ذو طبقات، ففي الحديث «خلق الله الأرواح قبل الأجساد بألفى عام...»(١).

فالبدن فى رحم الأم شىء والروح شىء آخر كما يقول أمير المؤمنين: وليكن من أبناء الآخرة فمنها قدم وإليها ينقلب(٢).

الفرق بين البدن والروح:

وعندما نقول أن النبى (صلى الله عليه و آله) وسيط فليس ببدنه الشريف بل بنوره المقدس، ولهذا يصف البارى تعالى طبقه من وجود النبى (صلى الله عليه و آله) أنه هو ذلك النور، كقوله تعالى: وَ كَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِى مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُوراً نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدَى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٣).

ومن جانب آخر قوله تعالى: وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْعَرْشِ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ (٤).

وهناك موارد عديده خاطب القرآن الكريم فيها النبى (صلى الله عليه و آله) ب (ما كنت).

فهل هذا الخطاب كان للبدن أم للروح!؟

ص: ٣٣٣

١- (١) بحار الانوار ج ٣٥٧: ٤٧؛ كنز العمال للمتقى الهندى ج ١٦٣ : ٦؛ تفسير الرازى ج ٢٩: ٧٤.

٢- (٢) عيون الحكم والمواعظ للواسطى : ٣٥٩.

٣- (٣) سورة القصص: الآية ٤٤.

٤- (٤) سورة القصص: الآية ٤٤.

مع أن هناك موارد أخرى في القرآن الكريم يخاطب النبي (صلى الله عليه وآله) بالشاهد: فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَ جِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيداً (١).

فكيف يكون (صلى الله عليه وآله) شاهداً على كل هذه الأمم من آدم إلى يومنا وهو لم يعيش مع تلك الأمم السابقة بجسده؟! فلا بد أن يكون مهيمناً بنوره المقدس (صلى الله عليه وآله). فهل يمكن للشهيد أن يشهد من دون أن يكون له حضور علمي في ساحه الحدث وليس المدار على الحضور الجسدي الجسمي إذ قد يحضر شخص بجسده ولا يحصل له علم للغفلة، بل لا بد أن يكون علمه حاضر ولكن ليس ببدنه بل بنوره (صلى الله عليه وآله).

وهذا ما يشير إليه حديث يقول: كنت نبياً و آدم بين الماء والطين (٢).

فالعقل حضوره يغير حضور البدن، فإن حالات البدن غير حالات العقل، فالعقل لا يجوع ولا يخاف بل البدن، والعقل لا يمكن الوصول إليه حتى بالسلاح النووي، فهل يستطع السلاح النووي أن يبديد العقل كلا، بل أكثر ما يستطيعه أن يفجر البدن والمخ الذي هو آله العقل لا- نفس ذات العقل. إذن العقل موجود في مقام صدق عند مليك مقتدر، لأن عالم العقل عالم آخر غير العوالم الأخرى.

وإذا أردنا أن نتعرف ونفهم سيد الأنبياء (صلى الله عليه وآله) أو سيد الأوصياء (عليهم السلام) أو بقيه

ص: ٣٣٤

١- (١) سورة النساء: الآية ٤١.

٢- (٢) روضه المتقين للمجلسي ج ٣١٠ : ١ ؛ فتاوى السبكي ج ٣٨ : ١ ؛ المستدرك للحاكم النيسابوري ج ٦٠٩ : ٢.

الأئمة (عليهم السلام) فمن الخطأ أن نركز على أبدانهم فقط، وإن كانت أبدانهم عظيمة وشريفه ومطهره وطاهره ولكن أرواحهم لها شؤون أخرى أعظم وأخطر.

البطاقه الشخصيه لسيد الأنبياء (صلى الله عليه وآله):

ولو نلاحظ القرآن الكريم كيف يصف لنا البطاقه الشخصيه لسيد الأنبياء (صلى الله عليه وآله)، حيث يقول تعالى: قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ (١). والوحي المستمر يعنى علم الله الأزلى، فإنه لم يصفه تعالى بأنه نفس أو جسم أو روح بل فوق كل هذا يوحى إليه (صلى الله عليه وآله)، ولذلك وصفه البارى تعالى فى موضع آخر بأن تمام درجات النبى (صلى الله عليه وآله) كتله وحيانيه ما ضلَّ صاحبكم و ما غوى * و ما يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ (٢).

فإن الضمير (هو) يعود إلى النبى (صلى الله عليه وآله)، وهذا يعنى أن النبى (صلى الله عليه وآله) كتله وحيانيه قيامه، قعوده، حله، ترحاله، سيرته، جلسته، كلها وحي، والوحي لم ولا ولن ينقطع عنه أبداً بل وحي مستمر لأنه وحي يوحى. وهذا أعظم وصف لحقيقه ذات النبى (صلى الله عليه وآله).

ص: ٣٣٥

١- (١) سورة الكهف: الآية ١١٠.

٢- (٢) سورة النجم: الآية ١-٣.

الفصل الرابع: لكل سؤال جواب

اشاره

ص: ٣٣٧

المحاور: هل أنّ الذهن جزء منفصل من الجسد؟ بمعنى هل أنّ الفكر أو الذهن من خواص الجسد أو من خواص الروح؟.

الشيخ السند: الذهن والفكر من قوى الروح وله آليات بدنيه.

المحاور: هل أنّ الروح مخلوقه قبل الجسد أم الجسد قبل الروح؟ ما رأى المذهب؟ وهل يختلف مع رأى الفلاسفه وعلماء الكلام؟ وإنّ كان الجواب هو الجسد ... فماذا يكون الكلام حول عالم الذر؟.

الشيخ السند: وَرَدَ فِي الْأَحَادِيثِ الشَّرِيفَةِ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ الْأَرْوَاحَ قَبْلَ الْأَجْسَامِ بِأَلْفِي عَامٍ» (١)، وقد ذهب إلى ذلك الفلاسفه الإشرافيون وذهب إلى ذلك الحكيم ملا- صدرا، لكن بتأويل من الملا صدرا وبتفسير وجود الأرواح الجزئيه فى عالم العقول بوجود المعلول فى كمال علته، وأمّا عالم الذر فيشير إليه قوله تعالى: وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْ آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَ أَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ (٢).

ص: ٣٣٩

١- (١) الكافي، ج ١، ص ١٠.

٢- (٢) سوره الأعراف: الآية ١٧٢.

وهو لا- يتوقف على قلبه أحد القسمين؛ لأنه يمكن انطباقه على نشأ الأجساد الحيّة بالروح وإن نطف بني آدم في صلب ظهر آدم بهندسه وراثته الجينات مثلاً أو غيرها من المحتملات والنظريات البيولوجية التي لم يحط بها الفلاسفة والبشر بعد بها، وأنها لها نحو حياه حيوانيه تودع فيها الفطره التوحيديه.

معرفة النفس:

المحاور: ما هي ملامح أو علامات الرؤيه الشامله للنفس (أى متى يمكن للإنسان أن يقول إن لديه رؤيه شامله حول نفسه)؟.

الشيخ السند: قد ورد في القرآن الكريم نَسُوا اللَّهَ فَنَسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ (١) أى أن: «من عرف نفسه فقد عرف ربه» (٢)، ومعرفة النفس لا- تيسر إلّا بتهديب النفس وتزكيتها وتطهيرها من رذائل الأخلاق الذى هو الجهاد الأكبر كما في الحديث النبوى ثم تحليلتها بالعلوم النافعه، وباب أبواب رياضه النفس مراقبتها وهو المُعَبَّر عنه بالمحاسبه ولكن يقظه برج المراقبه فى الإنسان يطلعه على كثير من زوايا وبيوتات قوى النفس، كما أن كثره قراءه الكتب الأخلاقية يطلع الفرد على كثير من الأمراض النفسانيه وطريقه علاجها، ولا- سيّما مراجعه أحاديث النبى (صلى الله عليه و آله) وأهل بيته (عليهم السلام) مثل كتاب العشره فى كتاب الكافى وباب العشره و جهاد النفس فى كتاب

ص: ٣٤٠

١- (١) سورة الحشر: الآيه ١٩.

٢- (٢) البحار ج ٢ ص ٣٢ باب ٩ ح ٢٢؛ تفسير الألوسى ج ١ ص ١٤٨.

الوسائل للحرّ العاملى وغيرها من الكتب. هذا بعد تقييد الفرد بالحلال وتجنب الحرام والمعاصى.

وقالوا: إنّ فى النفس مفاتيح لكنوز كثيره وطاقات وقدرات خارقه لا تظهر إلّا بمخالفه الهوى والشهوه والغضب والرذائل: قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا (١).

المحاور: ما هو الحد الأدنى للكمال الإنسانى؟

الشيخ السند: الحد الأدنى للكمال الإنسانى أن يعرف أصول دينه بنحو الإجمال ويلتزم فى عمله بالأحكام الشرعيه فى الفروع وينتهج فى صفاته الآداب الشرعيه.

المحاور: ما هى العلامات التى يتعرف من خلالها الإنسان أنه خطى خطوه نحو الحق (جَلَّ وَعَلَا)؟.

الشيخ السند: من أهم علامات الخطى نحوه تعالى هو أن يعرف الحق والحقائق فى مسائل العقيدته أكثر فأكثر، وفى جانب العمل يقلع عن السوء ويتلبس بالتقوى أكثر فأكثر.

المحاور: ما الفرق بين الروح والنفس البشريه؟

الشيخ السند: الروح والنفس قد يطلق ويستعمل كل منهما بمعنى وفى موضع الآخر وفى كثير من الموارد كما فى الآيات والروايات يستعملان

ص: ٣٤١

١- (١) سورة الشمس: الآيتان ٩ - ١٠.

بمعنى متغاير، فالنفس تطلق على ذات الإنسان ما دامت متعلقه بالبدن بخلاف الروح فإنَّها أعمُّ من فتره حياه البدن ومماته، كما أنَّ الروح تطلق على الأرواح الكليه غير المتعلقه بالمادّه والأبدان بخلاف النفس، وإنَّ كان الفلاسفه قد يمزجون فى الاستعمال فى هذا المقام، كما أنَّ النفس تبين الجانب التعلقى من ذات الإنسان بالبدن بخلاف الروح فإنَّها تبين جانب الاستقلال فى تدوّت ذات الإنسان بعيداً عن البدن، كما أنَّ الروح تطلق على المخلوق والمبدع من عالم الملكوت وعالم الأمر الذى يُعبّر عنه الفلاسفه بعالم العقل بخلاف النفس فإنَّها بلحاظ الجانب التعلقى بالبدن والماده.

وبعبارة أُخرى: إنّ الروح تبين جانب الهيمنه والسعهى الذات الملكوتيه بخلاف النفس فإنَّها تبين جانب الضيق والجزئيه فى الذوات.

المحاور: هل يجوز القول بأنَّ الناس فئتان، فئه محبوبه من الناس حتّى لو لم تعمل خيراً وفئه غير محبوبه من الناس حتّى لو عملت جميع الأعمال الصالحه؟.

الشيخ السند: الاعتقاد الحق من أعظم الأعمال وبقية الروح هى دونه فى المرتبه، والسبب فى ذلك: أنّ الاعتقاد لا محاله يجنّد صاحب الاعتقاد فى السلوك العملى والسياسى والاجتماعى فى تيار جماعه الحق والهدى وإنَّ كان الفرد الذى يعتقد الحق قد يكون مرتكباً للمعاصى الفرديه فيما بينه وبين باريه تعالى ولكنه يطيعه فى أحب الأشياء له.

المحاور: ما هو الدليل العقلي على لزوم التمسُّك بالدين الإسلامي ورفض بقيه الأديان؟.

الشيخ السند: أمَّا الدليل العقلي المجرد البحث المحض فهو لا يقضى إلَّا بضروره الحاجه إلى الدين الإلهي وأنَّ البشر والعقل المحدود محتاج في الهدايه إلى الكمالات التامه العديده على كل الأصعده إلى عنايه رب الخليقه.

نعم، الدليل العقلي المركَّب من مقدمات حسيه أو نقلية قطعيه قائم على لزوم التمسُّك بدين الإسلام وانحصار النجاه به، ويمكن تقريبه بعده صياغات نشير إلى كيفيتها بنحو الإشاره والتفصيل فيها لا يخفى على لسائل إن شاء الله تعالى:

الأوَّل: إنَّ الأدله الداله على حقانيه دين الإسلام المبينه اليينه تثبت حقانيته، وحيث يثبت ذلك فإنَّ مفاد العديد من الآيات والروايات المتواتره هو حصر النجاه في الآخره به دون غيره من الأديان، مثل قوله تعالى: **وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ (١)**. وقول النبي (صلى الله عليه و آله): «لو كان موسى حيًّا ما وسعه إلَّا اتباعي» (٢).

وقد وصف القرآن الكريم بأنَّه مهيمن على الكتب السماويه المتقدمه ومصدقًا لا وأنَّه فيه تبيان كل شىء بخلاف التوراه وغيرها فإنَّه فيها بيان

ص: ٣٤٣

١- (١) سورة آل عمران: الآيه ٨٥.

٢- (٢) كنز العمال، للمتقى الهندي، ج ١، ص ٢٠٠، ح ١٠٠٩.

من كل شيء لا كل شيء، وأنَّ القرآن ما من غائبه في السماوات والأرض إلَّا مستطره في كتاب مبين وهو حقيقه القرآن العلويه للقرآن النازل في ليله مباركه كما في سوره الدخان، وكذا وَ مَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقِهِ إِلَّا يَغْلَمُهَا وَلَا حَبِّهِ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا- يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ مما يدلُّ على سعه وإحاطه شمول القرآن لكلِّ شيء في كل مكان وزمان وظرف متغيّر، وظرف متغيّر، مما يلزمه عقلاً تعينه ككتاب هاديه ورشاد.

وكذلك ما روى عند الفريقين من أن: «حلال مُحَمَّد (صلى الله عليه وآله) حلال إلى يوم القيامة وحارمه (صلى الله عليه وآله) حرام إلى يوم القيامة» (١)، وقوله (صلى الله عليه وآله): «إنَّما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» (٢)، مما يلزمه عقلاً أن تمام كمال المكارم بهذا الدين، وغيرها من الشواهد النقلية القطعية التي لا تحصى عدداً الدالَّة على ذلك الملازمه عقلاً للحصر بعد ثبوت حقانيه الدين كأمر مفروغ عنه في المرتبه السابقه.

الثانى: وجوه إعجاز القرآن التي تصل إلى ما يذرف على العشره مناهج وقد يوصلها البعض إلى الأكثر من ذلك، منها العلوم والمعارف المختلفه في القرآن، سواء فى المعرفه العامه الكونيه كالتوحيد ونحوه أو فى القانون للنظام الاجتماعى والفردى وأصول تلك القوانين أو العلوم المرتبطه بالطبيعه ونحوها أو العلوم الإنسانيه المرتبطه بالأخلاق وعلم

ص: ٣٤٤

١- (١) الوسائل، ج ٣٠، ص ١٩٦.

٢- (٢) البحار، ج ١٦، ص ٢١٠.

النفس والاجتماع والعلوم الروحيه، وكذلك العلوم الرياضيه والفلكيه وغيرها أقسام العلوم وإن كان تركيز القرآن للأصلى فى الدرجه الأولى هو على كونه كتاب هدايه وفلاح وصلاح للإنسانيه.

وبعبارة أخرى: إنَّ أحكام ومعارف الدين الإسلامى تنتدب التحدى للبشرية فى وجود أى خلل فيما تعرضه كنظام هدايه، شريطه أن تدرس معطيات الدين وتحاكم على أسس وأصول علميه وتخصصيه وقطعيه.

وهذا الوجه حاصر عقلاً- طريق النجاه به دون بقيه الأديان لتخصصه وتميزه بذلك دونها، فضلاً عن مناهج الإعجاز الأخرى الملازمه لكمال القرآن المجيد الملازم للحصر فيه ميزه دون بقيه الكتب السماويه.

الثالث: تغطيه أقوال وسيره الرسول (صلى الله عليه و آله) والمعصومين (عليهم السلام) لكل مستجدات ومتغيرات الأزمنه شريطه أن تدرس على الأصول المشار إليها سابقاً الملازم عقلاً لتعيين هذا الدين للبعاه.

الرابع: الوعد الإلهى بإظهار هذا الدين على كافه أرجاء الكره الأرضيه ولم يتحقق هذا الوعد الإلهى على يد أحد من بعد رسول الله (صلى الله عليه و آله) بعد أن زويت قياده النظام الاجتماعى السياسى للمسلمين عن أهل البيت (عليهم السلام) - مما يلزم عقلاً كون هذا الدين هو الأكمل والأمثل للسؤدد كمنهاج للبشرية.

وهناك وجوه عديده لا- يسع المقام ذكرها هنا ولا بد من الالتفات إلى أن الأنبياء والرسل كلهم بعثوا بدين واحد هو الإسلام وإنما اختلفت شرايعهم وإنما اتباع الأنبياء السابقين حرّفوا دين الإسلام لدى أنبيائهم إلى اليهوديه والنصرانيه والمجوسيه ونحوها.

المحاور: بعد أن ذكرت أن القرآن يصرّح أو يذكر بوضوح بأنّ للإنسان نشأت أخرى قبل هذه نشأه الدنيا.

هنا كل سؤال يتبادر كثيراً إلى الأذهان، وهو لماذا لا نتذكر نحن الآن؟ . فعندما نسأل أى شخص هل تتذكر عالم الأنوار يقول لك لا. هل تتذكر عالم الذر يقول لا فما سرّ ذلك؟

الشَّيخ السَّنْد: إنّ التذكر أو النسيان، والعلم وعدم العلم فى الواقع يقع على أنماط فى طبيعه مراتب روح الإنسان وذات الإنسان، وهذا النفس صادق لو أردنا التذكّر بنحو الذاكره التفصيليه لما استودعناه من ذاكره مشاهد وحوادث مرّت علينا فى دار الدنيا.

المحاور: نعم، التذكر لتلك العوالم ليس بهذا النمط التفصيلى ولا نجده من أنفسها.

المحاور: لماذا لأنّ القوانين تختلف؟

الشَّيخ السَّنْد: نعم، نحن فى صدد الخوض فى ذلك، الآن مثلاً ما مرّ بنا أمس، ما مرّ بنا فى الطفوله، ما مرّ بنا فى المراهقه، ما مرّ بنا فى ريعان الشباب، ما مرّ بنا فى الكهوله إلى أن يشيخ الإنسان ربما يستطيع أن يستعرض ذلك تفصيلاً بأصواته بصوره المتحرکه المتمايزه فى ذاكرته بحسب قوه الحافظه والذاكره وضعفها، لكن هذا باعتبار أن طبيعه تلقى الإنسان لتلك المشاهد كانت بهذا النمط من التفاصيل، وأما لو تلقى

الإنسان معلومات لا- بهذا النمط من الضخ والتعبه والتريق، مثلاً بعض الأحاسيس من الحب والبغض والنفره وما شابه ذلك، طبيعه تذكر الإنسان لها تختلف عن ما يصدر من أفعال الجسم من المشاهد الحسيه، بينما المشاهد غير الحسيه ذات نمط آخر فيه إيهام آخر وفيه إدغال فى الإجمال أكثر وما شابه ذلك، وبالتالي أنماط التذكر تختلف عند الإنسان وهذا لا بد أن نأخذ فيه بشىء من التفصيل وشرح البيان إن شاء الله، وجواب إجمالى آخر، أن الإنسان يتعرض لنفس الموقف والحاله فيما بعد من عوالم بلحاظ هذا العالم الدنيوى، وإن هذا التذكر ليس بنحو تفصيلى كما يشير إليه القرآن الكريم، حتى فى عالم الآخره عندما يبعث الناس يساءلون: كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ (١) مما يدل على أن الإنسان رغم مروره بعالم البرزخ وما لاقاه من روح وريحان أو - لا- سامح الله - نزل من جحيم وما شابه ذلك، ومع ذلك تراه إنه عندما يبعث يوم القيامه أو يبعث فى الرجعه لا يتذكر الإنسان ما مرَّ عليه، كما تشير إليه جمله من الآيات القرآنيه التى هى ما قبل نشأ المعاد نشأه الرجعه حسب ما أرشدنا إلى هذه الحقائق القرآنيه أهل البيت فى رواياتهم.

ص: ٣٤٧

١- (١) سورة الكهف: الآيه ١٩.

المحاور: إذاً هذا الأمر لا يختص بعالم الدنيا فقط يعنى حتى فى القيامة هنالك قد يكون نسيان لما قبله من عالم البرزخ؟

الشَّيخ السَّنَد: بالضبط إنَّ الإنسان عندما تمرَّ به مرحلة انتقال من نشأه إلى نشآت أُخرى، فى النشآت الأخرى يغيب عن محضره ومشهده تفاصيل ما مرَّ به من مشاهد سابقة. فسبب ذلك أنَّ نفسه تنشد إلى حاضرها الراهن فى تلك النشأة التى تبعث فيها، فبالتالى لا تكون على إحاطه ويقظه ونباهه وتذكر تام لما مرَّ بها فى نشآت سابقة، بل وهذا الحال نشاهده فى يومياتنا نحن فى عالم المنام والرؤى، ربما نشاهد سيل من المعلومات، سيل من الأفكار، سيل من الأمور ومن المطالب، ولكن عندما نبعث فى اليقظه مستيقظين من النوم نشاهد إننا قد عشنا حاله من إجمال عما مرَّ بنا سابقاً، مع أنَّ تلك الأمور مرَّت علينا بنحو التفصيل ربما أريناها واطلعنا وأشهدنا عليها، وربما إذا تمرَّ علينا فى اليقظه نتذكر أنَّ هذا الذى كنَّا نعهد من قبل وربما ننسى من أين عهدناه ومن أين شاهدناه، وربما يحصل لنا التذكُّر أنَّه شاهدناه جملة من رؤى هى تنبئنا وتطلعنا على الحدث قبل

وقوعه فإذا هذه حالات.

المحاور: عفواً يعنى هو فى الواقع نسيان ليس كاملاً، أصل الحقيقه تبقى موجوده فى النفس.

الشيخ السند: لا ريب، وإنما نمط التذكر يختلف.

المحاور: علماء الأخلاق وعلماء النفس يقولون بأن النسيان حتى فى هذه الحياه الدنيا هو رحمه، رحمه للإنسان يعنى فيها آثار إيجابيه. فما هو تعليقكم؟

الشيخ السند: باعتبار أن القوه النازله فى النفس تتصدع ويتوزع عليها التدبير لو حاولت أن تلم بكل هذه المعلومات وهذه الأمور.

المحاور: إذن بالنسبه لنسيان ما فى العوالم السابقه فيها هذا الجانب من الفائده أيضاً؟.

الشيخ السند: فى الصفحه الحاضره فى ذهن الإنسان التى هى تدبير قواه وأعضاء بدنه وما شابه ذلك، يعنى ليست لها قابليه للإلمام بشكل دفعى بالمعلومات الهائله وعلى ضوئها تنظم عزائمها وإرادتها، فلا بد من قوى أخرى فى النفس تستودع، وتكون مستودعاً لتلك المعلومات وتزق إلى ما دونها من قوى النفس بما يناسب ويروى لها تدبيرها بشكل حكيم تام.

المحاور: هل يمكن القول فى عبارته جامعه، بأن لولا هذا النسيان لما فى العوالم السابقه لاختلفت حياه الإنسان فى هذا العالم؟.

الشَّيْخُ السَّنَدُ: نعم، بالنسبة إلى التدبير التفصيلي النازل في الإنسان وأعود إلى توضيح التذكّر بلحاظ المحور الأوّل، هناك مثلاً تطرح نظريات في الحكمه هي في الواقع أنواع من القراءه لروايات وآيات وارده في الكتاب والسنة، وهي أنّ هل العلم حقيقته اكتساب أو استذكار؟ القرآن الكريم يشير إلى ظاهره وهي أنّ العلم تذكّر، وإنّ الأنبياء بعثوا مذكّرين.

وفي نهج البلاغه أنّ هدف بعثه الأنبياء هو «ليستأدوهم ميثاق فطرته ويذكروهم منسى نعمته، ويحتجوا عليهم بالتبليغ ويثيروا لهم دفائن العقول...»، ومن هنا يتّضح أنّ العلم هو عباره عن التذكّر هذه النظرية أو هذه المقوله المعرفيه كيف يمكن تصورها؟.

إنّ المنطق الذى يطرحه القرآن الكريم والحقيقه المعرفيه فى جملة من الآيات والروايات الوارده عنهم (عليهم السلام) أنّ دور الأنبياء أنّهم يوقضون ويوجدون فى الإنسان أهم علم بأهم معلوم وهو توحيد الله والإيمان بالبارى والإيمان بالمعاد والإيمان بالأنبياء والمرسلين والأئمه وما شابه ذلك من العقائد الأصليه وأركان المعرفه، تشير الآيات الكريمه إلى أنّ هذا هو نوع من التفكير ليدكرهم منسى نعمته وخلقته وميثاقه وشروطه التى شرطها على الذوات الإنسانيه، هذا فى الواقع يمكن أنّ نتصوره ونلمسه كما عبّر وذهب إلى ذلك جملة من الحكماء، منهم أفلاطون الحكيم أنّ الإنسان عندما يبحث عن دليل معيّن أو يريد أنّ ينقّب عن مجهول معيّن من المجهولات، يعبّر فى علم المنطق حرکه الفكر من المجهول إلى المعلوم أو إلى

المجهول ثم إلى المعلوم ثم مرّه ثانيه إلى المجهول ليكشف النقاب عن الغموض وإجمال في المجهول ويصير معلوماً وبالتالي تكتشف النتيجة، المقصود أنّه لا بدّ من مناسبة بين المجهول الذي يراد كشف النقاب عن ظلمانيه الجهل به لدى الإنسان حوله مع المعلوم إذا هناك رأس مال من المعلومات بتوسطها يستطيع الإنسان أن يكشف النقاب عن المجهولات، وهذا يستدعي أنّ هناك مناسبة ذاتيه بين المجهولات والمعلومات، بالتعبير طبعاً المنطقي يُقال أنّه أوسط وأكبر وأصغر وأنّ الأوسط هو واسطه، مثلاً كل إنسان ناطق، وكل ناطق مدرك فكل إنسان مدرك، النتيجة وصلنا إليها عبر توسط واسطه هي تخلق أو واجده للمناسبة بين المجهول المعلوم، الواسطه مثلاً هي في مثالنا الذي مرّ بنا يكون الإنسان ناطق فبالتالي هناك مناسبة لا بدّ أن تكون ذاتيه وليست هناك بينونه تامّه بين المجهول والمعلوم وإلا لكان حركة الفكر من المعلوم إلى المجهول، أو من المجهول إلى المعلوم في حركة الدورتين عبثاً، إذ لا يتمكّن من الوصول إلى استنتاج النتيجة بعد فرض بينونه ليستنتج النتيجة وينقب ويفصح ويسير ساعياً لوصول النتيجة لكانت تلك حركة سدى وعبث، فلا بدّ إذاً من مناسبة ذاتيه، فالمناسبة الذاتيه تدلّل على أنّ كل المجهولات في الواقع مكّدسه بنحو علمي في المعلومات الأولى مثلاً من باب المثال.

المحاور: يعني تقصدون البديهيات؟

الشّيخ السّنْد: البديهيات سواءً كانت تصورات أو تصديقيات مثلاً

قضية التناقض، نحن نستعمل التناقض واستحاله التناقض في جملة الاستدلالات والتصديقات الاولية إلى نهايه التصديقات المتراميه اللامتناهييه، مما يدل على أنّ هذه المعلومات ارتباطها بالتناقض ارتباط تكديسي، وكبس معلوماتي، حاشد في نفس معلومه القضية الأولى وهي استحاله التناقض، أو مثلاً الشيء والموجود معنى بديهى ومن بديهى التصورات أنّ الشيء موجود، أو إذا كان موجوداً يعين ليس معدوماً أنه موجود أو غير موجود فنفس معنى الموجود كمعلومه وتصور بديهى له مناسبه ذاتيه مع كل أفراد الموجد.

بعبارة أخرى: إذاً بين أفراد المعلومات المجهوله في التفاصيل وأفراد أفرادها وإلى مشجرات هرميه لا-متناهييه في المعلومات، ترجع إلى أس مخروطية في المعلومات تصوراً أو تصديقاً تكون أفراد تلك المعلومه الأولى وبالتالي هي موجوده في المعلومه الأولى الكليه هو نوع من التذكر، إذن فبالتالى لو لم يكن يعلم الإنسان بهذه المجهولات بنحو علم سابق ولو إجمالى لما استطاع أنّ يكتسب معرفه تفصيليه جديده هذه المعرفه الجديده هي نوع من التذكر وهو التفتق لما كان يعلم به الإنسان وهو نوع اكتساب بمعنى اكتساب للعلم بأحوال تفاصيل جزئيات التطبيقيه للمعلومه الكليه التى لها طبقات من المصاديق فهو نوع من الاكتساب وهو نوع من التذكر، تذكر باعتبار نفس هذه المعلومه الموجوده وفي كبتها موجوده كل هذه الركان من المعلومات للمجهولات ولكن الإنسان لم يفتقها. إذن ذات الإنسانيه بحسب طبقات قواها ووجودها السابق هو بالتالى الذى أهلها لأن تكتسب مثل هذه الكمالات العمليه أو العمليه فى لاحق نشأتها.

المحاور: فيما يرتبط بالعوالم التي مرَّ بها الوجود الإنساني إنَّ صحَّ التعبير قبل أن يصل أو يولد في هذه الحياه الدنيا، أنتم بيئتم مجموعه من الأدله القرآنيه على وجود هذه العوالم، وأنَّ الحياه الدنيا ليسَ هي بدايه حياه الإنسان في الواقع حسب الرؤيه القرآنيه.

سؤالنا هو عن الخصائص المشتركه والمشاركات بين هذه العوالم فيما يرتبط بوجود الإنسان فيها؟.

الشَّيخ السَّنْد: يشير القرآن الكريم إلى أنَّ مرور الإنسان بتلك العوالم وتنشأته في تلك العوالم، لها كبير التأثير والدخاله والتأثير في خيارات الإنسان المطروحه في إرادته ومسيرته وعاقبته في هذه الدار وهي دار الدنيا، فحيث يقول تعالى بالنسبه إلى عالم الذر: **وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ (١) إِلَىٰ أَنْ تَتَابَعِ الْآيَةَ** تفيد أنَّ هذا النوع من الأشهاد هو نوع من النمط الذي جرى وحدث في ذلك العالم، لأجل أن يحدث في الإنسان تذكره ودعامه علميه بنيويه مركوزه في فطرته وذاكرته وفي هويته العلميه كي يتسلح بها ويتأهل بها للامتحان التكليفى وامتحان الإيمان في هذه الدار.

المحاور: فيما يرتبط بهذه العلاقه يعنى هناك علاقه بين كل عالم والعوالم الأخرى التي مرَّ بها الإنسان؟.

ص: ٣٥٤

١- (١) سورة الأعراف: الآيه ١٧٢.

السَّيِّخُ السَّنَدُ: لا ريب، فإنَّ الآيات تشير إلى أنَّ هذه المعدات التي أوجدت وجهاز بها ذات الإنسان، هي مؤثره شديده التأثير في استعداده لتقبل هذا الامتحان والنجاح والتغلب على عقبات وشدائد ومكابده الامتحان في دار الدنيا، ولا سيما امتحان الإيمان والمعرفه والإدراك فمثلاً في الآيه الأخرى هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً تشير إلى مراتب، إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَقَدْ ذَكَرَ الْمَفْسُورُونَ فِي رُويَاتِ أَهْلِ الْبَيْتِ إِنَّهُ وَشَجَّ عَلَى فِطْرٍ وَغَرَائِزٍ وَتَلْقِينَاتٍ عِلْمِيَةٍ يَدْرِكُهَا أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً * إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا (١) ثم تشير إلى أنه قبل مجيء الإنسان في دار الدنيا قد أغرز وجهاز في ذاته بقوه إدراكيه ومعارف معينه يتأهل ويستعد بها بالخوض في غمار الامتحان في هذه الدار، ومن ثم وَرَدَ فِي رُويَاتِ الْفَرِيقَيْنِ وَبَلَّ فِي الْآيَاتِ الْكَرِيمَةِ فَذَكَرُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكَّرٌ (٢) وكما يقول أمير المؤمنين (عليه السلام): «وواتر إليهم أنبيائه، ليستأدوهم ميثاق فطرته، ويذكروهم منسى نعمته، ويحتجوا عليهم بالتبليغ، ويشيروا لهم دفائن العقول، ويروهم آيات المقدره،...» (٣) إذاً خلقت الفطره وأوثقت وجهزت وبنيت بمثل هذه الرساميل العلميه الإدراكيه الموجوده في الفطره الإدراكيه العقلية والعملية لوجود الإنسان.

ص: ٣٥٥

١- (١) سورة الإنسان: الآيه ٢ - ٣.

٢- (٢) سورة الغاشية: الآيه ٢١.

٣- (٣) نهج البلاغه، ج ٧٤: ١.

المحاور: هل يمكن القول بأنه كما هنالك علاقة بين حياة الإنسان في هذه الدنيا والعوالم السابقة، هنالك أيضاً علاقة بين حياة الإنسان في هذه الدنيا والعوالم اللاحقة؟.

الشَّيْخُ السَّنَدُ: نعم، كما يشير المفاد القرآني ورؤيه القرآن المنبئه والموجده لهذا الفهم العلمى الحافل لدى البشرى، من أن هناك ترابطاً بين أعمال الإنسان وما سيأتى له فى العوالم اللاحقه وسوف يكون فى الحقيقه هناك ترابطاً بين ما يأتى به الإنسان ويتجسّم من أعماله فى العوالم اللاحقه وبين ما غرز وجّهز به الإنسان وهياً به فى العوالم السابقه وهذا العالم هناك أيضاً ترابط طردى موجود لدى إدراك الذهن.

المحاور: بينتم فيما سبق كثيراً من الحقائق القرآنيه فيما يرتبط بعوالم قبل عالم الدنيا ووجود الإنسان فى تلك العوالم، الآن سؤلنا عن عوالم أو عالم الذر بالخصوص وهو أقرب العوالم على ما يبدو من بعض الآيات القرآنيه ما يفهم أنه أقرب العوالم إلى عالم الدنيا ما هى خصائص هذا العالم أو ما هى الرؤيه القرآنيه فيما يرتبط بهذا العالم ووجود الإنسان فيه؟.

الشَّيْخُ السَّنَدُ: الملحوظ من مفاد آيه الذر وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنَى آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ قَالَ أَأَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى ، ملحوظ فيها أن الآيه الكريمه تشير إلى أن هناك نشأه إدراكيه سابقه لذات وروح الإنسان مرتبطه نحو ارتباط بعالم المادّه، بعبارة أخرى عالم الذر ليس هو عالم أرواح مجرد عن الأبدان وعن المادّه ولا هو عالم مادّه

محض يعين ليس هو كالعلقه، ولي سهو كالنطفه والمضغه واللحم: فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا وَيُشار إلى أَنَّ هناك جنبتان في نشأه عالم الذر، هي نشأه إدراكيه؛ لأنَّه خوطبوا لما لهم من ذوات مدركه وأجابوا لا لأنَّ نمط الإجاباه بأصوات وألفاظ أو نمط الإجاباه هو في الواقع بتجاوب إدراكي متناسب مع تلك النشأه الإدراكيه كما أَنَّ الإنسان تمرَّ به خواطر أو معاني في مراتب عقليه في ذهنه فيتجاوب معها وينساق معها بما يتناسب مع تلك المرتبه في قلبه وعقله وباطن روحه.

المقصود أَنَّ الآيه الكريمه في عالم الذر تشير إلى هذا التنوع والتعدد، وَأَنَّ هناك جنبتين في عالم الذر جنبه إلى النشأه الإدراكيه وجنبه مرتبطه أيضاً بنحو بعالم الماده لأنَّ التعبير في الآيه الكريمه (من ظهورهم) حيث قال تعالى: وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَيْنِ أَدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ مِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ لَهُ جَنْبُهُ اتِّصَالَ وَنَحْوِ اتِّصَالَ بِعَالَمِ الْمَادَّةِ، فَإِذَا لَيْسَ هُوَ عَالِمًا إِدْرَاكِيًا مُحَضًّا وَلَيْسَ عَالِمًا رُوحَانِيًّا كَمَا وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ النَّبَوِيِّ: «خَلَقَ اللَّهُ الْأَرْوَاحَ قَبْلَ الْأَجْسَادِ بِأَلْفِي عَامٍ» (١) ولا هو جانب إعدادى مادى محض كما في سلسله أُخرى من الآيات: ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعُلُقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ (٢)، وحينئذٍ يمكن تصوير نشأه الإنسان في عالم الماده وتجسسه

ص: ٣٥٧

١- (١) البحار، ج ١٣٢: ٥٨.

٢- (٢) سوره المؤمنون: الآيه ١٤.

والفلاسفة الإسلاميين وحتى الإماميه منهم لم يفض ولم يبلور هذا البحث عندهم إذ نظريه ملا- صدرا رغم أنها من أرشد النظريات الرائدة الآن على الصعيد الفلسفي حيث أنها تؤمن أن روح الإنسان جسمانيه الحدوث روحانيه البقاء، وإنَّ الروح حادثه بحدوث خلق البدن بينما تشير هذه الملفات الإعجازيه العلميه الضخمه فى القرآن الكريم إلى أنَّ تنشأه عالم الذر هي تنشأه برزخيه بين عالم الأرواح وقبل عالم الأبدان.

المحاور: هذه قضيه مهمه يعنى يقابل حياه البرزخ أو عالم البرزخ بعد وفاه الإنسان.

الشَّيخ السَّنْد: نعم، كما فى قوس الصعود كما يقولون أو قوس النزول فى قوس المجيء ومسار المجيء إنا لله وإنا إليه راجعون فمن حيث أفعال ومخلوقات الله تعالى فى بدأ مراحل وعوالم الصدور، توجد هناك نشأه فى الواقع هي شبيهه للبرزخيه تمثل عالم الارتباط بين عالم الروح وعالم الماده وهذا نحو فى بدايه تعلق الروح بالماده قبل مرحله النطفه والعلقه والمضغه، وفى الحقيقه الحكيم ملا صدرا فضلاً عن قبله من الحكماء لم يسلط الضوء إلا على نشأه الجنين وكيفيه ارتباط الروح بالإنسان بمرحله الأجنه وكونته جنيناً فى بطون الأمهات والأرحام أمَّا المراحل السابقه على ذلك ففي نظريه ملا صدرا ليس هناك أى تسليط للضوء عليها ولا- إشاره لها وإن كانت الأبحاث العلميه الحديثه الآن تثبت أنَّ الحيمن ونظام الوراثة والهندسه الوراثيه الموجوده فى الأصلاب فى الواقع لها سبقه زمانيه ممتده

بسبق وجود الإنسان فى ظهر آدم أبو البشر.

المحاور: يعين هى تقترب ف يالواقع من منطوق الآيه الكريمه وإن الآيه القرآنيه ليست تسبق الفلاسفه فحسب فى هذه الحقيقه العلميه بل تسبق أيضاً الأبحاث العلميه الحديثه؟.

الشَّيخ السَّنَد: نعم، مفاد الآيه سابق على نظريه الهندسه الوراثيه الحديثه، التى كشف الآن عنها العلم الحديث، حيث تبين أن النظام الوراثى أو أن الحياه بدرجه من الحياه الحيوانيه موجوده لدى كل نسل البشر من آدم (عليه السلام) إلى يوم القيامه.

المحاور: يعنى هذا أيضاً من ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ هذا التعبير؟ .

الشَّيخ السَّنَد: فى الواقع علم الهندسه الوراثيه الآن يصبّ بشكل مرَّكز كمحاوله وكقراءه من القراءات الجاربه فى آيه خلق عالم الذر، مما يدلُّ على أيه حال إن هذه النشأه والتنشأه لم يخض غورها الحكماء إلى يومنا هذا.

المحاور: أنتم فى الأسئلة السابقه بيَّنتم خصوصيات عالم الذر والعوالم الأخرى التى سبقت الوجود الإنسانى أى قبل الحياه الدنيا. والسؤال هو: فيما يرتبط بعالم الذر ألا يمكن أن تكون آيه أخذ الميثاق تعبيراً رمزياً عن أن فطره الإنسان خلقت بصوره بحيث تقرّ بالتوحيد دون أن تعنى هذه الآيه الكريمه مرور الإنسان بعالم آخر قبل عالم الدنيا؟.

الشَّيخ السَّنَد: هذا التقرير فى الواقع أفاده العلَّامه الطباطبائى (رحمه الله) فى

تفسير الميزان (١) فأول أو حمل معنى عالم الذر أو عالم الميثاق باعتبار أنّهما عالمان بل لدينا إشارات في الآيات والروايات إلى عوالم متعدّده قبل نشأه عالم الدنيا فقرر ويّين معنى تلك العوالم بمثل هذا الإطار وهو وإن كان فيه جهه من المتانّه إلّا أنّ ذلك لا- ينفى بالتدبر والتعمق والتحليل ما وّرَدَ في الروايات فإذا كانت الفطره مدركه للتوحيد فهذه الفطره هي ليست مادّيه، هذه الفطره التي هي في كنه كينونتها موجود جوهرى مجرّد وبالتالي هذه النشأه ليست كنشأه الأرحام والأصلاّب، بل نشأه علميه، ومنه يعلم إنّ النشآت العلميه ليست هي متأخره عن النشأه المادّيه بل لها في مسير بدأ الخلقه موقع متقدّم، كما أنّ لها في مسير بدأ الخلقه موقع متقدّم، كما أنّ لها في مسير منتهى الخلقه مرتبه وموقع لاحق، وهذا لا ينفى وجود تقرر نحو من النشأه السابقه التي يؤكّد عليها القرآن، وإنه لولا- غرز الله تعالى في هويّه وذات الإنسان مثل هذه العلوم وهذه الإدراكات لما كان يصل إلى بصيص إبصار تلك المعارف وإلى عوالم الخلقه وتخلق عوالم الخلقه ووصولها إلى معدن العظمه وهو معرفه وإدراك الذات الأحاديّه السرمديه الإلهيه.

المحاور: نعم، بطبيعته الحال بما يستطيعه أو يتحمّله الإنسان، باعتبار أنّ إدراك كنه الذات أمر محال، فيما يرتبط بجوابكم اعتقد أنّ العلامة السيد الطباطبائي (رضى الله عنه) ذكر بأنّ هناك حدود سبعة عشر روايه صحيحه السند، تصرّح بوجود عالم الذر، ويمكن أنّ يثمن هذا الكلام أنّه عندما قال بهذا الرأي إنّما قال نتيجة العوالم السابقه تكون بصوره بحيث جعلت فطره

ص: ٣٦٠

السَّيِّخُ السَّنَدُ: إِنَّ تِلْكَ التَّنَشِئَةَ الْعِلْمِيَّةَ الَّتِي مَرَّ بِهَا وَخَاضَهَا الْإِنْسَانُ فِي تِلْكَ الْعَوَالِمِ، هِيَ الَّتِي تَوْهَلُهُ لِأَنَّ يَدْرِكُ الْمَعْلُومَاتِ فِي هَذِهِ النِّشَاءِ وَهُوَ مَا يَعْرِفُ بِنَظَرِيَّةِ التَّدَكُّرِ سِوَاءِ فِي لِسَانِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فَذَكَرَهُ إِثْمًا أَنْتَ مُذَكَّرٌ * لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ (١) وَ لَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ (٢) حَيْثُ يُؤَكِّدُ بِقُوَّةِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فِي نَظَرِيَّةِ الْمَعْرِفَةِ عَلَى أَنَّهَا، لَهَا ارْتِبَاطٌ بِالتَّدَكُّرِ، فَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ مِثْلَ هَذِهِ الْمَعْلُومَاتِ إِذْ مِنْ مَغْرُوزِهِ، مَكْدَسُهُ، مَكْبَسُهُ، فِي ذَاتِ الْإِنْسَانِ بِشَكْلِ رِقِّ تَفْتَقُ بِتَوْصُلِ الْفَهْمِ وَالْإِدْرَاكِ، وَكَذَلِكَ مَا وَرَدَ فِي الرِّوَايَاتِ، وَبِالتَّالِي فَإِذَا هَذِهِ الذَّاتُ وَالْهُوِيَّةُ الْمَجْرُودَةُ كَانَتْ لَهَا نَحْوٌ مِنَ التَّنَشِئَةِ السَّابِقَةِ.

المحاور: من أين جاء مصطلح عالم الذر وهو غير مذكور في الآيه الكريمة؟!، إذ هو مذكور في الأحاديث الشريفه بهذا التعبير؟.

السَّيِّخُ السَّنَدُ: هَذِهِ التَّسْمِيَةُ لِعَالَمِ الذَّرِّ مِنْشَأُهَا قُرْآنِيٌّ وَثَمَّ رِوَايَةٌ وَ إِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَيْنِي أَدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ (٣) فَالذَّرِيَّةُ الذَّرُّ إِثْمًا سَمِيَتْ بِالذَّرِيَّةِ بِالذَّرِيَّةِ وَإِنْ كَانَتْ الْآنَ الْحَالَةَ الِاسْتِعْمَالِيَّةَ فِي اللُّغَةِ الْأَدْبِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ هِيَ بِلِحَازِ الْمَوَالِيدِ وَالتَّنْسِيلِ، وَلَكِنْ فِي الْإِصْطِلَاحِ نَفْسُ التَّعْبِيرِ بِالذَّرِّ

ص: ٣٤١

١- (١) سورة الغاشية: الآيه ٢١ - ٢٢.

٢- (٢) سورة القمر: الآيه ١٧، ٢٢، ٣٢، ٤٠.

٣- (٣) سورة الأعراف: الآيه ١٧٢.

(ذريّتهم) هي المواليد، ولكن بصوره وبهيئه موجودات صغيره هي كحاله الذر في الهباء، فيأذاً أطلق على مادّه أخرى وأعضاء أُخرى كلمه الذريّه في أصل وضع معناها اللغوى وهو بلحاظ تلك النشأه وإنّما توسّع في الاستعمال إلى المواليد من الأرحام والأصلاّب، وإلّا هي في الحقيقه وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ يُطَلِّقُ بِلِحَازِ الْمَوْجُودِ الصَّغِيرِ ذِي الْكَيْنُونَةِ الصَّغِيرِ.

المحاور: الكينونه الصغيره مقارنه بماذا؟.

الشّيخ السّنَد: الكينونه الموجوده فعليه الآن كما ذكرنا هناك قراءه محتمله بحسب ما فى علم نظام الوراثة أو الهندسه الوراثيه، من العلوم الحديثه المنظوره الآن ولسنا نحمل مفاد الآيه بنحو التعيين والبت عليه ولكنه قراءه محتمله قد تذكر فى ذيل الآيه، ألا وهي إنّ هذه الجينات التي كانت فى صلب آدم كُنّا نحن كلنا بنحو جينه حيوانيه حَيّه بحياه حيوانيه وكلنا كُنّا فى ظهر أبونا آدم، نحو الكروموسومات أو الجينات بنحو من الأنحاء.

المحاور: إذا هي فى الواقع إشاره قد تكون إلى عالم الذر المقصود منها، وأنّه هناك كيفيات معينه من الوجود غير الكيفيه المألوفه فى الحياه الدنيا.

الشّيخ السّنَد: هذا فى بعده المادى، وأمّا فى بعده الشعورى والإدراكى هناك نشأه وتعلق من الروح بتلك الجينات أو تلك الكروموسومات إنّ صحّ التعبير أو ربما بعد وجودى مادى له بعد فى الصغر آخر كان له تعلق

ص: ٣٦٢

ببعد مجرد إدراكى، كما ثبت الآن عملياً أنّ الجينات لها درجة من الإدراك والإحساس، ولسنا نحمل معنى الآيه بنحو البت عليه ولكن هذه القراءة علميه فى العلوم الحديثه احتمال لمعنى الآيه، وأياً ما كان فالآيه تثبت إذن للإنسان من جهه بعد المادى وجود كينونى صغير كالذر للهباء، ومن جهه التنشأه المجرده التى لها نحو إدراك وشعور كما مرّ أنّ هذه قراءة محتمله من علم الهندسه الوراثيه.

ص: ٣٤٣

المحاور: على ذكركم للمعصومين (عليهم السلام) هل أن أئمة أهل البيت (عليهم السلام) تتسع حياتهم لتشمل منازل الدنيا ظاهراً والاطلاع على منازل الدنيا والآخرة والبرزخ؟

الشيخ السند: بالطبع أن المؤمن الذي راعى سلوك التقوى وسلوك اليقين وسلوك الإخلاص يصل إلى درجات من مشاهدات عديده لشؤون البرزخ، أو بعض شؤون البرزخ أو بعض شؤون الآخرة، فكيف بك بمقامات المعصومين، الحقيقة كل إنسان مؤمن حتى وإن قلت درجه إيمانه وكل بشر وحتى إن انحرف به السبيل إلى سبيل الغي هو في الحقيقة طبيعه جهاز مركب من وجود الإنسان وبناء وجوده ذو طبقات وذو عوالم، شعر بذلك الإنسان أو غفل عنه، الإنسان بحسب جهازه الوجودى هو موجود ذو نشأه وفي آن واحد، وهو كما يعيش ويدير معيشه دنياه هو الآن فى حاله تعايش مع المقام والمنزل البرزخى الذى هو فيه، وكذلك هو فى مقام تعايش مع منزل الآخرة، وإن لم يشعر به فإذا حاله التعايش الوجودى مع طبقات وجود الإنسان مع هذه العوالم أمر ثابت لكل وإنما الذى يختلف بين المعصومين ولا يقاس بهم أحد غيرهم، أو من هو دون المعصومين

وغيرهم هو مشاهدته تلك العوالم وبالطبع إنَّ المعصوم لما أوتى من علم لدنى وطهاره وصفاء فائق يشاهد مثل تلك العوالم فى مراتب أكثر وتستحضرنى روايه رواها الشيخ الصدوق بسنده عن أبى عبدالله بكر الأرجانى قال: صحبت أبى عبدالله (عليه السلام) فى طريق مكّه من المدينه فنزل منزلاً يقال له عسفان، ثم مررنا بجبل أسود، على يسار الطريق وحش، فقلت: يا ابن رسول الله ما أوحش هذا الجبل؟ ما رأيت فى الطريق جبلاً مثله؟ فقالك «يا ابن بكر أتدرى أى جبلاً هذا؟ هذا جبل يقال له: الكمد وهو على واد من أوديه جهنم فيه قتله أبى الحسين (عليه السلام) استودعهم الله، يجرى من تحته مياه جهنم من الغسلين والصديد والحميم الآن وما يخرج من جهنم وما يخرج من طينه خبال وما يخرج من لظى وما يخرج من الحطمه وما يخرج من سقر وما يخرج من الجحيم وما يخرج من الهاويه وما يخرج من السعير، وما مررت بهذا الجبل فى مسيرى فوقفت إلّا رأيتهما يستغيثان ويتضرعان وإنى لأنظر إلى قتله أبى فأقول لهما: إنَّ هؤلاء إنَّما فعلوا لما اسستما، لم ترحمونا إذ وليتم وقتلتمونا وحرمتونا ووثبتتم على حقنا، واستبدم بالأمر دوننا، فلا يرحم الله من يرحمكما ذوقا وبأ لما صنعتما وما الله بظلام للعييد» (١). فقالوا له وهل يمكنك العيش مع سماع ومشاهده كل ذلك، فقال: «إنَّ لنا قلوب غير قلوبكم ومسامع غير مسامعكم».

ولو كانوا هم بما أوتوا من الله قابليتهم محدوده كما هى الحال فى أرواحنا، لما استطاعوا أن ينبؤا عن آثار الأعمال وعن طريق الشريعة وعن

ص: ٣٦٦

١- (١) ثواب الأعمال: ٢٥٨ - ٢٥٩..

طريق منهاج الأحكام وكيف آثارها الأخرويه، الحقيقه وراثه عن النبي (صلى الله عليه و آله) كما كان النبي (صلى الله عليه و آله) يتحدث عن آثار وخواص وعقبى ونتائج الأعمال فهو يشاهدها (صلى الله عليه و آله) ويشاهدها أيضاً أهل بيته وراثه علميه منه، وكيف هي الآن تتجسد وتتولد منها نتائج في البرزخ والآخره وفي الصراط وفي عرصات العوالم الأخرى.

ص: ٣٦٧

المحاور: السؤال عن حديث المعراج معراج النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) ومن أنه رأى طبقات من المنعمين ومن المعذبين في الجنة والنار، فمن هؤلاء؟ وكيف رآهم؟ وهل كانوا صور حقيقيه؟ وهل أنها أمور رمزيه تشير إلى مستقبل الإنسان عندما يصل إلى الجنة؟ وكيف يكون ذلك معذبون أو منعمون؟

الشيخ السند: المعراج كما وردَ بذلك بنص القرآن الكريم في سورة النجم وسورة الإسراء، ووردَ في روايات الفريقين أيضاً أن النبي (صلى الله عليه وآله) عرج بجسده وروحه إلى دار الآخرة، ودخل الجنة وشاهد كثير من مشاهد الآخرة وفي مدرسه أهل البيت (عليهم السلام) أن الجنة والنار الأخرويه هما في الآن الراهن مخلوقتان.

المحاور: الأخرويه مقابل أى شىء؟

الشيخ السند: مقابل النشأ البرزخيه ومقابل نشأ دار الدنيا.

المحاور: الجنة والنار التى يكون فيهما خلود للمؤمنين وللكافرين كالتاهما مخلوقتان؟

السَّيِّخُ السَّنَدُ: دار الآخرة ليسَ عالم سيخلق وإن كان انتقال أهل الدنيا إلى دار الآخرة يحتاج إلى قيام القيامة عليهم، وأمّا نفس دار الآخرة فليس موجود حادث في الآتي، ومن ثم وَرَدَ في خطبه النبي (صلى الله عليه و آله) في شهر شعبان(1) وغيره أنّ أهل الحسنات والطاعات الآن يتعلقون بشجره طوبى وأنّ أهل المعاصى والسيئات الآن يتعلقون بشجره الزقوم.

المحاور: وأنّ أبواب الجنان مفتحة وأبواب النيران مغلقة... (2).

السَّيِّخُ السَّنَدُ: نعم، هذا بالنسبة إلى أوصاف شهر رمضان، وأيضاً وَرَدَ حول ذلك في المناقب أنّه مات عن عمر يناهز الثمانين عاماً أو السبعين فلما مات سمع النبي هدّه وهى سقوطه في قعر جهنم وأمثال هذه الروايات كثيره جداً نقرأ، نظير ذلك الأنصارى الشاب الذى فتح الله بصيره قلبه فرأى أهل الجنّة يتنعمون وأهل النار يعذبون، وأنّ منهم أراد أن يكشف من صحابه النبي عن أهل الجنّة وأهل النار، ونصّ الروايه عن أبي عبدالله(عليه السلام)، قال: «استقبل رسول الله(صلى الله عليه و آله) حارثه بن مالك بن النعمان، فقال له: كيف أنت يا حارثه؟ فقال: يا رسول الله أصبحت مؤمناً حقّاً، فقال رسول الله(صلى الله عليه و آله) يا حارثه لكل شىء حقيقه، فما حقيقه قولك؟ قال: يا رسول الله عزفت نفسى عن الدنيا، وأسهرت ليلى، وأظمأت هو أجرى، وكأنى أنظر إلى عرش ربي وقد وضع للحساب، وكأنى أنظر إلى أهل الجنه يتزاورون فى

ص: ٣٧٠

١- (١) مفاتيح الجنان: ١٦١، دار التعارف، ١٤١٤هـ - ١٩٩٥م.

٢- (٢) المصدر السابق: ١٧٤.

الجَنَّة، وكأني أسمع عواء أهل النار، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) عبد نور الله قلبه للإيمان فأثبت، فقال: يا رسول الله ادعوا الله لي أن يرزقني الشهادة، فقال: «اللَّهُمَّ ارزق حارث الشهادة، فلم يلبث إلّا أياماً حتّى بعث رسول الله سرّيه فيبعثه فيها، فقاتل فقتل سبعة أو ثمانية ثم قتل» (١).

المحاور: علامه المتقين ...

الشَّيخ السَّنَد: إذاً روايات عديده موجوده فى حديث الفريقين كلّها داله ومدلله على أنّ الجنّه والنار الآن الراهن مخلوقتان، وأنّ النبي (صلى الله عليه وآله) عرج به إلى دار الآخرة بل إلى ما فوق الجنّه والنار وما شاهد من آيات ربّه الكبرى.

المحاور: السؤال الآخر هو أنّ القيامة الكبرى لم تقم بعد فمن الذين رآهم وأى صور رآهم فيها؟

الشَّيخ السَّنَد: طبعاً لا نحسب أنّ أهل الجنّه وأهل النار هم الطبعه البشريه فى دوره التي نحن فيها فقط، بل هناك قبل خلقه آدم أبو البشر وبنيه كانت خلقه مخلوقات سابقه، وقد يُعبّر عنها فى روايات أهل البيت بأنّ قبل آدمكم ألف ألف آدم، فعن أبي حمزه الثمالي، قال: سمعت على بن الحسين (عليه السلام) يقول: «إنّ الله خلق محمداً وعلياً والطيبين من نور عظميته، وأقامهم أشباً قبل المخلوقات، ثم قال: أتظن أنّ الله لم يخلق خلقاً سواكم؟ بلى والله لقد خلق الله ألف ألف وألف ألف عالم، وأنت والله فى آخر تلك

ص: ٣٧١

١- (١) المحاسن للبرقى ج ١٦٥: ١، باب اليقين والصبر فى الدين؛ تفسير الرازى ج ١٢٣: ١.

العوالم»(١)، فأهل الجنه وأهل النار دورات خلقه كانت لله عَزَّ وَجَلَّ من قبل. ثم إنَّ ما ذكر في روايات المعراج من أنَّ النبي (صلى الله عليه وآله) شاهد من أمته أو من الأمم السابقه فهذا بيِّن كيفية تجسيم الأعمال.

المحاور: يعنى يكون الإنسان وهو على الحياه الدنيا مُعذَّب بالنار؟.

الشَّيخ السَّنَد: ولكن لا يشعر بالعذاب نظير الإنسان الذى لو أُصيب بجرح وكسر ولكنه فى خضمِّ حراره حيث أو حرب محتدمه فلا يشعر بالجروح وأذى الجروح، وبعد أن يعود إلى حواسه وإلى تركيز التفاته يبدأ يشعر بالألم والجرح وشدَّته، فهذا ما يحدث إلى طبقات الذات الوجوديه للإنسان المرتبطه بنشآت عوالم أُخرى إلَّا أنَّ الإنسان مُنشدُّ تركيزه على بدنه الدنيوى فقط.

المحاور: يعنى يخرج من حاله الغفله وسكره الحياه الدنيا؟.

الشَّيخ السَّنَد: كما تشير إلى ذلك الآيه الكريمه فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ (٢)، فيدلُّ على أنَّ الأمور كانت من قبل لكن الإنسان لا- يشعر بها، وبالتالي كما مرَّ بنا أنَّ الإنسان وجوده ذو طبقات وجوديه، كما أنَّ بدنه الدنيوى الآن ونشأته الدنيويه إلَّا أنَّ طبقات ذاته من روحه وقلبه هى متعلقه بنشآت متجانسه متناسبه فى اللطافه والرفقه مع تلك الوجودات، وبالتالي له تعلق بتلك العوالم وله مباشره وله ملابسه بنحو من الأنحاء وله تدبير.

ص: ٣٧٢

١- (١) البحار، ج ٢٥: ٢٥.

٢- (٢) سورة ق: الآيه ٢٣.

المحاور: هناك سؤال بشأن الحديث الذي روى عن طريق الفريقين على ما يبدو، وهو حديث الحوض: «عن أنس بن مالك أنَّ النبي قال: ليردن عليَّ الحوض رجال ممن صاحبنى حتَّى رأيتهم ورفعوا إلى اختلجوا دونى فلاقولنَّ أى رب أصحابى أصحابى، فليقالن لى إنَّك لا تدري ما أحدثوا بعدك» (١)، والسؤال كيف تنسجم «إنَّك لا تدري ما أحدثوا بعدك» مع كونه (صلى الله عليه و آله) شاهداً على أعمال الأُمَّه حتَّى بعد وفاته ولا يختصر الأمر بحضوره، هذه عقيدتنا فيه خاصه أنَّه الشهيد على الشهداء من الأولين والآخرين يعنى الشهداء على أعمال الأُمَّه فكيف يحلّ هذا التعارض الظاهرى؟

الشَّيخ السَّنَد: أضيف إلى هذا التساؤل أنَّ المنشأ الآخر للتساؤل هو أنَّ النبي (صلى الله عليه و آله) كان قد أخبر عما يجرى بعده فى أحاديث الفريقين، هذا الحديث نفسه إخبار من النبي قبل وفاته فإذن هو (صلى الله عليه و آله) يخبر عما هو آت.

المحاور: يعنى هذا الإخبار يمكن أن يكون عامل لحمل هذه العبارة لغير المعنى الظاهر، يعنى عبارته ماذا أحدثوا بعدك.

ص: ٣٧٣

١- (١) صحيح مسلم، ج ٧: ٧٠، باب إثبات حوض نبينا (صلى الله عليه و آله) وصفاته.

الشَّيْخُ السَّنَدُ : نعم، أقصد أنَّ هذا الحديث النبوي الذي يطلعنا وينبئنا ويعلمنا بمشهد عظيم من يوم القيامة من الذي أخبرنا به، هو النبي (صلى الله عليه وآله) قبل وفاته، فكان يعلم بما يجرى حتَّى أنه قد روى مسلم في كتاب الفتن أنَّ النبي (صلى الله عليه وآله) بمشهد من المسلمين قد ذكر لهم معظم الفتن الخطيره إلى يوم القيامة، وحفظها حذيفه، فإذن النبي (صلى الله عليه وآله) عالم بذلك قبل الوقوع فكيف مع الوقوع، وكيف بعد الوقوع، إذًا هذا التساؤل من النبي تسأول التقرير أو سحب التقرير من الطرف الآخر للاستنكار والتعجب، وليكن نوع من المداواه لهم أنَّه كيف انتم مع هذه الصحبه للنبي (صلى الله عليه وآله) وهذا الجهد الذي قدّمه سيد الأنبياء لكم من الترييه ومن التعليم، ومع ذلك خالفتم أمره وأحدثتم ما أحدثتم في الدين وما شابه ذلك .

المحاور: عفواً، الآن جاء في ذهني الخطاب القرآني لعيسى في سورة المائدة، هل يمكن أن يكون هذا من هذا النمط؟

الشَّيْخُ السَّنَدُ: نعم، أنا كنت في صدد ذكره أيضاً أ أنت قلت للناس اتَّخِذُونِي وَ أُمَّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ (١) على أيّ حال هذا سؤال العارف من باب الاستنكار أو ما شابه ذلك من الدواعي الأخرى، وهناك موارد أخرى موجودة.

ص: ٣٧٤

المحاور: في زياره الصديقه الزهراء(عليها السلام) المنقوله في كتاب مفاتيح الجنان ضمن زيارات المعصومين(عليهم السلام)، هذه العبارة: «السلام عليك يا ممتحنه امتحكك الذي خلقتك قبل أن يخلقك فوجدك لما امتحكك صابره» (1)، فكيف يمكن أن يُمتحن الإنسان قبل وجوده؟

الشَّيخ السَّنَد: الامتحان يتُّم في أصعده متعدده هناك امتحان إلهي يتُّم في مقام العلم كما يُعبّر الحكماء، أي أن الامتحان يتُّم من العالم بنفس المعلوم قبل أن تنوجد المعلومه خارج نطاق العلم، ولذلك مثلاً يتُّضح به الأمر مثلاً، ربما لازرع يريد أن يزرع بذوراً أو نمطاً من الزرع في أرضيه صالحه حينئذٍ يصبّ هذا الزارع معلوماته حول أنواع وأنماط الزرع ضمن عالم المعلومات الذي يختزنه في ذهنه فحينئذٍ يقلب الموازنه يمنه ويسرى ويفاضل بين أنواع البذور وأنواع الزرع، وأئُيها الصالح ومنها الطالح مع أن تلك البذور لم تستحصل في الخارج وفي عين التربه إلا أن من خلال ما يمتلكه من معلومات وعلم يوازن ويقارن ويمتحن ويقدم ويؤخر في

ص: ٣٧٥

١- (١) مفاتيح الجنان: ٣١٧، زياره فاطمه الزهراء(عليها السلام).

ضمن موازنه علميه دقيقه، هذا ما يقال عنه امتحان علمي، وهذا يمارسه كل عالم وفي كل نطاق وكل معلومات قبل أن يقدم على أى فعل، من الضرورى من يمتلك علم، العالم يمارس مثل هذا الامتحان، وهذه الموازنه ومثل هذا الاصطفاء، هذا قد يقال عنه فى لسان الوحى والروايات يُعبّر عنه بالاصطفاء فى مقام العلم او قد يُعبّر عنه بالانتخاب كما وَرَدَ عنه فى خطبه الصديقه عندما كانت تنعى سيد الأنبياء أبيها صلى الله عليهما، حيث قالت: «اختاره قبل أن أرسله، وسمّاه قبل أن اجتباها واصطفاه قبل أن بعثه»(١). ذلك فالانتخاب الإلهي والاصطفاء إذاً الامتحان يكون فى الصعيد العلمى؛ لأنّ الله سبحانه وتعالى عالم بكل المغيبات وبكل المستقبلات ويرسم نظامه، وسننه، وإرادته، وأنواع مشيئته، وقضائه، وقدره على ذلك العلم النافذ الغيبي الذى لا يحد ولا ينتهى وبالتالى يتم الامتحان والانتخاب والاصطفاء أولاً فى صعيد العلم: «فيا ممتحنه امتحنك الذى خلقك قبل أن يخلقك فوجدك لما امتحنك صابره». فضمن هذا العلم علم الله بالمستقبلات ومغيبات الأمور وتداعيات الذوات المختلفه. كل ذات طبيعتها وتداعياتها ومقتضياتها وسيرتها هى حاضره فى علم البارى بالمستقبل، فوجد الزهراء صابره لما امتحنه بها.

ص: ٣٧٦

١- (١) الاحتجاج: ج ١٢٠: ١.

المحاور: ما حكم الذين يموتون ولم يعرفوا أهل البيت (عليهم السلام) لعجزهم وعيشهم في مناطق نائية عن المناطق الإسلامية سواء كان في التاريخ المعاصر أو في القرون السابقة، ولماذا يحرمون من المراتب العاليه التي ثمرها معرفه مُحَمَّد وآل مُحَمَّد (عليهم السلام)؟

الشَّيخ السَّنَد: إِنَّ الحِساب والنَّائِج لا تحسم بمجرد ما يستغرقه الإنسان في عمره في هذه الدنيا بل هناك البرزخ لا سيما بالنسبه إلى المستضعفين الذي استضعفوا فكرياً عن مصادر المعرفه وما شابه ذلك، ستفتح لهم هناك سبل وفرص للمعرفه والامتحانات، جمله منهم ربما يرجع في الرجعه وهى مرحله أُخرى وشوط آخر من الحياه الدنيا، وبالتالي هناك شوط أخير ومرحله أُخرى في يوم القيامه للذين لم تسنح وتصل إليهم تلك الفرص للاطلاع على تلك المعارف وتلك المصادر، هناك يقام لم مجال وفرصه أُخرى، موجوده في الروايات بالنسبه إلى مثل أطفال الملل الأخرى التي لم تتعرف على الإسلام ونبي الإسلام وأهل بيته أو ما شابه ذلك ممن هم في درجه متدنيه من الاطلاع والمعرفه، نعم سيصرون وتفتح لهم جمله من أبواب المعرفه ويمتحنون من خلال ذلك.

المحاور: ألا- يتعارض ما تفضلتم به مع كون الدنيا هي دار التكليف، يعنى كيف يكون الأمر إذا تعرض عليهم معرفه وولايه
مُحمَّد وآل مُحمَّد فى عوالم ليست فيها تكليف يعنى ليس فيها إمكانيه القبول أو الرفض؟

الشَّيخ السَّنَد: بالنسبه إلى الرجعه هي من دار الدنيا وليست من البرزخ ولا من دار الآخرة، أمَّا التكامل فى البرزخ فالذى يظهر من الآيات والروايات أنَّ هنا عمل بلا حساب وهناك حساب بلا عمل، ليس يعنى ذلك أنَّ ليس هناك تكامل، بل الذى يظهر من الآيات والروايات أنَّ الذى قد حصل محصله معينه من العمل والعلم يضاعف له عمله وعلمه، ولعلَّ هذه المضاعفه للعمل والتكامل فى البرزخ، لمن كانت لديه نوع من الحصيله البسيطة الخيره بكامل من أفضال الله وإنعامه، هناك تفتق وتكامل، وبالتالي فى البرزخ أو قبل الجسم النهائى يوم القيامة، ولعلَّ هذا يدخل فى ما ذكر فى الوعد الإلهى من مضاعفه الحسنات ومضاعفه الإجزاء لمن هو خير، إذاً حينئذٍ التكامل البرزخى، أو التكامل فى عرصات مراحل يوم القيامة غير منفى فى الآيات والروايات، والذى هو منفى هو أنَّ كما يقال المعرفه هنا المشاهده هناك، يعنى البذر لا بدَّ أنَّ تزرع وتحثها هنا ولكن سقيها وريعتها وريها ليس من البعيد أنَّ يستفاد من الآيات والروايات فى كثير من النصوص، أنَّ هناك نوع من التكامل لهذه البذور التى أنشأت هنا تتحقق ثمَّه ها هناك.

المحاور: يفهم من كلامهم أنه لا حرمان لأحد من ثمار معرفه مُحمَّد وآل مُحمَّد وولايتهم (عليهم السلام) يعنى لا من الأولين ولا من الآخرين؟

الشَّيْخُ السَّنَدُ: إمَّا بالنسبه للأولين فها هو القرآن يفصح بأنَّ الأنبياء بعثوا بالبشاره بنبوه النبي وأهل بيته فى الأمم السابقيه كما فى سورة آل عمران: وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَ لَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَ أَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ (١)، أو غيرها من الآيات، كلُّها دالَّة على الأمور الأصليه العقديه والاعتقاديه التى تطرح فى الأمم السابقيه، والأنبياء بعد توحيد الله لم يكونوا يؤصِّلون نبوه أنفسهم كأصل ثانى فى عقائد تلك البعثات السابقيه، بل كان يؤصِّلون نبوه سيد الأنبياء وولايه أهل بيته ثم تأتى بعد ذلك فى الرتبه ذكر نبوتهم، وهذا ما تفيده جملة من الآيات والروايات مما يمكن الاستشهاد بها على ذلك، بل كان نهج وسننه الأنبياء فى الأمم السابقيه على تأصيل إبلاغ وترسيخ التوسل بالنبي وتعليم أسماء النبي وأهل بيته، حتَّى أن اليهود هاجروا من الشام ومن بلاد الرغد ومن العيش الرفيه إلى جدب الحجاز ووعوره العيش؛ لأنَّهم كانوا يستفتحون على الذين كفروا بمجىء النبي (صلى الله عليه و آله) كما تشير الآيات.

ص: ٣٧٩

١- (١) سورة آل عمران: الآية ٨١.

المحاور: إن المصطفى (صلى الله عليه وآله) معصوم من الخطأ فما معنى قوله تعالى: (يا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ) (١)؟.

الشَّيْخُ السَّنَدِيُّ: المصطفى (صلى الله عليه وآله) معصوم من الخطأ قال تعالى: (وَ مَا يُنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ) (٢)، وقال تعالى: (وَ مَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ) (٣)، وقال تعالى: (ما ضل صاحبكم وما غوى) (٤)، وقال تعالى: (وَ إِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ) (٥)، وقال تعالى: (وَ إِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَ لَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَ إِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ) (٦)، وهى داله على عصمته فى تدبير شؤون الحكم السياسى والاجتماعى وكذا قوله تعالى: (وَ اعْلَمُوا أَنَّ

ص: ٣٨١

١- (١) سورة التحريم: الآية ١.

٢- (٢) سورة النجم: الآية ٣ - ٤.

٣- (٣) سورة التكوير: الآية ٢٤.

٤- (٤) سورة النجم: الآية ٢.

٥- (٥) سورة القلم: الآية ٤.

٦- (٦) سورة النساء: الآية ٨٣.

فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ (١)، وغيرها من الآيات، أما آية سورة التحريم وغيرها من السور مما يظهر منها عتاب من الله تعالى لنبية (صلى الله عليه وآله) فليس من باب التقييح - والعياذ بالله - بل هو إرشاد للأكمل فإنه تعالى الإله أكمل من مخلوقه وأعلم، ومهما بلغ النبي من الكمال فإنه محتاج إلى ربه تعالى في أزيد الكمال والعلم، وهذا سرّ تربوي يكرره القرآن في بيان التعامل بينه تعالى وبين نبيه وبقية الأنبياء كى لا يتوهم البشر الربوبية في الأنبياء، بل يدركوا أنهم مهما بلغوا من الكمال فإنهم محتاجون إلى الله تعالى ويزدادون منه تعالى كمالاً وعلماً كما أشير إلى هذه الحكمة في كلام أمير المؤمنين (عليه السلام).

النبي والوحي:

المحاور : كيف كان الوحي ينزل على رسول الله (صلى الله عليه وآله)، هل كان جبرئيل (عليه السلام) هو الذى يخبر النبى بالآيات الشريفة، أى أن الله عزَّ وجلَّ يطلع جبرئيل بالآية أولاً- ومن ثم يقوم بتعليمها للنبي (صلى الله عليه وآله)؟ وإذا كان كذلك، كيف والحال أن النبي (صلى الله عليه وآله) أفضل وأكرم عند الله من جبرئيل (عليه السلام)؟.

الشَّيْخُ السَّنْدُ: بعض أقسام الوحي النازل على النبي (صلى الله عليه وآله) إشير إليها فى قوله تعالى: (وَ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ

ص: ٣٨٢

رَسُولًا- فَيُوحَىٰ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (١)، وروى زراره عن الصادق (عليه السلام) قال: «قلت لأبي عبد الله (عليه السلام): جعلت فداك الغشيه التي كانت تصيب رسول الله (صلى الله عليه وآله) إذا نزل عليه الوحي؟ فقال: ذاك إذا لم يكن بينه وبين الله أحد، ذاك إذا تجلى الله له، قال: ثم قال: تلك النبوه يا زراره وأقبل بتخشع» (٢).

وعن هشام، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «قال بعض أصحابنا: أصلحك الله، كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) ويقول: قال جبرئيل (عليه السلام) وهذا جبرئيل يأمرنى ثم يكون فى حال أخرى يغمى عليه؟ قال: فقال: أبو عبد الله (عليه السلام): إنه إذا كان الوحي من الله إليه ليس بينهما جبرئيل (عليه السلام)، أصابه ذلك لثقل الوحي من الله، وإذا كان بينهما جبرئيل (عليه السلام) لم يصبه ذلك، فيقول: قال لى جبرئيل، وهذا جبرئيل يأمرنى» (٣).

وفى هاتين الروايتين ذكر القسم الأول من الثلاثه المذكوره فى الآيه والقسم الثالث وأما القسم الثانى فكان فى تكليمه تعالى للنبي (صلى الله عليه وآله) فى ليله المعراج كما فى أحاديث المعراج.

وأما الأفضليه فلا تثبت للوسيط بين طرفين على الطرف المرسل إليه إذا لم يكن للوسيط هيمنه وقيومه وولايه على المرسل إليه، كما هو الحال فى ساعى البريد الخاص بين الملك ووزيره وتستطيع أن تتمثل بحاجه بدن النبي (صلى الله عليه وآله) للطعام والشرب ونحو ذلك ولكن لا يعنى أفضليه الطعام على

ص: ٣٨٣

١- (١) سورة الشورى: الآيه ٥١.

٢- (٢) التوحيد للصدوق ص ١١٥.

٣- (٣) الآمالى للطوسى ص ٦٦٣.

روح النبي (صلى الله عليه وآله) وذاته النورية المقدسه، إذ للإنسان فضلاً عن النبي (صلى الله عليه وآله) درجات من الوجود والحقائق، وأحتياج بعض درجات الوجود النازله كقواه الحسيه الشريفه النازله لوساطه جبرئيل لا يعنى أحتياج درجه وجوده النورى الذى هو فوق مقام جبرئيل لا يعنى إحتياجه فى ذلك المقام إلى وساطه جبرئيل، ومن ثم لما عرج (صلى الله عليه وآله) إلى مقامات القرب فدنى فتدلى لم يستطيع جبرئيل (عليه السلام) مسيرته وقال لو أقتربت أنمله لاحتقرت.

أغتيال النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ:

المحاور: قال تعالى: (وَ مَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَ فَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ) (١)، ما معنى قوله تعالى (او قتل) ولماذا وردت؟.

الشَّيْخُ السَّنْدُ: هذه الآية الكريمة نزلت فى واقعه احد، ضمن بقيه الآيات من سوره آل عمران النازله فى تلك الواقعة حيث قسمت المسلمين الذين شهدوا احد إلى فئه صالحه، وفئه قد أهمتهم أنفسهم يظنون بالله ظن الجاهليه، وفئه قد فرت من القتال عند انعطاف المشركين فى الجوله الثانيه وغلبتهم حيث شاع خبر قتل النبي (صلى الله عليه وآله) ففر جماعه من وجوه الصحابه إلى الجبل واجتمعوا حول الصخره وعرفوا بعد ذلك بجماعه الصخره كما فى كتب السير، وقالوا إنا على دين الأجداد كى إذا ظفرت بنا قريش نقول لهم إنا على دينكم، فكان ذلك إنقلاب على الأعقاب إلى الجاهليه والكفر، وقد أشير

ص: ٣٨٤

فى مواضع أخرى فى القرآن الكرىم إلى محاولات لقتل النبى (صلى الله عليه و آله) منها: قوله تعالى: (وَ إِذِ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُجْعَلُوا كَذِبًا أُولَٰئِكَ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَخَفُوا) (١)، حيث كانت هجره النبى (صلى الله عليه و آله) ومبيت على (عليه السلام) على فراشه فى تلك الليله.

ومنها: قوله تعالى: (يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَ لَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَ كَفَرُوا بِعَيْدِ إِسْلَامِهِمْ وَ هُمَا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَ مَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ) (٢)، وهم جماعه العقبه عند رجوع النبى (صلى الله عليه و آله) من غزوه تبوك، هموا باغتيال النبى (صلى الله عليه و آله) بدحرجه الحجار على ناقه النبى (صلى الله عليه و آله) فوق عقبه الجبل لتسقط به (صلى الله عليه و آله) فى الوادى، وكان حذيفه وعمار يعرفون تلك الجماعه المتآمره وكان بعض أعيان الصحابه يسائل حذيفه حيث اختص بمعرفه المنافقين - عن معرفته بهم كما فى كتاب المنافقين من صحيح مسلم.

وقوله تعالى: (إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَ جِبْرِيْلُ وَ صَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ) (٣)، ويظهر من الآيه أن هناك مظاهره ومناصره وتعاون وتآزر على النبى (صلى الله عليه و آله) تستهدف حياته (عليه السلام) ومن ثم هدد سبحانه بذاته المقدسه وجبرئيل وبصالح المؤمنين وبجميع الملائكه كأعوان مما يكون فى مقام أعداد العدّه لنفير حرب. وفى بعض الروايات الصحيحه: «ما منا إلا مسموم أو مقتول» (٤)، حتى النبى (صلى الله عليه و آله)

ص: ٣٨٥

١- (١) سورة الأنفال: الآيه ٣٠.

٢- (٢) سورة التوبه: الآيه ٧٤.

٣- (٣) سورة التحريم: الآيه ٤.

٤- (٤) بحار الأنوار ج ٤٤ ص ١٣٩.

المحاوّر: خالد بن الوليد سفك دماء كثيره دون وجه حق.. كقتله فى بنى جذيمه عندما أرسل لهم، وكقتله من الرجال فى يوم الفتح ثأراً لعميه مخالفاً بذلك نهى النبى (صلى الله عليه و آله) عن القتل فى ذلك اليوم، ومع ذلك فإنّ النبى (صلى الله عليه و آله) لم يُقم الحدّ عليه مع أنّه قال (صلى الله عليه و آله) بأنّه يبرأ إلى الله مما فعل خالد فلماذا؟

وكذلك كان فى عهد أبى بكر حيث رفض أن يقيم الحد على خالد بعدما قتل من قتل وسبى وسلب فى قبيله مالك بن نويرة.. ناهيك عن زواجه من زوجته فى نفس اليوم (وبلا عدّه) مع أن عمر طالب بالحد على خالد؟.

الشّيخ السّندي: الموجود فى كتب السير والتاريخ تعلل خالد بن الوليد فى قتل بنى جذيمه - فى بعض النقل ٣٠ رجلاً منهم - أن ذلك أخذاً بحقه ويشير إلى ما أرتكبه بنو جذيمه من قتل الفاكه بن المغيرة ونسوه من بنى المغيرة فى أيام الجاهليه، وتعلّل أيضاً بأنه لم يطمئن من إسلامهم لأنهم لم يلقوا السلاح، حيث كانوا قد خشوا منه الإقتصاص منهم، وهذا التعلل الثانى نظير ما وقع فيه أسامه بن زيد عندما قتل من أظهر له الإسلام فى القصة المعروفه، مع أن بنى جذيمه كانوا قد بنوا المساجد واطهروا الأذان وإقامه الصلاه، وكان النبى (صلى الله عليه و آله) قد أمر خالداً أن يدعوهم إلى الإسلام ولا يبدأهم بقتال لكنه خالف الأمر واقتصّ منهم ثأر الجاهليه، فلما أستخبر النبى (صلى الله عليه و آله) بذلك تبرأ إلى الله تعالى مما قد فعل خالد، ثم أرسل أمير المؤمنين (عليه السلام)

فودى لهم أى أعطاهم الديه للقتلى ولكل ما تلف منهم وقال (صلى الله عليه و آله) له (عليه السلام) بأن يجعل كل ما كان فى الجاهليه تحت قدميه، فيظهر من مجموع ذلك أن سبب عدم إقتصاصه (صلى الله عليه و آله) لبني جذيمه من خالد بن الوليد هو عدم فقه خالد بأن كل دم ووتر فى الجاهليه فهو ساقط بالإسلام وأن الإسلام يجب ما قبله وإن كان خالد بن الوليد قد عصى أمر النبي (صلى الله عليه و آله) فيما رسمه له من الدعوه إلى الإسلام وقد كذب عدّه من الصحابه تأوّل خالد باسترايته فى إسلام بني جذيمه ممن كانوا معه بل أكثر الأنصار لم يشاركوا فى قتل الأسرى وأمتنعوا من ذلك إلا أن العمده لسقوط القصاص هو جهاله خالداً بجب الإسلام حكم الجاهليه.

وهذا بخلاف ما فعله خالد بن الوليد بمالك بن نويرة فإنه قد رأى صلاته وصلاته قومه وقد صلى خالد وراءه وعرف أن امتناع مالك من إعطاء الزكاه لا لإرتداده بل لإمتناعه من بيعه أبى بكر وبقاءه على ولايه وبيعه على بن أبى طالب (عليه السلام) أمير المؤمنين.

فبين الواقعتين فرق واضح بين، مضافاً إلى تبرأ واستنكار النبي (صلى الله عليه و آله) لما فعله خالد بينما لم يستنكر أبو بكر ما فعله خالد وقد أعطى النبي (صلى الله عليه و آله) الديه لأهالى القتلى وأسترضاهم علياً (عليه السلام) حتى رضوا عن النبي (صلى الله عليه و آله) وأعاد حرمتهم، بينما أبو بكر لم يصلح ما أفسده خالد وعذره فى إستحلال زوجه مالك بن نويرة وهى فى عده وفاته ولا أعطى الديه لقبيلته ولا أعاد حرمتهم بل أقرّ خالداً على قياده الجيش وفسح المجال له بالعمل كما يشتهى ويهوى وتصبوا

إليه نزوته كما فى موارد أخرى بعد الواقعة المزبوره كما هو مذكور فى كتب السير والمغازى والتارىخ.

المحاور: ما معنى صلاه الله سبحانه وتعالى على النبى محمد وآله الأطهار (صلوات الله وسلامه عليهم)؟.

الشَّيْخُ السَّنَدُ: قال صادق آل محمد (صلوات الله عليه) فى تفسير قوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) (١)، قال: الصلاه من الله عَزَّ وَجَلَّ رحمته ومن الملائكة تزكيه ومن الناس دعاء وأما قوله عَزَّ وَجَلَّ: (عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا) فإنه يعنى التسليم له فىما ورد عنه فصلاته تعالى على نبىه هى رحمته وإنعامه وأفضاله عليه.

المحاور: أريد أن أسأل عن معنى (البراق) وما هى صفاته؟ مع إرفاق المصادر والمراجع التى استندتم عليها فى الإجابة؟.

الشَّيْخُ السَّنَدُ: روى على بن إبراهيم القمى صاحب التفسير بسند صحيح عن أبى عبدالله (عليه السلام) قال: «جاء جبرئيل وميكائيل وأسرافيل بالبراق إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) فأخذ واحد باللجام، وواحد بالركاب، وسوى الآخر عليه ثيابه، فتضععت البراق فطمها جبرئيل (عليه السلام) ثم قال لها: أسكنى يا براق فما ركبك نبى قبله، ولا ىركبك بعده مثله قال فرقت به (صلى الله عليه وآله) ورفعته ارتفاعاً ليس بالكثير ومعه جبرئيل (عليه السلام) يريه

ص: ٣٨٨

١- (١) سورة الأحزاب: الآية ٥٦.

وروى الصدوق بإسناده عن عبد الرحمن بن غنم قال: «جاء جبرئيل (عليه السلام) إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) بدابه دون البغل وفوق الحمار رجلاها أطول من يديها خطوها مدّ البصر فلما أراد النبي (صلى الله عليه وآله) أن يركب امتنعت فقال: جبرئيل انه محمد فتواضعت حتى لصقت الأرض قال فركب فكلما هبطت ارتفعت يداها وقصرت رجلاها وإذا صعدت ارتفعت رجلاها وقصرت يداها فمّرت به في ظلمه الليل على غير في أول العير فنفرت العير من ديف البراق»(٢).

وروى العياشي عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: «إن جبرئيل (عليه السلام) أتى بالبراق إلى النبي (صلى الله عليه وآله) وكان أصغر من البغل وأكبر من الحمار مضطرب الأذنين في حوافره خطوته مد البصر»(٣).

وروى الخصبي في (الهدايه الكبرى) بإسناده عن الصادق (عليه السلام) إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال لقريش: «... حتى ركبت على البراق وقد أتاني به جبرئيل (عليه السلام) وهو دابه أكبر من الحمار وأصغر من البغل وخطوتها مد البصر فلما صرت عليه وصعدت الى السماء...»(٤).

وروى العياشي عن أبي عبد الله (عليه السلام) في تشريع الأذان في المعراج وان

ص: ٣٨٩

١- (١) بحار الأنوار ج ١٨ ص ٣١٩، تفسير القمي ج ٢ ص ٣ آيه الأسراء.

٢- (٢) الأملالي للصدوق ص ٥٣٤.

٣- (٣) الكافي ج ٨ ص ٣٧٦.

٤- (٤) الهدايه الكبرى للخصبي ص ٥٨.

جبرئيل أتاه (صلى الله عليه وآله): «.. فأيقظه وأمره أن يغتسل به ثم وضع في محمل له ألف ألف لون من نور ثم صعد به حتى أنهى إلى أبواب السماء»(١).

وفي كتاب صحيفه الإمام الرضا(عليه السلام)، عنه(عليه السلام): «قال رسول الله(صلى الله عليه وآله) سَخَّرَ لِي الْبَرَقَ وَهِيَ دَابَّةٌ مِنْ دَوَابِّ الْجَنَّةِ لَيْسَتْ بِالطَّوِيلِ وَلَا بِالْقَصِيرِ فَلَوْ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَذِنَ لَهَا لَجَالَتِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ فِي جَرِيهِ وَاحِدَةً وَهِيَ أَحْسَنُ الدَّوَابِّ لَوْنًا»(٢).

وفي روضه الواعظين في حديث عن رسول الله(صلى الله عليه وآله) في صفة البراق: «وجهها كوجه الإنسان وخذها كخذ الفرس عرقها من لؤلؤ مسموط وأذناها زبرجدتان خضراوان وعيناها مثل كوكب الزهره يتوقدان مثل النجمين المضيئين لها شعاع مثل شعاع الشمس منحدر عن نحرها الجمان منظومه الخلق طويله اليدين والرجلين لها نفس كنفس الآدميين تسمع الكلام وتفهمه وهي فوق الحمار ودون البغل»(٣).

فتحصل أنها دابة جسمها من مادة لطيفه أخرىه نورانيه ومن ثم خواصها في الحركة تختلف عن الجسم المادى الثقيل الغليظ الدنيوى، وإذا كان بعض المواد الفيزيائية الدنيوى كبعض الطاقات اللطيفه كالنور والقوه الجاذبه بين الأجسام وغيرها تختلف خواصها عن المواد الغليظه كالتراب والمعادن فكيف بما هو ألطف من النور الحسى الفيزيائى ومن كل طاقات

ص: ٣٩٠

١- (١) تفسير العياشى ج ١ ص ١٥٧.

٢- (٢) صحيفه الإمام الرضا(عليه السلام) لمؤسسه الإمام المهدي(عج) ص ١٥٤ ج ٩٥.

٣- (٣) روضه الواعظين للفتال النيسابورى ص ١٠٨.

الماده الفيزيائية الدنيويه وقد ثبت أخيراً عند علماء التجربه من علم الأثير أن حركه الروح بالبدن المنامي بسرعه لا تقاس مع حركات المواد الفيزيائية اللطيفه.

المحاور: من صلى بالناس جماعه حين إشتد المرض بالنبي (صلى الله عليه و آله)؟

وما هي الأحاديث أو الروايات الداله على ذلك؟.

الشَّيْخُ السَّنَدُ: لم يستخلف النبي (صلى الله عليه و آله) أحداً للصلاه جماعه بالناس حينما اشتد مرضه، إلا أن عائشه أبتدرت الموقف لصالح أبيها فنسبت إليه طلب صلاه أبي بكر بالناس فقام يصلى بالناس، فوصل نبأ ذلك إلى مسامع النبي (صلى الله عليه و آله) فطلب من علي (عليه السلام) والفضل بن العباس أن يعيناه على الحركه، فجاء إلى المسجد متكئاً عليهما وأبعد أبا بكر عن المحراب وصلى بالناس جماعه، ثم أخفى أبا بكر نفسه حيث لم يكن قد أذن له النبي (صلى الله عليه و آله) بالتخلف عن جيش أسامه وقد ولى أسامه الجيش على أبي بكر وعمر وبقية أصحاب السقيفه، وكل هذا الحدث تجده في كتاب بحار الأنوار في أحداث وفاه النبي (صلى الله عليه و آله) نقلها عن العديد من المصادر التاريخيه والروائيه.

المحاور: هل صحيح أن الرسول (صلى الله عليه و آله)، كان أمياً، أى لا يعرف القراءه ولا الكتابه؟.

الشَّيْخُ السَّنَدُ: قد وصف القرآن الكريم الرسول بالأمى، وقد فسّر هذا الوصف تاره بأن معناه المنسوب إلى أم القرى وهي مكه المكرمه كما

جاء فى قوله تعالى: (لَتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ) (١)، وأخرى بأنه لم يتعلم القراءة والكتابة من أحد أى لم يكتسب تعلمهما من معلم بشرى، وثالثه بضميمه الثانى أنه لم يمارس القراءة والكتابة فى حياته، وعلى المعنيين الأخيرين ليس المراد عدم معرفته للقراءة والكتابة، بل أن معرفته لم تكن كسبىه من تعليم وتعلم بشرى بل كانت لذيه منه تعالى.

المحاور: هل كان الرسول (صلى الله عليه و آله) يعلم الغيب واذا كان يعلم فما هى خواص ذلك الغيب وما فرقه عن غيب الله وما تفسير الآيه الكريمة: (وَلَوْ كُنْتَ أَعْلَمَ الْغَيْبِ لَاسْتَكْتَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) (٢)، وماذا عن باقى الأئمه (عليهم السلام) لهم ذلك ايضاً وما فرقه عن الرسول؟.

الشَّيْخُ السَّنَدِي: قال تعالى: (اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ) (٣)، وقال تعالى: (عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا) (٤)، من رسول، وقال تعالى: (وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ) (٥)، وقال تعالى: (إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ * لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ * تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ

ص: ٣٩٢

١- (١) سورة الأنعام: الآيه ٩٢.

٢- (٢) سورة الأعراف: الآيه ١٨٨.

٣- (٣) سورة البقره: الآيه ٢٥٥.

٤- (٤) سورة الجن: الآيه ٢٦ - ٢٧.

٥- (٥) سورة النمل: الآيه ٧٥.

الْعَالَمِينَ (١)، وقال تعالى: (وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ) (٢)، وقال تعالى: (بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ) (٣)، فهو تعالى يظهر علمه لمن شاء ولمن أرتضى من رسول وللمطهرين أهل آية التطهير ويمسس كتابه المحيط بغائبه السماء والأرض يمسسه المطهرين ويودعه في صدور الذين أوتوا العلم من هذه الأمة وهم المطهرون.

أما الفوارق بين علم الله تعالى وتعليمه للرسول فإن علمه تعالى أزلى ذاتي واستعلام وأطلاع النبي (صلى الله عليه وآله) مخلوق للباري، وأن علمه تعالى محيط وما يعلمه النبي (صلى الله عليه وآله) محاط من قبله تعالى: (وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا)، فإن الله اسما مستأثراً لم يخرج منه إلى غيره كما وردت به الروايات، وإن الله عالم بذاته المقدسه ولا يكتنه مخلوق ذات الباري وغيرها من فوارق صفات الخالق عن صفات المخلوق.

أما الآيه فمورد نزولها كما قيل أن أهل مكة قالوا يا محمد ألا يخبرك ربك بالسعر الرخيص قبل ان يغلو فتشتره فتربح فيه وبالارض التي تريد أن تجذب فترتحل منها إلى أرض قد أخصبت فانزل الله هذه الآيه: (قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَاسْتَكْتَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) (٤)، فواضح من

ص: ٣٩٣

١- (١) سورة الواقعة: الآيه ٧٧ - ٨٠.

٢- (٢) سورة النحل: الآيه ٨٩.

٣- (٣) سورة العنكبوت: الآيه ٤٩.

٤- (٤) سورة الأعراف: الآيه ١٨٨.

سياق النزول أن أهل مكة كان سؤالهم اقتراحاً مادياً يرتبط بالمعيشه والرفاه حسب مشتريات الغرائز للرغد والبطر وعلم الغيب لا يستخدم لمثل هذا ولا يوظف في مثل هذه الأغراض وليس من هدف أرسال الرسول هو نعيم الماديات بل الغرض هو هدايه البشر إلى السعاده الأخرويّه ونجاتهم من الشقاء

الابدى هذا غرض الرساله فى الدرجه الاولى فالبارى تعالى لم يطلع نبيه على الغيب لكى يستجيب للمقترحات الماديه والمشتريات الغرائزيه بل لينذر الناس من عذاب الآخره إن عصوا ويبشرهم بالجنه إن أطاعوا، فتبين أن الآيه ليست فى سياق نفى اطلاع الرسول على تعليم الله تعالى له من علم الغيب وانما هى فى صدد نفى توظيف علم الغيب للمنافع والمضار الماديه الدنيويه، ألا ترى أن النذاره والبشاره بتفاصيل عالم البرزخ والآخره وصفات البارئ والقرآن كلها من علم الغيب، ولكن من علم الغيب الذى يهدف للهدايه والسعاده الاخرويّه ويسوق نظام الحياه الدنيويه للخلاص الأخروى، لا للخلود فى الدنيا.

ونظير هذه الآيات بقيه الآيات التى يتوهم أن ظاهرها نفى اطلاع الرسول على ما علمه البارئ من علم الغيب ولكن المراد منها هو ما ذكرناه فى هذه الآيه.

المحاور: إن أبناء السنه يقولون أن سوره عبس وتولى قد نزلت تعاتب الرسول الأكرم (عليه وعلى آله أفضل الصلاه والتسليم)، بينما الطائفه الشيعيه تنفى ذلك وتقول إن سبب النزول هو عندما عبس عثمان

أبن عفان فى وجه عبدالله أبى مكتوم وكل ما أطلبه منكم هو تزويدى بالمصادر السنيه والشيعيه التى تثبت نزول السوره أو الآيه فى عثمان أبى عفان.

الشَّيْخُ السَّنَدُ: أما المصادر الشيعيه المتضمنه لنزول الآيه فى عثمان فأكثر التفاسير الشيعيه كتفسير (التبيان) للطوسى، و(مجمع البيان) للطبرسى، و(البرهان) للسيد البحرانى، و(نور الثقلين) للحويزى، و(تنزيه الأنبياء) للسيد المرتضى، وقد أستدلوا مضافاً إلى الروايات عن أهل البيت (عليهم السلام) الذين هم الثقل الثانى الذين أمرنا بالتمسك به فى الحديث النبوى المتواتر والمطهرون بنص القرآن وهم سفينه نوح، أستدلوا أيضاً بقوله تعالى: (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ (١))، فكيف يصفه تعالى بذلك وهو يستخف ويستهين بالمؤمن الفقير لكونه أعمى وكذلك قوله تعالى: (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَ لَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ) (٢).

وضمير المفرد المخاطب قد ورد فى سور عديده يراد بها غيره (صلى الله عليه و آله) كما فى سوره القيامه: (فَلَا صَدَقَ وَ لَا صَلَّى وَ لَكِنْ كَذَّبَ وَ تَوَلَّى ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى أُولَى لَكَ فَأُولَى ثُمَّ أُولَى لَكَ فَأُولَى) (٣)، فابتدأ بصوره المفرد الغائب ثم بصوره المفرد المخاطب عدولاً من الغيبه إلى الخطاب فى ضمير المفرد كما فى

ص: ٣٩٥

١- (١) سوره القلم: الآيه ٤.

٢- (٢) سوره آل عمران: الآيه ١٥٩.

٣- (٣) سوره القيامه: الآيه ٣١ - ٣٥.

سوره عبس وكذلك فى سورة المدثر انه: (فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ثُمَّ نَظَرَ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَىٰ إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ وَ مَا أَذْرَاكَ مَا سَقَرُ) (١)، فإنه تعالى أبتدأ بضمير المفرد الغائب فى عبس وبسر ثم فى الأخير عدل إلى ضمير المفرد المخاطب مع أن المراد فى هذه الآيات من سورة المدثر هو الوليد بن المغيرة المخزومي، فصرف كون الضمير مفرد مخاطب لا يدل على كون المراد به النبى (صلى الله عليه و آله) فى الاستعمال القرآنى.

أما مصادر أهل السنه والجماعه فقد طعن غير واحد منهم فى الروايات الواردة لديهم فى كون مورد نزولها النبى (صلى الله عليه و آله)، ففى فتح القدير ٣٨٦: ٥ قال: (قال ابن كثير فيه غرابه وقد تكلم فى أسناده، وفى سنن الترمذى الجزء الخاص بالتفسير ٤٣٢: ١، قال: قال أبو عيسى هذا حديث غريب، وحكى الآلوسى فى روح المعانى ٣٨: ٣٠ عن القرطبى ذهابه إلى أن عبد الله بن أم مكتوم مدنى ولم يجتمع بالصناديد المذكورين فى تلك الروايات من أهل مكه). هذا مع أن أسانيدھا غير تامه ولا تخلو من طعن.

وذكر القرطبى فى أحكام القرآن ٢١٣: ١٩، قال: قال علماؤنا ما فعله ابن أم مكتوم كان من سوء الأدب لو كان عالما بان النبى (صلى الله عليه و آله) مشغول بغيره

ص: ٣٩٦

وأنه يرجو إسلامهم ولكن الله تبارك وتعالى عاتبه حتى لا تنكسر قلوب أهل الصفه ونقل أن ابن أم مكتوم دافع قائده لما أراد أن يكفه عن مشاغله النبي (صلى الله عليه وآله)، أى فهو ينقل أن طرفاً ثالثاً كان فى مسرح الواقعة وهذا ما تشير إليه روايات أهل البيت (عليهم السلام) أنها نزلت فى عثمان وابن أم مكتوم وكان ابن أم مكتوم مؤذناً لرسول الله (صلى الله عليه وآله) وكان أعمى فجاء إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) وعنده أصحابه وعثمان عنده فقدمه رسول الله (صلى الله عليه وآله) على عثمان فعبس عثمان وجهه وتولى عنه فأنزل الله: (عَبَسَ وَتَوَلَّى) (١)، يعنى عثمان: (أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى وَمَا يُدْرِيكُ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى) (٢)، أى يكون طاهراً زكياً أو يذكر قال يذكره رسول الله (صلى الله عليه وآله): (فَتَنَفَعَهُ الذُّكْرَى) (٣)، ثم خاطب عثمان فقال: (أَمَّا مَنْ اسْتَتَعْنَى فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى) (٤)، قال أنت إذا جاءك غنى تتصدى له وترفعه: (وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى) (٥)، أى لا تبالى زكياً كان أو غير زكى إذا كان غنياً: (وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى) (٦)، يعنى ابن أم مكتوم: (وَهُوَ يَخْشَى

فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَى) (٧)، أى تلهو وتلتفت إليه) كما جاء فى تفسير القمى

ص: ٣٩٧

- ١- (١) سورة عبس: الآية ١.
- ٢- (٢) سورة عبس: الآية ٢ - ٣.
- ٣- (٣) سورة عبس: الآية ٤.
- ٤- (٤) سورة عبس: الآية ٥.
- ٥- (٥) سورة عبس: الآية ٧.
- ٦- (٦) سورة عبس: الآية ٨.
- ٧- (٧) سورة عبس: الآية ٩ - ١٠.

لعلى بن إبراهيم، ومما يدل على يد الوضع فى الروايات الواردة لديهم انها نزلت فى النبى (صلى الله عليه و آله) هو أن الآيات تحكى خلقاً مستمراً لمن تخاطبه بصيغته الجملة الفعلية والفعل المضارع الدال على الاستمرار لا قضيه واحده فى واقعه ويأبى الخلق النبوى العظيم أن تكون صفته وخلقه المستمر ان يرغب فى التصدى إلى الأغنياء ويتنفر ويصد ويلهو عن الفقراء فذيل الآيات صريح فى استمرار هذا الخلق السىء فى المخاطب بالآيات.

مع أن رواياتهم تزعم أنه قضيه واحده فى واقعه لم تتكرر ولم تكن صفه وخلقاً فلا- تتوافق مع لسان الآيات، ولذلك أعترف الآلوسى منهم ٣٩: ٣٠ (روح المعانى) أن ضمير الغيبه فى عبس دال على أن من صدر عنه ذلك غير النبى (صلى الله عليه و آله) لئنه لا يصدر عنه (صلى الله عليه و آله) مثله.

وأما دعواهم أن لسان سوره عبس هو نظير ما ورد فى سوره الكهف والأنعام من قوله تعالى: (وَ اضْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَ اتَّبَعَ هَوَاهُ وَ كَانَ أَمْرُهُ فُرْطًا) (١)، وقوله تعالى: (وَ لَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَ مَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ) (٢).

فلسان الآيتين يفترق بيون شاسع مع لسان سوره عبس فإن لسانهما

ص: ٣٩٨

١- (١) سوره الكهف: الآيه ٢٨.

٢- (٢) سوره الأنعام: الآيه ٥٢.

الإنشاء والأمر والنهي لا الأخبار بوقوع الفعل كما في سورة عبس بل بوقوع أ استمرار الفعل والصفه المذمومه، وبالتالي فإن لسان الإنشاء متعارف في الأستعمال القرآنى هو من باب إياك أعنى وأسمى يا جاره نظير قوله تعالى: (وَ لَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ) (١).

أى أن المراد الجدى من الخطاب هو عموم الناس تحذيراً وإنذاراً لهم.

المحاور: هل كان النبى (صلى الله عليه و آله) يقول فى الآذان: «أشهد أن علياً ولى الله»؟ أرجو الإجابة السريعه لأن هناك نقاش عقائدى حول الموضوع؟.

الشيخ السند: قد روى فى كتاب (الإصابة فى تمييز الصحابه) فى ترجمه كمدير الضبى أنه كان يذكر الوصى والوصايه بعد الشهادتين فى تشهد الصلاه وقد كان من صحابه الرسول (صلى الله عليه و آله) كما حكى عن العلامه المراغى، وهو من علماء السنه فى القرن السابع فى كتابه (السلافه فى أمر الخلافه) أن سلمان وأبذر أذنا وقالوا فى الأذان (أشهد ان علياً ولى الله) فأعترض عليهما الصحابه وشكوهما إلى رسول الله (صلى الله عليه و آله) فأجابهم (صلى الله عليه و آله): «كذلك، أو نسيتم قولى يوم غدير خم: من كنت مولاه فعلى مولاه؟ فمن نكث فإنما ينكث على نفسه» (٢).

وقد روى العامه فى طرقهم روايات نبويه عديده كما رصدتها كتاب ملحقات (إحقاق الحق) للسيد المرعشى + تضمّنت تلك الروايات إقتران الشهادات الثلاث فى أعمده العرش والكرسى واللوح والقلم والسموات،

ص: ٣٩٩

١- (١) سورة الزمر: الآيه ٦٥.

٢- (٢) السلافه فى أمر الخلافه للشيخ عبد الله المراغى، مستدر ك سفينه البحار ج ٦ ص ٨٥.

وتلك الروايات عنه (صلى الله عليه و آله) داله بالتعريض والإيماء الشديد على حثه الرسول (صلى الله عليه و آله) على أمره بقرن الشهادات الثلاث فى سائر الموارد والأذكار العباديه.

المحاور: ما هو أول شىء فعله الرسول فى المدينه وكيف آخى بين المهاجرين والانصار؟.

الشَّيْخُ السَّنَدُ: صَلَّى الرسول (صلى الله عليه و آله) أول دخوله فى موضع قبا لقبيله بنى عمر وبن عوف وبنى لهم مسجد قبا وأول ما صنع (صلى الله عليه و آله) فى المدينه بناء مسجده بعد أن شرى الارض له.

المحاور: ما هى نصيحتكم لنا عند قرائتنا للسيره النبويه الشريفه؟.

الشَّيْخُ السَّنَدُ: من المهم فى قراءه السيره النبويه هى قراءتها من خلال روايات أهل البيت (عليهم السلام) اى نقرأ كتب السير مع تلك الروايات كى نلتفت إلى الحلقات المفقوده التى أسقطت فى سلسله أحداث التاريخ ومنتبه إلى التدافع بين مجرياته مع أسقاط تلك الحلقات بخلاف الحال مع الوقوف عليها ونعرف بذلك الكثير من الإخفاء وتزوير الحقايق فى سيرته (صلى الله عليه و آله).

ص: ٤٠٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: ٩

المقدمة:

تأسس مركز القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامي عام ١٤٢٦ الهجرى في المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً على النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائيين والمثقفين في الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلّة المراكز القائمية بتوفير المصادر في العلوم الإسلامية وتبعثها في أنحاء البلاد وصعوبة الحصول على مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان إلى التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلى الباحثين في العلوم الإسلامية وتقديم المؤسسة مجاناً مجموعةً إلكترونيةً من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهي منظمة في برامج إلكترونية وجاهزة في مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها. وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدةً على النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلى أساس خطة تنوى تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبي عليهم السلام
تحفيز الناس خصوصاً الشباب على دراسة أدق في المسائل الدينية
تنزيل البرامج المفيدة في الهواتف والحاسوبات واللابتوب
الخدمة للباحثين والمحققين في الحوزات العلمية والجامعات
توسيع عام لفكرة المطالعة
تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب على تقديم آثارهم لتنظيمها في ملفات إلكترونية

السياسات:

مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية
إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة
الاجتناب عن الروتين وتكرار المحاولات السابقة
العرض العلمي البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ في نشر المعلومات
من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الكتب والملزمات والدوريات

إقامة المسابقات في مطالعة الكتب

إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما في الأمكنة الدينية والسياحية

إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية

افتتاح موقع القائمة الانترنتى بعنوان : www.ghaemiyeh.com

إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمى لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها

تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسك kiosk، الرسالة القصيرة (sms)

إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس

إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين

إنتاج آلاف برامج فى البحث والدراسة وتطبيقها فى أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على ٨ أنظمة؛

JAVA.١

ANDROID.٢

EPUB.٣

CHM.٤

PDF.٥

HTML.٦

CHM.٧

GHB.٨

إعداد ٤ الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمة ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية

ANDROID.١

IOS.٢

WINDOWS PHONE.٣

WINDOWS.٤

وتقدّم مجاناً فى الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة

نتقدم بكلمة الشكر والتقدير إلى مكاتب مراجع التقليد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسسات، الكتاب وكل من قدم لنا المساعدة في تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.

عنوان المكتب المركزي

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده اي، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلي، الرقم ١٢٩، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الإلكتروني : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزي ٠٣١٣٤٤٩٠١٢٥

هاتف المكتب في طهران ٠٢١ - ٨٨٣١٨٧٢٢

قسم البيع ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩ شؤون المستخدمين ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩.

مركز
للبحوث والتحريرات الكمبيوترية
اصبهان
الغمامية



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

